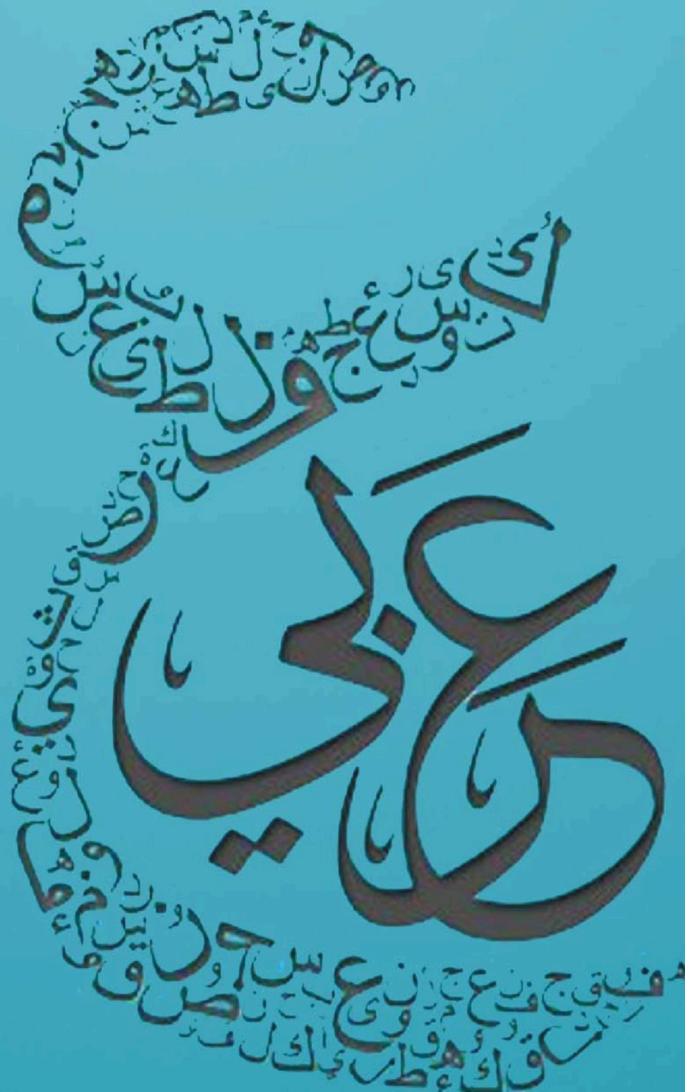
المكتبة العربية

أبو البقاء الرندي

أدبيات اللغة العربية

تأليف

محمد عاطف بك، والشيخين محمد نصار وأحمد إبراهيم،
وعبد الجواد أفندي عبد المتعال



أدبيات اللغة العربية

تأليف

محمد عاطف بك، والشيخين محمد نصار وأحمد إبراهيم، وعبد الجواد أفندي عبد المتعال

الكتاب: أدبيات اللغة العربية

تأليف: محمد عاطف بك، الشيخان محمد نصار وأحمد إبراهيم، عبد الجواد افندي عبد المتعال

الطبعة: 2017

الناشر : وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



5 ش عبد المنعم سالم - الوحدة العربية - مدكو ر- الهرم - الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : 35825293 - 35867576 - 35867575

فاكس : 35878373

news@apatop.com E-mail: http://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

عاطف / محمد بك

أدبيات اللغة العربية / محمد عاطف بك - الشيخان محمد نصار واحمد ابراهيم - عبد الجواد افندي عبد المتعال

- الجيزة - وكالة الصحافة العربية.

.. ص، .. سم.

الترقيم الدولى: 3 - 495 - 718- 977- 978

أ - العنوان رقم الإيداع : 17197

أدبيات اللغة العربية

المكتبة العربية

أبو البقاء الرندي



وكالة الصحافة العربية

«ناشرون»

كلام العرب نوعان منثور ومنظوم. فالمنظوم هو الكلام الموزون المُقَفَّى أي الذي تكون أوزانه كلها على رَوِيّ واحد وهو القافية. والمنثور هو الكلام غير الموزون وينقسم إلى سَجْع ومُرْسَل فالسجع هو الذي يؤتى به قِطَعا ويُلْتَزَم في كل كلمتين منه قافية واحدة والمرسل هو الذي يُطْلَق إطلاقا ولا يُقَطَّع أجْزَاء بل يُرْسَل إرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها. والقرآن الكريم وان كان من المنثور خارج عن نوعية السابقين فلا يُسَمَّى مُرْسَلا مطلقا ولا مُسَجَّعا بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية.

قال ابن رَشِيق في العُمْدة وكان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب إلى الغِناء بمكارم أخلاقها وطِيب أعراقها وذكْر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الأنْجاد وسُمَحَائها الاجْواد لتَهُزّ أنْفُسَها.

بسم اللـه الرحمن الرحيم

نحمدك اللـهم ونستعينك ونصلي ونسلم على صفوتك من خليقتك سيدنا ومولانا محمد الذي آتيته جوامع الكلم وأنزلت عليه كتابك المبين معجزا لجميع العالمين وعلى آله وصحبه الذين قاموا بهديه خير قيام فأشرقت بهم أنوار المدينة القويمة على جميع الأنام.

أما بعد فهذا كتاب قد جمعناه لتلاميذ المدارس الثانوية وصدّرناه بمقدّمة طويلة بيننا فيها حالة اللغة العربية قبل الاسلام وبعده وسعتها لتدوين العلوم على كثرتها واختلافها وفضلها على المدينة التي عمت جميع الممالك الاسلامية إبان عظمتها واتساعها ثم أتبعنا ذلك بتراجم بعض المشهورين من الشعراء والكتاب والخطباء والعلماء ثم أثبتنا بعض المختارات من النثر والنظم في كل عصر لتكون معتمد التلاميذ في معرفة كثير من مفردات اللغة النافعة وأساليبها الحسنة المختلفة ومعانيها الشريفة وتراكيبها المتينة فصار هذا الكتاب بذلك كتاب أدب ومطالعة ومختارات للحفظ يجد فيه التلميذ ضالته التي ينشدها وبغيته التي يطلبها.

ولما كانت كل أعمال الانسان في ابتدائها ناقصة لم تصل إلى درجة كمالها كان لنا الأمل في أن يكون هذا الكتاب في المستقبل اكما مما هو عليه الآن بعد اعادة طبعه واللـه الموفق.

إلى الكرم وتَدُلّ أبناءَها على حسن الشِيَم فتوهَّموا أعـارِيض جعلوهـا مـوازين الكلام فلما تمّ لهم وزنُهُ سَمَّوه شِعرا لأنهم شَعَروا به أي فَطَنـوا وزعـم الـرواة أن الشعر كله كان رَجَزا أو قِطَعا وأنه انما قُصّد على عهد هاشم بن عبد مناف وكان أول من قصده مهلهِل وأمرؤ القيس وبينهما وبـين مجـيء الاسـلام مائـة ونيف وخمسون سنة.

وأوّل من طوّل الرَّجز وجعله كالقصيد الأغْلَب العِجْـلي شـيأ يـسيرا وكـان عـلى عهد النبي صلى الـلـه عليه وسلم ثم أتى العَجَّاج في الدولة الاموية فـافتنّ فيـه فالاغلب والعجاج في الرجز كامرئ القيس ومهلهل في القصيد وسئل أبو عمـرو بن العلاء الحضرمي هل كانت العرب تُطِيل قال نعم لِيُـسْمَع منهـا قيـل هـل كانت توجز قال نعم لِيُحْفَظ عنهـا. ويـستحب عنـدهم الاطالـة عنـد الاِعـذار والاِنذار والترغيب والارهاب والاصلاح بين القبائل كما فعل زهير والحارث بـن حِلِزّةَ ومن شـابههما والا فـالقِطَع أطْـيَر في بعـض المواضـع والطـوال للمواقـف المشهورة

(النظـــم)

كان الشاعر العربي يقول الشعر بالبديهة لحِدّة خاطره فيرتجـل القـول ارتجـالا وقد يتعمد القول في بعض الاحيان ويُجهد خاطره فيه فقد كان لـزهير بـن أبي سُلْمَى قصائد لُقِّبَت بالّحوْليّات كان ينظم الواحدة منها ثم يُهَذّبها بنفـسه ثـم يَعْرِضها على اصحابه فلا يُشْهرها حتى يأتي عليها حَـوْل وقـد وَلَـج الـشعراء في عصر الجاهلية أبوابا كثيرة من الشعر فوصَفوا ومَدَحوا وهَجَوا وفَخَـروا ودوّنـوا الاخبار وضربوا الامثال ورغّبوا وأرهبوا ولم يتركوا شيئا وقع تحت حِسّهم حتـى تناولوه بمقالهم فأجادوا وأبدعوا مع سهولة في اللفظ ومتانة في التركيب وتَـوَخٍّ للحقيقة وبُعْد عن الغُلُوّ, ولقد تركوا فـيما تركـوه مـن أشـعارِهم مـا يمكـن أن يستخرج منه بيان لعاداتهم وسائر أحوالهم ومع أن منهم مـن سـكن الباديـة على خشونة في العـيش قـد أتـوا في كلامهـم بالعجـب العجـاب مـن الـسهولة والانسجام ورائع الحكم ودقيـق الـشعور والوِجْـدَان كـما تـرى ذلـك فـيما آوردناه في هذا الكتاب من كلامهم وجَيّـد أشـعارهم وكـان الـشعر ديـوان علمهم ومستودع حكمتهم والضابط لايامهم وقيد كلامهـم والحـاكم لهـم والشاهد عليهم وله من نفوسهم أسمى مكانة وأرفع قدر ومما يدلّك عـلى علوّ قدر الـشعر أن القبيلـة مـن العـرب كانـت اذا نبـغ فيهـا شـاعر أتتهـا القبائـل فَهَنّأتْهـا بـذلك وصـعنت الاطعمـة واجتمعـت النـساء يلعـبن كـما

يصنعن بالافراح وتباشروا به لأنه يحمي أعراضهم ويدفع عن أحسابهم ويُخَلّد مآثرهم ويُشَيّد بذكرهم وكان للشعر تأثير في النفوس وسلطة عليها حتى كانت تخشى بأسه الأُمراء وتتحاماه الكبراء وطالما وضع قوما ورفع آخرين. قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين ومما يدل على قدر الشعر عندهم بكاء سيد بني مازن مُخارِق بن شهاب حين أتاه محمد بن المُكَعْبَر العنبري الشاعر فقال له ان بني يربوع قد أغاروا على إبلي فاسْعَ لي فيها فقال كيف وأنت جار بني ودّان فلما ولّى عنه محمد حزِن مُخَارِق وبكى حتى بلّ لِحْيته فقالت له ابنته ما يبكيك فقال وكيف لا أبكي وقد استغاثني شاعر من شعراء العرب فلم أُغِثْه والله لئن هجاني ليَقْضَمَنَّني قَوْلُه ولئن كف عني ليقتُلَنَّني شُكْره, ثم نهض فصاح في بني مازن فردّت عليه إبله ومما رواه صاحب الأغاني وغيره أن أعشى قيس كان يأتي سُوقَ عُكَاظ كل عام فيتجاذبه الناس في الطريق للضيافة طمعا في مدحه اياهم والتنويه بهم في عكاظ فمرّ يوما ببني كلاب وكان فيهم رجل يقال له المحلّق وكان مِئْنائا مُمْلِقا له ثَماني بَنَات لا يَخْطُبهنّ أحد لمكان أبيهنّ من الفقر وخمول الذكر فقالت له امرأته ما يمنعك من التعرّض لهذا الشاعر واكرامه فما رأيت أحدا أكرمه الا وأكسبه خيرا فقال ويْحَك ما عندي الا ناقتي فقالت يُخْلِفها الله عليك. فتلقّاه قبل أن يسبقه أحد من الناس وكان الأعشى كفيفا يقوده ابنه فأخذ المُحَلّقُ بخِطام الناقة فقال الأعشى من هذا الذي غلبنا على خِطام ناقتنا فقيل المحلق قال شريف كريم ثم قال لابنه خَلّه يقتادها فاقتادها إلى منزله وأكرمه ونحرله الناقة وجعلت البنات يدرن حوله ويبالغن في خدمته فقال ما هذه الجواري حولي فقال المحلّق

بنات أخيك وهُنّ ثَمَان نصيبهنّ قليل فقال الأعشى هل لك حاجة فقال تُشَيِّد بذِكْرى فلعلى أُشْهَر فتُخْطَب بَنَاتي فنهض الاعشى من عنده ولم يقل شيأ فلما وافى عكاظ أنشد قصيدته التي أنشأها في مَدْحه وهى نَيْف وأربعون بيتا وفيها يقول:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار باليفاع تُحَرَّقُ
تُشَبّ لَمقْرورَيْن يصطليانها وبات على النار الندى والمُحَلَّق

فسارت القصيدَة وشاعت في العرب ولم تمض سنة على المحلق حتى زَوّج بناته ويسرت حاله اهـ

وكانت لِشُعراء العرب أَنَفة من التكَسُّب بالشِعر حتى نشأ النابغة الذُّبْياني قُبَيل الاسلام فمدح الملوك وقبِل الصِلَة على الشعر وجاء بعده الأعشى وقد أدرك الاسلام ولم يُسْلِم فجعل الشعر مَتْجَرا وانتجع به أقاصي البلاد وقصد ملك العجم فأثابه وأجزل عطيته. وكان زُهير ابن أبي سُلْمَى ممن أفاد بشعره بمدائحه لهَرِم بن سنان. على أن شيئا من ذلك لم يضَعْ مِن قدر الشعر ولم يَحُطّ من قيمته لِقّلة مَن كانوا يتكسبون بشعرهم في ذلك العصر .

ومدة العصر الجاهلي نحو مائة وخمسين سنة ومن أشهر ما قيل فيه من الشعر المعلّقات السبع وهى سبع قصائد من أجود الشعر العربي واحسنه أسلوبا ويقال انها كتبت بالذهب على الحرير وعلقت على الكعبة تنويها لها وتعظيما لشأنها وكان العرب يتناشدونها في مجتمعاتهم مترنّمين بما فيها

من محاسن الشِيَم مُعْجَبين بما اشتملت عليه من المعاني الشريفة والتشبيه الحسن البديع وحسن الوصف ودقة المعنى وغير ذلك من المحاسن وأصحابها هم امرؤ القيس وطَرَفَة بن العبد وزهير وعمرو بن كُلْثوم ولبيد وعنترة والحارث بن حِلِّزَة وكلهم من فحول شعراء الجاهلية وممن اشتهر في العصر الجاهلي من الشعراء غير أصحاب المعلقات وكان من فحول الشعراء النابغة الذُّبْيَاني والأعشى والمُهَلْهِل وعَبِيد بن الأبْرص والسَمَوْءل والشَنْفَرَي ودُرَيد بن الصِّمّة وأوْس بن حَجَر وحاتم الطائي.

النـــــثر

قد أثِر عن العرب من منثورهم في العصر الجاهلي بعضُ الامثال والحِكَم والخُطَب والوصايا مما عَلِق بالضمير لحسنه وحَرَصت عليه النفس لنفاسه (الامثال) جمع مَثَل وهو جملة وهو جملة من القول مقتطعة من أصلها أو مرسلة بذاتها فَتُنْقَل عما وردت فيه إلى ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها والعرب من أكثر الامم أمثالا للحكمة المُودَعة في نفوسهم ولفصاحة ألسنتهم وميلهم إلى الايجاز في القول. وقد أُلِّفت مجموعات للامثال وطُبِع بعضها ومن ذلك مجموعة للميداني جَمع فيها أكثر من ستة آلاف مَثل (الحِكَم) جمع حِكْمة وهى الكلام المعقول الموافق للحق المصون عن الحشو والعرب من أكثر الامم ايرادا للحكمة في عبارات حسنة الاسلوب متينة التركيب كلها من جوامع الكلم صادرة عن خبرة ودراية وصفاء نفس.

(الخُطَب والوصـايا) الخطـب جمـع خطبـة والوصـايا جمـع وصـيّة وكـلٌّ مـن الخطبة والوصية يُرَادُ به جملة من القول يقصد إلى الترغيب فيما ينفع النـاس من أمور معاشهم ومعادهم والتنفـير مـما يـضرهم وقـد تـشتمل عـلى الفخـر والمدح ونحو ذلك. والفرق بـين الخطـب تكـون في المَـشَاهد والمَجَـامع والايـام والمواسم والتفاخر والتشاجر ولَدَى الكُبَراء والأُمَراء ومـن الوفـود في أمـرٍ مُهِـمّ وخطب مُلِمّ. وأما الوصايا فانها تكون لقوم مخصوصين في زمن مخصوص عـلى شئ مخصوص وكثيرا ما كانت تصدر من شخص لعشيرته أو سيد لقبيلتـه عنـد حلول مرض أو محاولة نُقْلة أو مـا شـابه ذلـك وسـيرد عليـك في هـذا الكتـاب أمثلة لكل ما تقدّم تُفَصّل لك مُجْمَلَه وتُوَضّح لك مبهمَه السبب الذي دعا إلى الخَطَابة وما يتعلق بذلك (1)[1] لا يخفى ما كانت عليه العرب أيام جـاهليتهم مـن الأنَفَـة والتفـاخر بالأحـساب والأنـساب والمحافظـة عـلى شرفهـم وعلـوّ مجدهم وسوددهم حتى حـدث مـا حـدث بيـنهم مـن الوقـائع العظيمـة ولا شك أن كل قوم يتفـق لهـم مثـل ذلـك هـم أحـوج النـاس إلى مـا يـستنهض هممهم ويوقظ أعينهم ويقيم قاعدهم ويشجع جَبَانهم ويشدّ جَنَانَهم ويثـير أشجانهم ويستوقد نيرانهم صيانة لعـزهم أن يُـسْتَهان ولـشوكتهم أن تُـسْتَلَان وتَشَفِّيا بأخذ الثار وتَحَرُّزا من عار الغلبة وذُلّ الدَّمَار. وكل ذلـك مـن مقاصـد الخطـب والوصـايا فكـانوا أحـوجّ إليهـا بعـد الـشعر لتخليـد مـآثرهم وتأييـد مفاخرهم. ولقد كان لكل قبيلة من قبائلهم خطيب كما كان لكل قبيلة شـاعر على مـا ذكـره الجـاحظ في كتـاب البيـان. وقـد ألـف في خطـبهم كتـب كثـيرة

---

[1] (1) بلوغ الأرب في أحوال العرب

وذكر الجاحظ في البيان والتبيين نبذة صالحة من خطب الجاهلية والاسلام وكذا ابن عبد ربه في العقد الفريد. وكان للعرب اعتناء بالخطيب في جاهليتهم وللخطباء عناية بخطبهم فكانوا يتخيرون لها أجزل المعاني وينتخبون لها الالفاظ تحصيلا لغرضهم ونيلا لمقصدهم فان الالفاظ الرائقة والمعاني الجزلة أوقع في النفوس وأشدّ تأثيرا في القلوب ولذلك ورد انّ من البيان لِسحْرا. والأُذُن للكلام البليغ أصْغَى وأوْعَى والترغيب في العاجل والارهاب في الآجل اللذان هما من أهم مقاصد الخَطابة ومطالبها العالية ان لم يكونا بعبارات تَحْلُب القلوب وتأخذ بمجامعها فلا تأثير فيهما ولا فائدة منهما ومن عاداتهم في الخطابة أن الخطيب اذا تفاخر أو تنافر أو تشاجر رفع يده ووضعها وأدّى كثيرا من مقاصده بحركات يده فذاك أعون له على غرضه وأرهب للسامعين له وأوجب لتيقظهم. ومن عاداتهم فيها أخذ المْخَصرة بأيدهم وهى ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها وكانوا يستحسنون في الخطيب أن يكون جهير الصوت ولذا مدحوا سعة الفم وذموا صغره. ومن فحول خطباء الجاهلية قُسّ بن ساعدة الايِاَدي وأكْثَم بن صَيْفي التميمي وذُو الاصْبَع العَدْواني وعمرو بن كُلْثوم التَغْلبي وقيس بن زهير.

واهتداؤهم إلى تهذيب لغتهم وتوحيدها وعنايتهم بذلك

كان للعرب أسواق يقيمونها في أوقات معينة وينتقلون من بعضها إلى بعض للبيع والشراء وكان يحضرها العرب بما عندهم من المآثر والمفاخر ويناشدون الاشعار ويلقون الخطب. وكانوا يتحاكمون إلى قضاة نصبوا أنفسهم لنقد الشعر وبيان غَثّه من سمينه وتفضيل شاعر على آخر فكانوا يُفَضِّلون من سَهُلت عِبَارتَه وكان لها النصيب الأوفر من الفصاحة وحسن البيان مع التحرز من العيب والابتعاد عن النقص ويتخيرون من لغات العرب ما حلا في الذوق وخف على السمع. فكانت هذه الاسواق أندية علمية ومجتمعات لغوية أدبية اهتدى بها العرب إلى تهذيب لغتهم لفظا وأسلوبا وجَعْل لغة الشِعر والخَطَابة لغة واحدة بين جميع القبائل باذلين في ذلك جهد المستطيع. منها مَجِنَّة وذو المَجَاز وعُكَاظ. وأشهر هذه الأسواق سُوق عُكَاظ مِنْ عَكَظَه يَعْكِظه عَكْظا عَرَكَه وهى موسم للعرب من أعظم مواسمهم وعكاظ نخل في واد بين نخلة والطائف من بلاد الحجاز وبينه وبين الطائف عشرة أميال وكانوا يتبايعون في هذه السوق ويتعاكظون ويتفاخرون ويَتَحَاجُّون وينشد الشعراء ماتجدّد لهم وقد كثر ذلك في أشعارهم كقول حسان :

سأنُشر إنْ حَييت لهم كلاما ... يُنَشّر في المَجَنَّة مَعْ عُكاظ

وفيها كان يخطب كل خطيب مِصْقَع. وكان كل شريف انما يحضر سوق بلده إلا سوق عكاظ فانهم كانوا يتواتَوْن بها من كل جهة ومن كان له أسِير سَعَى في فِدائه ومن كانت له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة وكانت تقوم هذه السوق من أول ذي القَعْدة إلى العشرين منه على المشهور واتُّخِذت عكاظ سُوقا بعد عَامِ الفيل بخمس عشرة سنة وتُركت بعد أن نهبها الخوارج سنة تسع وعشرين ومائة ولعكاظ فضل على اللغة العربية في العصر الجاهلي اذ لولاها لاصبحت لغة العرب لغات لايتفاهم أصحابها وانفصلت كل منها عن الاخرى وقتاما ذلك لأن لغات القبائل العربية كان بينهما تفاوت في اللهجة والاسلوب واللفظ وكان هذا التفاوت يقل ويكثر تبعا لضعف وقوة العلاقات التي ترتبط بها قبيلتان أو عدة قبائل وتبعا لاختلاف عوامل المكان والزمان والاجتماع التي يؤثر اختلافها أعظم تأثير في اللغة فلما عَظُم شأن عكاظ وأمّها الشعراء والخطباء من كل مكان كان معظم همهم انتقاء الالفاظ الفصيحة المشهورة عند أكثر القبائل لاسيما قريش طمعا في أن تنتشر أقوالهم بين العرب كافة قال قتادة كانت قُرَيش تَجْتَبي أي تختار أفضلَ لغات العرب حتى صار أفضل لغاتها لغتها فنزل القرآن الكريم بها ولو اتبع كل شاعر أو خطيب لهجة قومه ولغة قبيلة وحدها لم يجد من يستحسنها غيرهم ووقفت عن الشهرة ولم تروها القبائل الأخرى فيفوته الافتخار بها وبذلك كان الشعراء والخطباء يبثون وحدة اللغة في أشعارهم وخطبهم فيما بين القبائل المختلفة متبعين في ذلك لغة قريش غالبا. وانما اختاروا هذه اللغة

على غيرها لما كان لها من السيادة على لغات قبائل الحجاز ونجد ولما كان لقريش من رفيع القدر وعلو المنزلة بين جميع العرب.

تاريخ الكتابة والخط عند العرب

كان الغالب على العرب في بعض عصر الجاهلية الأمِّية والذين يعرفون الكتابة والقراءة منهم نفر قليل جدّا. والزمن الذي ابتدئ فيه باستعمال الخط العربي قديم غير معين. وأوّل من كتب بالعربية على أشهر الاقوال أهل اليمن قوم هود عليه السلام وكانوا يسمون خَطّهم بالمُسْنَد وهو الخَطّ الحمْيَري وكانوا يكتبونه حروفا منفصلة ويمنعون العامّة من تعلمه حتى تعلمه ثلاثة نفر من طيئ فتصرفوا فيه وسموه بخط الجزم لانه اقتطع من خط حمير ثم علّموه أهل الآنْبار ومن الانبار انتشرت الكتابة العربية فأخذها عنهم أهل الحِيرة وتداولوها ولما قدم الحيرة حَرْب بن أمَيَّة القُرَشي جدّ معاوية بن أبي سفيان نقل هذه الكتابة من الحيرة إلى الحجاز بعد أن عاد إلى مكة والصحيح أن أهل الحجاز انما لُقِّنُوا الكتابة من الحيرة ولُقّنها أهل الحيرة من التباعية وحِمْيَر كما ذكره ابن خلدون قال وقد كان الخط العربي بالغا مَبَالغة من الاتقان والاحكام والجودة في دولة التبابعة لِماَ بلغت من الحضارة والتَرَف وانتقل منها إلى الحِيرة لِماَ كان بها من دولة آل المنذر نُسَبَاء التبابعة والمجدّدين لملك العرب بأرض العراق.

العرب غير البائدة يرجعون إلى أصلين وهما قحطان وعدنان. أما قحطان وهم عرب اليمن فقد كانوا على جانب عظيم من المدنية والحضارة والغالب منهم سكن البلاد المعمورة وبنوا القصور وشيدوا الحصون وكانت لهم مدن عظيمة قد شرح حالها أهل الخبار شرحا وافيا. وكان لهم ملوك وأقيال دوّخوا البلاد وأوغلوا في الارض واستولوا على كثير من أقطارها شرقا وغربا. كل ذلك يدل على وقوفهم على العلوم التي لابد منها في حفظ النظام وعليها مدار المعاش وسياسة المدن وتدبير المنازل والجيوش وتأسيس الامصار واجراء المياه مما لا يمكن وجوده مع الجهل وعدم المعرفة. وأما بنو عدنان ومن جاورهم من عرب اليمن بعد أن فرقتهم حادثة سيل العرم فقد كانوا على شريعة موروثة وعلم منزل وهو ما جاء به ابراهيم واسماعيل عليهما السلام إلى أن اختل أمرهم وتغير حالهم فاشتغلوا بما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم أو ما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنْوَاء والنجوم أو من الحروب ونحو ذلك. وكان لهم حظ وافر من معرفة الطب المبني في غالب الامر عى التجربة وكذلك التاريخ فقد تضمن شعرهم شيئا كثيرا منه. غير أن تدوين شئ من ذلك في عصر الجاهلين لم يكن لغلبة الأمّية والاعتماد على الذاكرة وقد نقل ما نقل منه بالرواية والسماع. وكان يقال لهم الأمّة الامّية قال تعالى (هو الذي بعث في الأمّيين رسولا منهم

يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) اه بتصرف من كتاب بلوغ الأرب في أحوال العرب وقال ابن خلدون وياقوت ما كان في القديم لأحد من الأُمَم في الخلفية ما كان للعرب من المُلْك ودُوَل عادٍ وثمود والعَمَالِقة وحِمْيَر والتَّبَابعة شاهدة بذلك وقد ملكوا مصر والروم واستعملوا عليها أحد القياصرة وتوغلوا في الهند والصين وبلاد الفرس والترك والتُّبَّت وأخذوا الأَتَاوَى من القسطنطينية وذكروا ذلك في أشعارهم وغير ذلك مما لا نطيل به ثم دولة في الاسلام بني أمية وبني العباس.

جاء الاسلام ولغات العرب ولهجاتهم متشبعة غير أن لغتين منها كانت لهما السيادة على سائرها. الاولى لغة قريش وكانت في مكة وما جاورها. والثانية لغة حِمْيَر وكانت في بلاد اليمن. وقد تقدّم في الكلام على عكاظ أن الشعراء والخطباء كانوا يُـؤْثِرون لغـةَ قريش على سائر لغات العرب ويَبُثُّونها بين القبائل كافة في خطبهم وأشعارهم وكان ذلك قبل ابتداء نزول القرآن الكريم بنحو خمس وعشرين سنة. ولما كان القرآن الحكيم منزلا بلغة قريش أصبحت السيادة لها على لغة حمير وغلبت عليها وعلى جميع لغات العرب ودآنَ لها الخطباء والشعراء وسائر المتكلمين بالعربية وصارت بعد ذلك هى اللغة المُتداولة في المكاتبات والمؤلفات في جميع العلوم إلى يومنا هذا والفضل في بقائها وحفظها انما يرجع إلى الكتاب المجيد وحده ولما فتح المسلمون بلاد الشام والعراق والفرس ومصر وافريقية والمغرب وغير ذلك من البلاد انتشرت اللغة العربية بانتشار العرب وتغلبت على لغاتها الاصلية ولكنها لم تَعُمّ جميعَ الناس دفعة واحدة شأن كل لغة جديدة في مبدأ انتشارها ولقد كان هذا الانتشار سببا لظهور اللحن على لسان من تكلم بالعربية من غير أهلها وكذا على لسان بعض أهلها من المخالطين لهؤلاء. وهذا أمر كان مُتَوَقَّع الحصول لأن اللغة مَلَكة صناعية تؤخذ مفرداتها وأساليبها بالتلقين. فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل

جيله وأساليبهم في مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيُلَقّنها أولا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم يتجدّد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم. فلما خالط العرب غيرهم صار الناشئ منهم يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده ويسمع كيفيات العرب أيضا فاختلط عليه الامر وأخذ من هذه وهذه. ولقد وفَّى ابن خلدون في مقدّمته هذا المقام حقه من البيان. وانك لترى اليوم من المتكلمين بلغتنا من الافرنج ما يوضح لك ذلك من لهجتهم وأساليب عباراتهم التي هى في الحقيقة أساليب لغتهم الاصلية صبغوها صبغة عربية. ولقد ظهر شئ من اللحن في كلام الموالي والمتعرّبين من أوّل عهد الاسلام. من ذلك ما روى أن رجلا لحن بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرْشِدوا أخاكم فقد ضَلّ. وكتب كاتب لأبي موسى الاشعري إلى عمر رضى الله عنه فلحن فكتب عمر إلى أبي موسى أن اضرب كاتبك سوطا واحدا. غير أن اللغة في العصر الاوّل كانت ملكتها مستحكمة وما ظهر من اللحن كان يسيرا. وفي أوائل الدولة الأموية أخذ اللحن يفشو وينتشر وانتقل من الاعاجم إلى العرب أنفسهم من أبناء الخلفاء والامراء والخاصة والعامّة. ومن شواهد ذلك أن زِيَاد لما أوْفَد ابنَه عُبَيد الله إلى معاوية كتب إليه معاوية أن ابنك كما وَصَفْتَ ولكن قَوّمْ لِسانَه. وجاء رجل إلى زياد وهو أمير البصرة فقال أصلح الله الامير تُوُفِّ أبانا وترك بَنُونا فقال زياد متعجّبا مُنْكِرا توفى أبانا وترك بنونا. وقالت

ابنة أبي الاسود الدُّؤَلي له يوما ما أحسنُ السماءِ فقال نُجُومُها فقالت اني لم أرد هذا أو انما تعجبت من حسنها فقال لها اذاً فقولي ما أحسنَ السماءَ وافتحي فاك. وسمع ابو الاسود قارئا يقرأ قوله تعالى (ان الله بريء من المشركين ورسوله) بجرّ رسوله فأكبر ذلك وقال عز وجه الله أن يبرأ من رسوله. وكان هذا سببا في وضع علامات الاعراب للمصحف بأمر زياد. وقال الحجاج يوما للشَّعْبي كم عطاءَك فقال ألْفَين قال ويحك كم عطاؤك فقال ألفان قال كيف لحنت أوّلا قال لحن الامير فلحنت فلما أعرب أعربت. وقيل لعبد الملك بن مَرْوان لقد عجل إليك الشَّيْب يا أمير المؤمنين فقال شَيَّبَني ارتِقاء المَنَابر وتَوَقُّع اللَّحْن. وكان الوليد بن عبد الملك كثير اللحن وله في ذلك نوادر كثيرة.

الكتابة والخط

كان انتشار الكتابة قبل الاسلام قليلا بين العرب كما تقدّم ومنذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم انتشرت الكتابة للحاجة اليها في كتابة الوحي والرسائل التي كان ينفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والامراء وقد أمر بعد غزوة بدر من لم يكن له فداء من الأسْرَى أن يُعَلِّم عشرة من أطفال المسلمين الكتابة. ولما كثرت الفتوح في مدّة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه وضَعَ دِيوانَ الخَرَاج وديوان الجيش لضبط الاعمال وكان ذلك في المحرم سنة عشرين. وقد كان ديوان الخراج

والجِبَايات في بلاد العراق والشام ومصر يُكتب فيه بغير العربية إلى زمن عبد الملك بن مروان وابنه الوليد حين ظهر في العرب ومواليهم مَهَرة في الكتابة والحساب فنقل ديوان العراق من الفارسية إلى العربية والذي نقله هو صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان يكتب بالعربية والفارسية. ونقل ديوان الشام من الرومية إلى العربية والذي نقله هو سليمان بن سعد وإلى الأُرْدُن وأكمله لسنة من ابتدائه ووقف عليه كاتب عبد الملك فقال لِكُتاب الرُّوم اطلبوا العيش من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم. ونقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية والذي نقله هو عبد الله بن عبد الملك ابن مروان في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين وأصبحت الدواوين الاسلامية بعد ذلك تكتب كلها بالعربية. وأوّل كتاب كتب باللغة العربية هو القرآن الكريم وقد كتبت المصاحف العثمانية بخط الجزم (وسمى بالخط الكوفي بعد انشاء الكوفة) واستعمل في عهد بني أمية مع ترقيه في درجات الحس تبعا لحضارة الأمّة. وقد كان المصحف خياليا من الشكل والنقط غير أنه لكثرة المسلمين بسرعة انتشار الدين وظهور اللحن والتحريف خُشىَ على القرآن الكريم من ذلك فقام أبو الاَسْوَد الدُّؤلي ووَضَع له علامات الاعراب في أواخر الكلمات بصِبْغ يُخالِف لَون المِداد الذي كُتب به المصحف. وجعل علامة الفتح نُقْطة فوق الحرف والضم نقطة إلى جانبه والكسر نقطة في أسفله والتنوين مع الحركة نقطتين وذلك في خلافة معاوية. ثم ان الحجاج في مدّة عبد الملك بن مروان أمر نصر بن عاصم أن يضع له النقط والشكل لأوائل الكلمات وأواسطها وخالف في ذلك طريقة أبي الاسود لئلا يلتبس النقط

بالشكل. وبعد ذلك جاء الخليل بن أحمد فتمم بقية علامات الاعجام (الشكل) كالشَّدّة والصِلَة والقطعة وهذب جميع العلامات فجعل الضمة واوا صغيرة فوق الحرف والكسرة ياء صغيرة تحته والفتحة ألفا مسطوحة فوقه والشدّة رأس سين والصلة رأس صاد وسمى كل هذه العلامات بالشكل أخْذًا مِن شِكَال الدابة الذي تقيّد به فكأن شكل الكلمة يقيدها عن الاختلاف فيها وكان المعروف من الخط في ذلك العصر نوعان. أحدهما يستعمل في كتابة المصاحف ونحوها والمسكوكات مما يُحْتاج فيه إلى التّأنّق والاجادة وحُسْن النَسَق. وثانيهما يستعمل في كتابة الرسائل ونحوها مما يُطلَب فيه الاسراع ولا يُحتاج فيه إلى التأنق وزيادة التحسين. والنوع الاوّل هو المعروف بالخط الكوفي وأما النوع الثاني فانه أصل خط النَسْخ ارتقى في الحُسْن والجَوْدة شيأ فشيأ حتى تحوّل إلى ما هو عليه اليوم. ثم ان الخط بنوعيه انتقل إلى الامصار التي انتشر فيها الاسلام وتنوّعت أشكاله ورسومه فانتقل في عصر الامويين إلى أفريقية وتولد منه الخط المغربي المستعمل الآن في المغرب الاقصى والجزائر وتونس وطَرَابُلُس.

قد أخذت اللغة العربية عند ظهور الاسلام وِجْهَةً دينِيّة من القيام بالدعوة إلى الدِّين والوعظ وتبيين العقائد الصحيحة وقواعد الاسلام وأصوله وأحكامه وحِكَمه وآدابه. وانك لترى في كلام الصدر الاول من أهل الاسلام الحَثّ على اتّباع الدين والتمسك به واعلاء كلمة الحق والعمل للآخرة والأخذ من الدنيا بنصيب والتحذير من الاسترسال مع الشهوات والأهواء والنظر إلى خيرات الأقاليم التي فتحها المسلمون والتطلع إليها خوف الوقوع في الزَّلَل. فترى رسائل هذا العصر المنير وخُطَبه تُرَدِّد صدى الكتاب العزيز حاثّة على الفضيلة مُنَفِّرة من الرزيلة. وكُلُّها جاء فيه اللفظ تابعا للمعنى لم يُتَعَمَّد فيه ضَرْب من ضروب الصنعة الكلامية صادرة عن شعورٍ حَيّ ووجْدان صادق ولذا نَفَذت إلى سُوَيداء القلوب وأصابت مواقع الوجدان. واذا كان الكلام خارجا من القلب فانه يقع في القلب واذا لم يكن صادرا الا عن اللسان فانه لا يتجاوز الآذان. وقد قضت هذه الحكم والمواعظ والخطب والنصائح على الرذائل والأوهام بالزوال وفَسّحت للفضائل والحقائق فرأت أهلا ومكانا سهلا فتحلّت بها النفوس والعقول وقويت العزائم وعَلتْ الهِمَم فساد المسلمون جميع الأمم. ويرى الناظر إلى حالة اللغة في عصر الدولة الاموية انها انتقلت إلى حالة أجمل مما كانت عليه لانتقال القوم من البداوة إلى الحضارة ومن سكنى الخِيام إلى سكنى القصور فاتسعت مداركهم وزادت تَجَارِبُهم

وقوِى فيه الخيال وكثرت التصورات وانتقلوا من حال إلى حال فأشعر ذلك نفوسّهم معانىَ جديدة ووِجدانا وعلما لم يكونا من قبل. فاحتاجوا إلى العبارة عن ذلك بما يلائمه من الالفاظ والتراكيب وساعدهم على صوغ العبارات في القالب اللائق بها قوة اللغة واتساعها وأخذهم بزمامها. وقد ظهر ذلك في خطبهم ورسائلهم ظهورا بَيِّنًا وكانت موضوعاتها في الغالب الوَعْظ والارشاد والذَّود عن الحقوق وايقاف الاطماع عند حَدّها وكَبْت الخارجين وتأليف الاحزاب وتوحيد الكلمة وكانت العبارات لا تزال آخذة اسلوبا حَيًّا مؤثِّرا مع إحكام صنعةٍ وحسن عبارة وجودة مقاطع.

الخَطَابة

كانت خُطَب الصدر الاول من الاسلام في اسمى طبقات الفصاحة والبلاغة كما ترى ذلك في خطب الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة والتابعين كمعاوية وزِيَاد وعبد الملك والحجَّاج وقَطَرِيّ بن الفُجَاءة وأبي حمزة وواصل بن عطاء. والفضل في ارتقاء الخَطابة يرجع إلى الكتاب المبين من وجوه كما بَيّن ذلك صاحب كتاب أشهر مشاهير الاسلام قال في بيان هذه الوجوه

(1) ان القرآن الكريم وان نزل بلغة القوم التي بها يتخاطبون وبفصاحتها يتفاخرون إلا أن أساليبه العالية التي أعجزت خطباءهم

وفصحاءهم وأخـذت بمجـامع قلـوبهم ألْبَـسَتْهم مَلَكـة مـن البلاغـة في تَخَـيُّرَ الاساليب غَيّرت مَلَكَتهم الاولى وأطْلَقَت ألسنَتَهم من الوحشية والتعمق الـذي كان دَيْدَان كثير من خطبائهم حتى انهم كانوا يعيبون الخطيب المِصْقَع اذا لم يكن في كلامه شئ من آي القرآن. روى الجاحظ أن العـرب كـانوا يستحـسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع آي من القرآن فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار وحسن الموقع.

(2) ما جاء في القرآن من الترغيـب والارهـاب عـلى الاسـلوب البـالغ حـد الايجاز وما كان له من التأثير في الضمائر والاخذ بشكائم النفوس أعانهم عـلى التفنن في أساليب الوعظ الخطابي عند حلـول الازمـات أو الحاجـة إلى تـأليف قلوب الجماعات حتى لقد كان الخطيب البليغ يـدفع بالخطبـة الواحـدة مـن المُلِمّات ما لا يُدْفَع بالبيض المُرْهَفـات ويملـك مـن قلـوب الرجـال مـا لا يُمْلـك بالبِدَر والاموال.

(3) ان الاسلام بمـا هَـذَّب مِـن أخلاقهـم وألاَنَ مـن طبـاعهم وعَـدّل مـن شِميهم أدخل من الرقة على عواطفهم ما رق به كلامهم وكَثُر للمعـاني المـؤثرة في النفوس اختيارهم في مخاطبتهم وخطبهم .

(4) ان الاسلام بما مهد لهم من سبيل الفتح ومخالطة الامم وبمـا مـنحهم من سعة الـسلطان والـسيادة عـلى الـشعوب وفّرَ لهـم الاسـباب الداعيـة إلى التوسع في الخطابـة بمـا تتطلبـه حاجـة التوسـع مـن الملـك وتقتـضيه عـادات

الأمم المحكومة وأخلاقها ا ه بتصرف يسير في العبارة وكان الخطباء في هذا العصر يمسكون بيدهم العصا أو المِخْصرة كما كان عليه خطباء الجاهلية قال عبد الملك بن مروان لو أَلْقَيْت الخَيْزُرانة من يدي لذَهَب شَطْر كلامي.

الرســـائل

في صدر الاسلام كانوا يكتبون من فلان إلى فلان وجرى على ذلك الصحابة والتابعون حتى ولِّي الوَليد بن عبد الملكف فأمر أن لا يكاتِبه الناس بمثل ما يكاتِب بعضهم بعضا وبقى الحال كذلك الا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد حيث اتبعا السنة الاولى وبعد ذلك رجع الامر إلى ما كان عليه الوليد. وفي أواخر الدولة الأموية أخذت الرسائل أسلوبا غير الذي كانت عليه ودخلتها الصنعة والقصد إلى تنميق اللفظ وابتدأ ذلك الانقلاب بعبد الحميد بن يحيى الكاتب وهو أوّل الطبقة الثانية من الكتاب. وكانت الرسائل قبل عبد الحميد موجزة غالبا ثم طُوِّلت لاقتضاء المقام تطويلها.

النظـــــم

قد انصرف العرب عن الشعر والمنافسة فيه في أوّل عصر الاسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوؤة والوحي وما أدهشتهم من أسلوب القرآن ونظمه فَأُخْرِسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ثم استقر ذلك وأُونسَ الرُشْد من المِلّة ولم ينزل الوَحْي في تحريم الشعر

وحَظْره وسمعه النبي صلى الـلـه عليه وسلم وأثاب عليـه فرجعـوا حينئـذ إلى دَيْدَنهم منه. وكان لعُمَر بن أبي ربيعة كبير قريش لـذلك العهـد مقامـات فيـه عالية وطبقة مرتفعـة وكـان كثـيرا مـا يَعْـرِض شِـعْره عـلى ابـن عبـاس فيقـف لاستماعه مُعْجَبا به ثم جاء من بعد ذلك المُلْك والدولة العزيزة وتَقَرَّب الـيهم العرب بأشعارهم يمتدحونهم بها ويجيزهم الخلفاء بأعظم الجوائز على نـسبة الجودة في أشعارهم ومكانهم من قومهم ويَحْرِصون عـلى اسـتهداء أشـعارهم يَطَّلِعون منها عـلى الآثـار والاخبـار واللغـة وشرف اللـسان. والعـرب يطـالبون وليدهم بحفظها ولم يزل هذَا الشأن أيام بني أمية وصدرا من بني العباس ا ه من المقدّمة لابن خلدون من الفصل الخمسين من الكلام عـلى العمـوم. وقـال حَمّاد الراوية أَمَرَ النُعمانُ فنُسِخت له أشعار العرب في الطُنُـوج أي الكـراريس فكُتِبت له ثم دَفَنها في قَصْره الآبْيض فلمّا كان كان المختـار بـن عُبَيـد قيـل ان تحت القصر كنْزا فاحتَفَره فأخرج تلك الاشعار فِمن ثَمّ كان أهل الكُوفة أعلـم بالاشعار من أهل البَـصْرة. وقـال ابـن خلـدون أيـضا ان كـلام الاسـلاميين مـن العرب أعلى طبقة في البلاغة من كلام الجاهلية في منثـورهم ومنظـومهم فانّـا نجد شعْر حَسّان بـن ثابـت وعمـر بـن أبي ربيعـة والحُطَيْـة وجَريـر والفَـرَزْدق ونُصَيْب وغَيْلان ذي الرُّمّـة والأحْـوص وبَـشَّار ثـم كـلام الـسَّلَف مـن العـرب في الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية في تَرَسُّلهم وخُطَبهم ومُحَـاوَرتهم للُملُـوك أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابِغة وعنترة وابـن كُلْثـوم وزُهَـير وعَلْقمـة بـن عَبَدَة وطَرَفة بن العَبْـد ومـن كـلام الجاهليـة في منثـورهم ومحـاورتهم والطبـع اسـليم والـذوق الـصحيح شـاهدان بـذلك للناقـد البـصير بالبلاغـة. والـسبب

في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن الكريم والحديث الشريف اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثلهما لكونها وَلَجَت في قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم فنهضت طِبَاعهم وارتقَت مَلَكاتهم في البلاغة على مَلَكات مَن قَبْلَهم من أهل الجاهلية مِمّن لم يَسْمَع هذه الطَبَقة ولا نشأ عليها فكان كلامُهم في نَظْمهم ونَثْرهم أحسنَ دِيباجةً وأصفَى رَوْنقاً مِن أولئك وأرْصَفَ مَبْنىً وأعْدَل تثقِيفا بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة ا ه. والشعراء الذين أدركوا الجاهلية والاسلام يُسَمَّون المُخَضْرَمين (من الخَضْرمة وهى الخَلْط لانهم جَمَعوا بين العَصْرَين الجاهلي والاسلامي) ومِن أشهرهم حسّان بن ثابت والنابغة الجَعْدِي وكَعْب بن زُهَير والعَبّاس بن مِرْداس والحُطَيْئَة. وأما الذين لم يُدْرِكوا عصر الجاهلية بل نَشَؤا في الاسلام بعد هؤلاء المخضرمين فانهم يسمون بالاسلاميين ومِن أشهرهم جَرِير والفَرَزْدق والأخطل وذو الرُّمْة والكُمَيت وبَشَار ابن بُرْد آخرهم وهو ممن أدرك العصرين الآموي والعباسي. وكلا الفريقين يُسْتَشْهد بكلامه في اللغة ويُحْتَجّ به. وقد امتاز الشعر في هذا العصر ببلاغة في المعنى ومتانة في التعبير وإحكام في التركيب مع رقّة وحُسْن تصرف في القول وسَعة في التصوّر فاق في كل منها الشعر الجاهلي. ولم يزل للشعر من المكانة في النفوس في العصر الأموي وصدر من العصر العباسي مثل ما كان له في العصر الجاهلي وان كان بعض المخضرمين كالحطيئة والاسلاميين كالأخطل وجرير اتّخذوه صناعة للتكسب وطَلَب الرّزْق من السادات والامراء والخلفاء فان ذلك لم يَحُطّ مِن قَدْره ولم يَخْضِد من شوكته ومن

شواهد ذلك ما رواه الجاحظ في البيان عن أبي عبيدة قال كان الرجل من بني نُمَير اذا قيل له ممن الرجل يقول نُمَيري كما ترى فما هو إلاّ أنْ قال جرير :

فَغُضّ الطَرْف إنّك من نمير فلا كعبا بَلَغْتَ ولا كلابا

حتى صار الرجل من بني نمير اذا قيل له ممن الرجل قال من بني عامر. وروى الجاحظ أيضا عن أبي عبيدة قال كان الرجل من بني أنفْ الناقة اذا قيل له ممن الرجل قال من بني قُرَيْع فما هو الا أن قال الحطيئة قَوْمٌ هُمُ الانْفُ والاذْنَاب غَيْرُهُمُ ومَن يُسَوّي بأنف الناقة الذَنَبا حتى صار الرجل منهم اذا قيل له ممن الرجل قال من بني أنف الناقة.

العلوم والمعارف

جاء القرآن المجيد بحكمه السامية وأحكامه العادلة كافلا لمن عمِل به سعادة الدنيا والآخرة فوجد فيه المسلمون غُنْيَتَهم وجَعَلوه هو والسُّنّة النَبَوية عُمْدَتَهم ومَرْجعَهم مدّة الخُلَفاء الراشدين والدولة الأموية. وكان الصحابة رضوان الله عليهم يفهمون دقائق الكتاب ويدركون حِكمَه وأسراره ويعرفون أحكامه من غير احتياج إلى تعلم العلوم اللسانية كالنحو والصرف وعلوم البلاغة ومَتْن اللغة لانّ الكتاب كان مُتَنَزّلا بلُغَتهم التي هم بها يتخاطبون وكانوا على علم تام بالحوادث التي نزل

فيهـا القـرآن وبأسـباب النـزول والناسـخ والمنـسوخ وأنـواع النَسْخ والمحكـم والمتشابه والمجمل والمفصل إلى آخر علومه التي أفردها الأئمة بالتأليف وغايـة الاشتغال بهذه العلوم اللسانية انما هو الوصـول إلى معرفـة اللغـة كـما كانـت تعرفهـا العـرب. ولم يكـن لـديهم مـن بقايـا قـدمائهم في العلـوم الدنيويـة الا البعض كالطّبّ الذي ورثوه عن أسلافهم. ولا يذهبن بك الـوهم إلى أن الـدين الاسلامي يصدّ عن الاشتغال بالعلوم والفنون الدنيوية اذ الكتاب العزيـز جـاء حاثا على النظر في ملكوت السموات والارض منبها إلى الانتفاع بكـل مـا يمكـن الانتفـاع بـه مـن هـذه الخليقـة بـصريح العبـارة في الآيـات العديـدة غـير أن المسلمين في أوّل ظهور الاسلام كان يمنعهم عن الاشتغال بهذه العلـوم انـصرافهم إلى القيام بدعوته وتَصَدِّيهم لتهذيب جميع العالم وترقيته وتخليص من حَـوْلَهم منَ الامَم مِن شوائب الأوهام والرذائل. فكانوا خُصَمَاء للعالم كلـه. فلـما تـضمّخ الخافِقانِ بطيب عبيره وارْتَوى الافُقانِ مـن عُـذَيب نَمـيره واسـتقرّت مـن الـدين دعوته وعلت كَلِمته ونَفَذَت شَوْكته وُجّهَت العناية إلى تلك العلـوم الدّنيويـة في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية. وقد ظهـرت آثـار العلـوم العقليـة في أوائل القرن الثـاني وترجمـت جملـة مـن الكتـب العلميـة والـصناعية. وكـان الصحابة رضوان اللـه تعالى عليهم أجمعـين يـسنظهرون الاحاديـث النبويـة ولا يكتبونها وجرى التابعون على سنتهم حتى كانت خلافـة عمـر ابـن عبـد العزيـز رضى اللـه عنه فكتب إلى الافاق (أنظروا حدث رسول اللـه صـلى اللــه عليـه وسلم واجمعوه) ودوّنـه بـأمره محمـد بـن شـهاب الزُهْـري المتـوفَى سـنة 125 وكان ابتداء تدوين الحديث على رأس المائة. وبعد ذلك دُوّنـت كُتُـب الحـديث

تِباعا في عصر العباسيين ووجهت إليها العناية حتى ضبطت ضبطا محكما. وأما البراعة في الآداب من العلم بوقائع العرب وتاريخهم وقول الشعر وانشاء البليغ من النثر فانها قد بلغت في خلافة بني أمية مبلغا لم تبلغه أمة قط في مثل مدّتها. وقد كان الخلفاء من بني أمية يُعْلُون مَنْزِلتها ويرفعون مكانات الشعراء والخطباء والعلماء وكذا الدولة العباسية وأخبار المهدي مع المفضَّل وحَمّاد وحديث الرشيد مع الاصمعيّ حلية تلك القلادة وقال الامام أبو الحسن بن سعيد العسكري بلغ من عناية بني أمية وشغفهم بالعلم انهم ربما اختلفوا وهم بالشام في بيتٍ من الشِعر أو خَبَرٍ أو يوم من أيام العرب فيُبرِدون فيه البَرِيد إلى العِراق حتى قال أبو عبيدة ما كنا نفقِد في كل يوم راكبا من ناحية بني أميّة ينيخ على باب قَتَادة يسأله عن خَبَرٍ أو نَسَب أو شِعر فقدِم عليه رجل من عند أبناء الخلفاء من بني مروان فقال له مَن قَتَل عامرا وعمرا التغِلبيَّين يومَ قِضَّة فقال أجَلْ قَتَلهما جحدر بن ضُبَيْعَةَ بن قَيس بن ثَعْلَبة فشخَصَ بها ثم عاد إليه فقال قتلهما جَحْدَر ولكن كيف قتلهما جميعا فقال اعْتَوَرَاهُ فطعَن هذا بالسّنَان وهذا بالزُّجُ فَعَادَى بينهما بينهما ثم قال ولم يزل المأمون حين دخل العراق يراسل الاصَمعيّ في أن يجيئه ويحرص على ذلك والشيخ يعتذر بضعفٍ وكِبَرٍ ولم يُجِب فكان الخلفية يجمع المسائلَ ويُنْفِذها اليه إلى البصرة ا ه باختصار. وقد كتب شئ من التاريخ في زمن معاوية رضى الله عنه وقال ابن خلكان أنه رأى تأليفا لوهب بن منبه المتوفي سنة 116 في أخبار ملوك حمير وَأشعارهم وكان وضع علم العربية في آخر عهد الخلفاء الراشدين بسبب انتشار اللحن وأول من وضعه وأسس قواعده أمير

المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم اللـه وجهه وأخَذه عنه أبو الاسْوَد الدُؤَلي وأتمّه.

قال أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري في كتابه تاريخ الادباء بعد كلام مانصه وسبب وضع علي كرم اللـه وجهه لهذا العلم ما روى أبو الاسود قال دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فوجدت في يده رُقْعة فقلت ما هذه يا أمير المؤمنين فقال اني تأملت كلام العرب فوجدته قد فسَد بمخالطة هذه الحَمْراء (يعني الاعاجم) فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه. ثم ألقى إليّ الرقعة وفيها مكتوب (الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبئ به والحرف ما أفاد معنى) وقال لي انْحُ هذا النَحْو وأضِفْ إليه ما وقع إليك واعلم يا أبا الاسود أن الاسماء ثلاثة ظاهر ومضمر واسم لاظاهر ولا مضمر (وأراد بذلك الاسم المبهم). قال ثم وضعت بابي العطف والنعت ثم بابي التعجب والاستفهام إلى أن وصلت إلى باب ان واخواتها فكتبتها ما خلا "لكنّ" فلما عرضتها على أمير المؤمنين عليه السلام أمرني بضم "لكنّ" إليها. وكنت كلما وضعت بابا من أبواب النحو وعرضته عليه إلى أن حصلت ما فيه الكفاية فقال ما أحسن هذا النحو الذي نحوتَ فلذا سُمِّى "النحو" ا ه.

وأخذ عن أبي الاسود جمع من الطُلّاب من أشهرهم نصر بن عاصم المتوفي سنة 89 بالبصرة وهو واضع النقط والشكل للمصحف كما

تقدم. وجاء بعده جمع من آئمة العربية أحكموا ترتيب القواعد وأكثروا من الادلة والشواهد وسيرد عليك ترجمة بعضهم في هذا الكتاب.

حالة اللغة العربية وآدابها

في عصر الدولة العباسية وما بعدها

جاءت الدولة العباسية وقد انتشرت العرب في أنحاء المعمورة وامتدّ ملكهم شرقا وغربا من الهند إلى الاندلس ودانت لهم أمم كثيرة مختلفة اللغات واللهجات دخل أكثرهم في الاسلام واختلطو بالعرب وتكلموا بلغتهم فكثر المتكلمون بالعربية من غير العرب وهم كما تعلم من الاعاجم الذين لم تكن العربية ملكة فيهم كالعرب فسرى الفساد إلى اللغة وفشا الّلْحن والتحريف. وكان أوّل ما ظهر ذلك في المُدن والامصار ثم دبّ إلى البَدْو بعد زمن طويل لقلة اختلاطهم بالاعاجم. ومن لم يختلط منهم لم تفسد لغته. وكانت سرعة الفساد وبطؤه تابعين لكثرة المخالطة وقلتها ولما تغلب العجم من الديلم والسلجوقيه على الممالك الاسلامية في بلاد فارس والعراق والشام زاد فساد اللغة وكاد اللسان العربي يذهب لولا الكتاب المجيد. وبعد أن سقطت الدولة العباسية وتغلب التَّتر والمُغُول بالمشرق (ولم يكونوا وقت تغلبهم مسلمين ثم دخلوا في الاسلام بعد ذلك) أخذت اللغة العربية في البلاد الفارسية وما جاورها في الاضمحلال حتى لم يبق لها رسم في الممالك الاسلامية

بالعراق العجمي وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند وبلاد الروم الاّ في كُتُب الحديث والدِّين وبعض كتب العلم حتى ان كثيرا من مؤلفاتها كتب بغير اللغة العربية كالتركية والفارسية والهندية وذهبت أساليب اللغة من النثر والنظم الا قليلا وبقيت العربية ببلاد العرب والعراق العربي والشام ومصر وبلاد المغرب ثم تشرّف بالاسلام أولئك المتغلِّبون فعاد في بلادهم إلى العربية بعض رُوَائِها وفاضَ بعد أنْ غاض مَعِينُ رَوَائِها غير أن لغة الكلام أصبحت بعيدة عن لغة الكتابة لكثرة ما دخلها من التغيير والتبديل واتسعت مسافة الخلف بينهما. فالكتابة لا تزال باللغة العربية الصحيحة في الكتب المعتبرة وأما الكلام فقد تغلبت عليه اللغة العامية وهى خليط من اللغة العربية بعد تحريف كلماتها وتغيير أساليبها ولهجتها مع بعض كلمات وأساليب من لغات أخرى امتزجت بها. وهذه اللغة العامية كل يوم في تقلب وتغير لاختلاف المخالطين لأهلها من الاعاجم وتفاوت سلطتهم قوة وضعفا. ولذا تجد اللغات العامّية تختلف في لهجتها وبعض كلماتها باختلاف البلاد والعصور كما ترى ذلك في لغة أهل مصر والشام وبلاد المغرب اذا قارنتها بعضا ببعض وفي لغة أهل الجزائر اليوم ولغتهم قبل ذلك بخمسين سنة. ولقد أتى في مصر والشام زمن طويل على اللغة العامّية زاحمت فيه اللغة العربية الصحيحة في الكتابة وفي بعض المؤلفات كما ترى شيأ من ذلك في تواريخ ابن اياس والجبرتي والانس الجليل وربما تعمَّد مؤلفوها ذلك لاِفهام العامّة وتراه أيضا في كتابة الدواوين بمصر في القرن الماضي ولا تزال آثارها ظاهرة إلى اليوم ظهورا بينا في بعضها وقليلة أو نادرة في بعضها الآخر.

بل كانت لغة الدواوين في مصر بعضها لا يفهم لبعده عن كل من اللغة العامّية واللغة الصحيحة ولكن عناية الله تعالى تداركت هذه اللغة الشريفة وهى على آخر رمق من حياتها بعلماء أفاضل أخذوا بناصرها من زمن غير بعيد ونهضوا بها نهضة لم تكن في الحسبان حتى أرجعوا إليها بعض ما فقدته من قوّتها.

النثر والنظم

اتسع نطاق النثر في العصر العباسي اتساعا عظيما ودوّنت به جميع العلوم من دينية وأدبية ورياضية وطبية وفلسفية وغير ذلك مما وضعه المسلمون أو ترجموه من اللغات الاجنبية إلى اللغة العربية وقد استدعى هذا استعمالَ هذا كثير من الالفاظ بحسب اصطلاحات العلوم والفنون كما ترى ذلك في اصطلاحات علوم الدين والأدب والرياضة والطب والفلسفة من الألفاظ العرفية المستحدثة وكانت عبارة التأليف من ابتداء تدوين العلوم إلى حوالي القرن الرابع خالية من التعقيد حسنة الأسلوب متينة التركيب قريبة المأخذ لاسيما علوم الأدب والشريعة أصولا وفروعا حتى كتب القواعد النحوية من اللغة. وكذا كان شأن الرسائل والتحرير في أي غرض كان في ذلك العصر الذي زهت فيه العلوم وحَيِيَت الآداب وعَمّت الحضارة والمَدَنية وبلغ كل ذلك غايته من الارتقاء بين الأمّة الاسلامية. غير أنه دخل شئ من التكلف في النثر والنظم ولكنه كان

مستترا بحسن السبك وإحكام الصنعة في الغالب ولم يكن ليؤثر في جملة المنظوم والمنثور تأثيرا كبيرا لقلته ولحسن التصرف فيه وبعد ذلك أخذت هذه الحياة الادبية في الضعف تبعا لضعف الخلافة العباسية العربية وكثر التكلف في الكتابة والنظم ومال كثير من الكتاب إلى السجع وكاد بعضهم يهمل جانب المعنى لاهياً عنه بالالفاظ وتنميقها والجناس ونحوه من المحسّنات اللفظية حتى صنفت كتب بالكلام المسجوع كتاريخ العتبي والفتح القدسي لكنّ عبارة التأليف فيهما وفي كثير من الكتب لا تزال راقية عالية الأسلوب وكذا بعض الرسائل والمحررات حتى دخلت اللغة في دور الانحطاط بسقوط الدولة العباسية شيأ فشيأ إلى عصرنا هذا حيث أخذت تستعيد بقدر الامكان ما كان لها من حسن الأسلوب ومتانة التركيب مع البعد عن تكلف السجع والجناس والقصد إلى المعنى. والفضل في ذلك يرجع للنهضة العامّة في مصر والشام كما تقدّمت الاشارة إلى ذلك في الفصل السابق.

النظم

قد فَسَحَت الحَضارة وسعة العمران لشعراء الدولة العباسية مجالا لم يَنْفَسِح للشعراء قبلهم فذهبوا فيه المذاهب وتفننوا وأبْدَعوا وتصرّفوا في المعاني وأجادوا السَّبْك وأحكموا الصنعة وفاقوا في الرِّقة والسهولة والتفنّن في القول مَن تَقَدَّمهم من شعراء الدولة الأموية. ولا عجب في

ذلك فقد وصفوا ما شاهدوه مما امتلأت به أيدي الفاتحين من خيرات الاقاليم وما وقع تحت حسهم من آثار الامم التي تغلبوا عليها واللغة في عنفوان شبابها والخلفاء من أكبر أنصارها (والناس على دين ملوكهم) وانك لترى العجب في كلام شعراء العباسيين إلى نهاية القرن الثالث فقد بلغوا الغاية في كل ماتكلموا فيه واستمر الشعر في قوّته بعد القرن الثالث غير أن الشعراء المجيدين أَخَذَ عَدَدهم يقلّ شيأ فشيأ حتى انتهوا بالطُّغْرَائِي المتوفى سنة 513 وجاء بعد هؤلاء قوم اشتهروا ولكنهم لم يبلغوا شأو من تقدّمهم وكان آخرهم صَفىّ الدِين الحِلّى المتوفى سنة 740 وبعد ذلك أصبح النظم كالنثر في حكمه ضعفا وقوة حتى عصرنا هذا وشعراء الدولة العباسية يسمون بالمولدين وقد امتاز شعرهم بالرقة والسهولة وعذوبة اللفظ والتوسع في التشبيه والمجاز والكناية والتوغل في الخيال مع القرب من الحقيقة أحيانا وقد أكثر المتأخرون منهم من المحسنات البديعة حتى صار لكلامهم مَسْحَة ظاهرة من الحُسن من دونها معنىً تافه أو غلوّ غير مقبول.

وقد كان لكل شاعر طريقة امتاز بها في شعره وقد جمع بعضهم بين النثر والنظم واتفق له في كل منهما كلام جيد كالبديع والخوارزمي والميكالي والشريف الرضى. ولقد كان للشعر مكانة في النفوس وسلطان عليها إلى صدر الدولة العباسية ثم فقد تأثيره بعد ذلك لكثرة المتبذلين من الشعراء في المدح والهجو ولغُلُوّهم في ذلك وكذبهم ولانحطاطهم من أعين العظماء خصوصا غير العرب الذين لا يقع من نفوسهم الشعر الجيد موقعه من نفس العربي. وقد زاد المولدون أوزانا للنظم كالموشح والسلسلة والدو

بيت وتفننوا في النظم فخمّسوا وشطّروا وتصرفوا فيه تصرفا كثيرا. وفحول شعراء المولدين والمجيدين من كتابهم كثيرون فمن الفريق الاول بعد بشار بن برد مسلم بن الوليد وأبو نُوَاس وأبو العَتَاهِية وأبو تمام والبُحْتُرِي وابن المُعْتَزّ وابن الرُّميّ والمُتُنَبِيّ والشريف الرَّضِي وأبو العلاء المعَرِّي وأبو فراس والحَسَن بن هانئ الاندلسي وابن خَفَاجة والطُّغْرائي ومن الفريق الثاني بعد الحميد بن يحيى ابراهيم الصُّولي والحسن ابن وهب والجاحظ وابن العَمِيد والصابئ وابن عَبّاد والخوارزمي والبديع والحريري والقاضي الفاضل وعبد اللطيف البغدادي.

الخط العربي

في عصر العباسيين توجهت العناية إلى تجويد الخط وتحسينه وخالفت أوضاعه في بغداد أوضاعه في الكوفة في الميل إلى اجادة الرسوم وجمال الشكل. واخترعت الأقلام المختلفة فظهر قلم الثلث والثلثين والنصف نظرا لاستقامة ثلث الحروف أو ثلثها أو نصفها وغير ذلك من الاقلام الأخرى. واستمر الخط آخذا في الارتقاء والجودة حتى ظهر ببغداد الوزير الكاتب أبو علي محمد بن علي بن مقلة المتوفى سنة 328 واخترع نوعا من الخط سمى بالخط البديع. وقد اشتهر بين الكتاب أن هذا الخط البديع هو خط النسخ الشائع اليوم نقله ابن مقلة عن الخط الكوفي. ونفى ذلك بعض الباحثين مستدلين بوجود خط النسخ قبل زمن ابن

مقلة. والظاهر أن ابن مقلة لم يخترع خط النسخ اختراعا ولكنه تصرف فيه تصرفا بديعا ونقله إلى صورة امتاز بها عن أصله في الجودة والحسن. وهذا مقام لا يزال محتاجا إلى البحث والتحقيق. وكان ابن مقلة يضرب به المثل في حسن الخط. وتلاه في ذلك أبو الحسن على بن هلال الكاتب الشهير المتوفى سنة 423 وقد أقرّ له أهل زمنه بالسابقة وعدم المشاركة في حسن الخط وهو الذي هذّب الخط العربي ونقّحه بعد ابن مقلة.

ثم ان الخط الكوفي أهمل بتوالي الايام وحل محلّه خط النسخ. وقد تفنن التُّرك في تحسين الخط وتنويعه فاخترعوا خط التعليق والرقعة وأوصلوا النسخ والثلث إلى أقصى درجات الحسن والاتقان كما هو مشاهد الآن. والخط العربي منتشر في البلاد الاسلامية كلها تكتب به العربية والتركية والفارسية والافغانية ولسان أردو بالهند ولسان الملايو بجزيرة جاوة وما حولها.

العلوم والمعارف

قد اعتنى الخلفاء والعلماء في عصر الدولة العباسية بتدوين العلوم الاسلامية فوضعوا أصول الفقه وصنفوا في فروعه واستنبطوا أحكامه ودوّنوا الحاديث النبوية وتفسير القرآن الكريم وعلوم العربية واستخرجت علوم البلاغة ووضعت لها القوانين والشواهد ووُضع العَروض وحصرت أوزان الشعر العربية في دوائرها الخمس. وألفَّوا

وترجموا كتبا في الطب والهيئة والهندسة وسائر العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية وتقويم البلدان والتاريخ العام وتاريخ الاشخاص. واعتنوا باللغة وضبطها وتصرفوا فيما ترجموه فنقحوا وهذبوا وزادوا واستنبطوا وأصلحوا كثيرا من أغلاطه. وقد وسعت اللغة العربية كل العلوم التي ألفت بها أو نقلت إليها ولم يدخل من الالفاظ الاعجمية الا شئ يسير وأكثر ما وقع ذلك في الكتب التي عرّ بها بعض من لا يحسنون العربية. وتفصيل الكلام على هذه العلوم واشتغال المسلمين بها وعنايتهم بتهذيب ما ترجموه وجعله صالحا لان ينتفع به كل ذلك يحتاج إلى تأليف الاسفار الكبار ليوفي حقه من البحث والشرح. غير أنا ذا كرون مختصرا وجيزا مناسبا للمقام مقتطفا مما كتبه كبار مؤرخي المسلمين ومحققو المؤرخين من الافرنج المنصفين وأفاضل الكتاب المعاصرين في مآثر العرب وعلومهم ومعارفهم وما لهم من الفضل على العالم كله في ذلك كله مازجين أحيانا كلامهم بعضه ببعض أو مصرّحين بنسبة القول إلى قائله حسب اقتضاء المقام ذلك فنقول : أوّل من اعتنى بالعلوم وتدوينها من الخلفاء العباسيين أبو جعفر المنصور وقد أخذ في انشاء المدارس للطب وللشريعة وكان براعته في الفقه وفرط شغفه به قد جعل جزأ من زمنه خالصا بتعلم العلوم الفلكية وترجم في زمنه كتاب أوقْلِيدس في الهندسة والهيئة والحساب.

وأكمل حفيده الرشيد ما شرع فيه وأمر بأن يلحق بكل مسجد مدرسة لتعليم العلوم وأنواعها. وكان باذلا جهده في احياء العلوم والآداب ونشرها وكتب في أيامه مصنفات كثيرة في العلوم الاسلامية وغيرها مما ترجم عن اليونانية ومن ذلك كتاب المَجَسْطِي الذي ألفه بَطْلِيموس في

الرياضة السماوية وقيل ان هذا الكتاب تُرجْم في زمن المأمون بأمره. وكان المترجمون قوما من السريان غير مسلمين وقد أحسن الخلفاء صِلَتهم وأفاضوا عليهم النِعَم وكان أكثرهم غير متمكن من العلوم التي نقلوها إلى العربية فوقع فيها الغلط الكثير فصححه بعد ذلك الراسخون في العلم من العرب في عصر المأمون وما بعده كما صححوا كثيرا من غلط اليونانيين أنفسهم. وكان اشتغال العرب بالعلم للعمل به فتناولوا الكتب التي ترجموها من قومٍ كان حظهم منها حفظها على انها من نفائس الذخائر ومآثر الجيل الغابر وقد ظهر أثرُ العمل في عصر الرشيد ومن ذلك الساعة الدقاقة المتحركة بالماء التي أرسلها إلى شرلمان ملك فرنسا وعظيم أوربا لعهده ففزع الاوربيون منها لذلك العهد وتوهموا انها آلة سحرية قد كنت فيها الشياطين وان ملك العرب ما أرسلها إليهم الا لتغتالهم وتوقع بهم شر ايقاع. وقد اجتمع في حضرة الرشيد كثير من أكابر العلماء وكان يأتي بهم ويرفع منزلتهم وكلما سافر لحج بيت الله الحرام استصحب معه مائة من العلماء. ولما أفضت الخلافة إلى المأمون وجه عنايته إلى العلوم والآداب وشُغِف بالعلم كل حياته ولم يكن يجالس الا العلماء وقد جمع وترجم كثيرا من كتب الفرس واليونان في الهيئة والطبيعيات وتخطيط الاراضي والموسيقى. وغرس للعلم والادب جِنانا ناضرة فزكا نَبتْها وتفتّح نَوْرُها وطاب ثمرها ووصلت به دولة العلم إلى أوْج قوّتها ونالت به أكبر ثروتها. وكانت بغداد في عهده مدرسة علمية كما كانت دار خلافة. وكان من شروط صلحه مع ميشل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكاتب الآستانة وقد فعل. وقد ألف علماء العرب في

زمنه أرصادا وأزياجا فلكية وحسبوا الكسوف والخسوف وذوات الأذناب وغيرها ورصدوا الاعتدال الربيعي والخريفي وقدّروا ميل منطقة فلك البروج وقاسوا الدرجة الأرضية وأصلحوا بأمره غلط بعض الكتب التي ترجمت قبل زمنه وجاء الواثق بعد المأمون وحذا حذوه في الاشتغال بالعلوم واقتدى بالخلفاء الوزراءُ والأمراء في زمنهم وبعده وأخذوا جميعا بناصر العلماء وشدّوا أزرهم ورفعوا منزلتهم فأخذ العلماء في الاشتغال بكل علم وكل فنّ أمكن الاشتغال به في ذلك العصر وبنوا علومهم على التجربة والمشاهدة. قال أحد فلاسفة الاوربيين ان القاعدة عند العرب هى " جرّب وشاهد ولاحظ تكن عارفا " وعند الاوربي إلى ما بعد القرن العاشر من التاريخ المسيحي " اقرأ في الكتب وكرر ما يقول الاساتذة تكن عالما " ا ه فانظر الفرق وقارنه بما تجده الآن من فرط عنايتهم بالبحث وما ينجم عنه من اصلاحهم الخطأ فيما لا يحصى مما كانوا أثبتوه حتى انّ فطاحل منصفيهم لم يجدوا بدّا من الاعتراف بامكان أن يثبت لهم غدا ضد ما أثبتوه اليوم كما ثبت لهم اليوم ضد ما أثبتوه أمس ولا من الاقرار بعدم الوقوف على كنه الكثير من ظواهر الكون التي ينتفعون بخواصها. ومن العلوم التي كان للعرب فيها اليد البيضاء علم الهيئة والهندسة وسائر العلوم الرياضية فان ما زادوه عليها من مخترعاتهم وما أصلحوه من أغلاط اليونانيين قبلهم جعل لهم الحظ الاوفر في هذه العلوم. قال دِيلَامْبِرْ في تاريخ علم الهيئة اذا عددت في اليونانيين اثنين أو ثلاثة من الراصدين أمكنك أن تعدّ من العرب عددا كبيرا غير محصور. وعن العرب أخذ الافرنج الارقام الحسابية وعلم الجبر والمقابلة الذي هو

من العرب أخذوه باسمه ومسماه. وقال بعض المؤرخين انّ ديوفنتوس الاسكندري من أهل القرن الرابع للميلاد هو أول من ألف في الجبر وكتبه لا تزال موجودة إلى الآن. والحق ان هذه الكتب ليس فيها الا قواعد استخراج القوي وحل بعض المسائل وليس فيها أصول الفنّ وقواعده الاساسية التي امتاز بها وصار فنا مستقلا. ونظير ذلك علوم البلاغة قالوا ان مؤسسها وواضعها هو الامام عبد القاهر الجرجاني مع أن العلماء قد سبقوه إلى الكلام في بعض مسائلها ولكنهم لم يبلغوا بذلك أن جعلوها علما ذا أصول وقواعد كما جعلها.

وقد اكتشف العرب قوانين لثقل الاجسام مائعها وجامدها ووضعوا لها جداول في غاية الدقة والصحة. واخترعوا البندول للساعة اخترعه ابن يونس المصري. والبوصلة البحرية واخترعوا بيت الابرة أيضا. وهم أوّل من استعمل الساعات الدقاقة للدلالة على أقسام الزمن وأوّل من أتقن استعمال الساعات الزوالية لهذا الغرض.

ومن علومهم التي وضعوها ولم يُسْبَقوا إليها علم الكيميا الحقيقية فهي من اكتشاف العرب دون سواهم وعنهم أخذها الاوربيون وانك لا تستطيع أن تعدّ مجرّبا واحدا عند اليونانيين ولكنك تعدّ من المجرّبين مئين عند العرب. وقد اشتغلوا بالطب والصيدلة ولهم في ذلك المؤلفات العديدة النافعة ومُرَكَّبات الادوية الصالحة. وهم أوّل من استحضر المياه والزيوت بالتقطير والتصعيد وأوّل من استعمل السكر في الادوية وكان غيرهم يستعمل العسل. وكان حكام الاندلس يعتنون بادارة الصيدليات

فيفحصون أدويتها ازالة للغش ويُسَعّرونها رفْقا بالفقير وفَضْلُهم في الطب على أوربا وأمريكا اليوم. ولهم في هذه الفنـون مؤلفـون يعـدّون في الطبقـة الاولى من علماء العالم في العلوم التي اشتغلوا بها ولا تزال مؤلفات كثير منهم باقيـة إلى اليوم كقانون ابن سينا ومفردات ابن البيطار واذا رجّحت القول بأن يونان أخو قحطان غاضَبه فرحل من اليمن ونزل مـا بـين الافرنجـة والـروم فـاختلط نَسَبُه بهم كانت تلك الكتب اليونانية انما هى بضاعة العرب ردّت إليهم.

ولم يكـن اشـتغالهم بالجغرافيـة والتـاريخ العـام وتـاريخ الاشـخاص أقـل مـن اشتغالهم بالعلوم الـسابقة فلهـم الـسياحات العديـدة حـول أفريقيـة وآسـية وجانب من أوربا وقد رسموا ما اكتشفوه رسما حسنا ولهم في تقـويم البلـدان مؤلفات عديدة بعضها مطبوع وبعضها غير مطبوع فمن الاوّل تقويم البلدان لأبي الفداء ومعجم ياقوت طبعا في أوربا ومن الثاني نزهـة المـشتاق للـشريف الادريسي محمد بن الصقلي كان في القرن السادس الهجـري وهـو الـذي صـنع لرجار الفرنجي ملك صقلية سنة 1153 أوّل كرة أرضية عرفت في التاريخ زنتها من الفضة 144 أقة رسم فيها جميع أنحاء الارض في زمانة رسما غائرا مشروحا بالاستيفاء وصنف له أيضا كتاب نزهة المـشتاق في اخـتراق الآفـاق مرتبـا عـلى الاقاليم السبعة وصف فيه البلاد والممالك مستوفاة مع ذكر المـسافات بالميـل والفرسـخ. ومؤلفـاتهم في التـاريخ تفـوق الحـصر. والفـضل الاوّل في الاشـتغال بهذه العلوم يرجع إلى مدرسة بغداد التي كانت ينبوعـا أصـليا اسـتمدّت منـه سـائر المـدارس الاسـلامية. قـال بعـض مـؤرّخي الافـرنج ان العـرب اسـتقاموا

عدّة قرون على الطريقة التي وضعها علماء مدرسة بغـداد واتبعـوا قواعـدهم وهى الانتقال من النظر في المسببات إلى اجتلاء الاسباب لا يعوّلون الا على ما اتـضحت صـحته وعرفـت حقيقتـه . وقـد أنـشئت المـدارس العديـدة تباعـا وجمعت إليها ولم يخل منهاقطر من الاقطار الاسلامية. وازدانت بهذه المدارس بغداد والبصرة والكوفة وبُخَاري وسَمَرْقَنْد وبَلْخ وأصفهان ودمـشق وحلـب في قارّة آسية والاسكندرية والقـاهرة ومـراكش وفـاس وسـبتة والقـيروان في قـارة افريقية واشبيلية وقرطبة وغَرْناطة وغيرها من مدن الأَنْدَلُس العديدة في قـارّة أوربـا. وكـان بالقـاهرة وحـدها عـشرون مدرسـة في القـرن الرابـع وفي قرطبـة وحدها من بلاد الاندلس ثمانون مدرسة في مدّة الحَكَم بن عبد الرحمن الناصر المتوفي سنة 366. وأصبحت الاندلس بعد ذلك في أواخر القرن الخامس غاضبة بالمكاتب والمدارس الجامعة ولم تَخْل مدينة من مـدنها مـن مـدارس متعـدّدة. قال جيون في كلامه عـلى حمايـة المـسلمين للعلـم في الـشرق والغـرب ان ولاة الاقاليم والوزراء كـانوا ينافـسون الخلفـاء في اعـلاء مقـام العلـم والعلـماء وبسط اليد في الانفـاق عـلى اقامـة بيـوت العلـم ومـساعدة الفقـراء عـلى طلبه. وكان عن ذلك أن ذَوْق العلم ووِجْـدان اللـذة في تحـصيله انتـشرا في نفوس الناس من سَـمَرْقَنْد وبُخَـارَي إلى فـاس وقرطبـة. أنفـق وزيـر واحـد لأحد السلاطين (هو نظام الملك) مائتي ألف دينـار عـلى بنـاء مدرسـة في بغداد وجعل لها خمسة عشر ألف دينار تصرف في شؤونها كل سنة. وكـان الذين يُغَذَّون بالمعارف فيها ستة آلاف تلميـذ فـيهم ابـن أعظـم العظـماء في المملكـة وابـن أفقـر الـصناع فيهـا. غـير أن الفقـير يُنفَـق عليـه مـن

الرَيْع المخصَّص للمدرسة وابن الغني يكتفي بمال أبيه والمعلمون كانوا يُنقْدَون أجورا وافرة ا ه.

وجميع المدارس الطبية في البلاد الاسلامية أخذت نظام امتحانها عن مدرسة الطب في القاهرة وكان من أشدّ النظامات وأدقها. ولم يكن لطبيب أن يمارس صناعته الا على شريطة أن تكون بعد شهادةٍ بأنه فاز في الامتحان على شدّته. وأوّل مدرسة طِبّية أنشئت في قارّة أوربا على هذا النظام المحكم هى التي أنشأها العرب في ساليرت من بلاد ايطاليا. وأوّل مرصد فلكي أقيم في أوربا هو الذي أقامه العرب في أشبيلية من بلاد الاندلس.

وقد تعدّدت المراصد الفلكية في البلاد الاسلامية شرقا وغربا ومن أشهرها مرصد بغداد المنشأ على قنطرتها وقد رصدت به عدّة أرصاد وصححت جملة أزياج. ومرصد المراغة الذي أنشأه نصير الدين الطوسي يأمر ةهولاكو خان ولما أتم كوبلاي خان أخو هولا فَتْحَ الصين نقل مؤلفات علماء بغداد إليها. ومرصد سَمَرْقَنْد الذي أنشأه تيمورلنك. ومرصد دمشق الذي أنشأه الوغ بك مرزا محمد حفيد تيمورلنك. وكان من أعلم علماء الفلك وله زيج مشهور معتبر إلى هذا العصر. وكان بمصر مرصد جبل المقطم أنشأه ابن يونس الفلكي الشهير صاحب الزيج الحاكمي وأما دور الكتب فلم تكن عناية الدول الاسلامية بها أقل من عنايتهم بالمدارس فقد كان في القاهرة في أوائل القرن الرابع مكتبة تحتوي على مائة ألف مجلد منها ستة آلاف في الطب والفَلَك لا غير. ومكتبة

الخلفاء في الاندلس بلغ ما فيها ستمائة ألف مجلد وكان فهرسها أربعة وأربعين مجلدا. وقد حققوا أنه كان ببلاد الاندلس وحدها سبعون مكتبة عمومية وكان في هذه المكاتب مواضع خاصة للمطالعة والنسخ والترجمة. وبعض الخاصة كانوا يولعون بالكتب ويجعلون ديارهم معاهد دراسة لما تحتوي عليه وأما ضخامة تآليفهم فما لا يحصره العَدّ وحسبك في المشرق كتاب قَيْد الأوابد للامام البَنْجِذيهي المتوفى سنة 559 من قرى خراسان في 400 مجلداً وفي الاندلس لاحمد بن أبان كتاب العالَم نحو 100 سفر بدأ فيه بالفَلَك وختم بالذَّرّة والأعجب الأغرب كتاب فلك الأدب الذي تعاقب على تأليفه من جهابذة الاندلسيين 6 في 115 سنة آخرها سنة 645هـ

ولقد أحرق أهل اسبانيا من الكتب الاسلامية بعد جلاء المسلمين عنها ما يدهش لبيان عدده السامع ويحار المتأمل ويتوقف قلم الكاتب جاء في المجلد الثالث من المقتطف وجه 7 مانصه. ليقل لنا أهل اسبانيا أين الثمانون ألف كتاب التي أمر كردينالهم شيمتر بحرقها في ساحات غَرْناطة بُعَيد استظهارهم عليها فأحرقوها وهم لا يعلمون ما يعلمون حتى اَفْنَوا على ما قال مؤرّخهم ربلس ألف ألف وخمسة آلاف مجلد كلها خطها أقلام العرب. وليتهم يخبرون كم من كتاب لعبت به نيرانهم بعد ذلك حتى لم يبقوا من معارف العرب ولم يذروا. وما يقولون عن السفن الثلاث التي ظفروا بها مشحونة بالمجلدات العربية الضخمة وطالبة ديار سلطان مراكش فسلبوها وألقوا كتبها في قصر الاسكوريال سنة 1671 ميلادية (الموافقة سنة 1082هجرية) حتى لعبت بها النيران فأكلت ثلاثة أرباعها

ولم يستخلصوا منها الا الربع الاخير. حينئذ استفاقوا من غفلتهم وعلموا كُبْر جَهَالتهم ففوضوا إلى ميخائيل القصيري الطرابلسي الماروني ترتيبها وكتابة أسماء 1851 كتابا منها فعلى ما في هذه الكتب وما بقى في أفريقية والمشرق قَصَر أهل هذه الايام معارِفَ العَرَب وحتى هذه لم يستوعبوا جميع ما فيها ا ه.

وأما مكاتب بغداد فانه لما فاجأها التتار بالهجوم بعد قتل الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين جعلوا دأبهم السلب والنهب وأخذوا كتب العلم التي كانت في خزانتها وألقوها بدِجْلة فَعَبرت عليها جنودهم. فأضِف هذه النفائس إلى ما أحرقه أهلُ اسبانيا وتصَوّر مقدار ذلك كله ثم انسُبْ ما بقى من الكتب الاسلامية إلى ما أتْلِف منها وتفكّر بعد ذلك في أن هذه الملايين من الكتب انما خُطّت بالقَلَم قبل أن تُعْرَف المطبعة واحكم بعد ذلك وأنت منصف في حكمك بأن العرب لم تسبقهم أمّة اعتنت بالعلم اعتناءهم واهتمت به اهتمامهم .

وتتميما للفائدة نذكر ما ورد في مجلة المقتطف في سنتها الثالثة في صفحة 92,91 تحت عنوان فضل العرب وهو خاتمة مقال نشر في تلك السنة في بيان مآثر العرب وعلومهم وبعض علمائهم وقد اقتطفنا من هذا المقال الجامع شذرات ضمناها مقالنا السابق وها هو ما ذكر تحت هذا العنوان.

في القرون الوسطى قصد أهل أوربا مدارس الاندلسيين وكانت على غاية الاتقان وقرؤا العلم فيها ثم تزوّدوه منها إلى بلادهم. ففي سنة 873 للمسيح أمر هرتموت رئيس دير ماري غالن جماعة من رهبانه بدرس اللغة

العربية لتحصيل معارفها. وكان الرهبان البندكتيون يطالبون العلوم العربية بشوق لا مزيد عليه وأشهر من تعلم العلم من العرب البابا سلفستر الثاني وأصله رجل فرنسي يسمى جربرت طاف على قسم كبير من أوربا طالبا المعارف حتى دبت قدمه في الاندلس فرتع في مدارس اشبيلية وقرطبة وصرف إلى العلوم رغبته فلما ساغها هنيئا عاد إلى دياره وما زال يسمو على أقرانه حتى تنصّب بابا فشاد للعلم مدرستين الاولى في ايطاليا والاخرى في ريمز وأدخل إلى أوربا معارف العرب والأرقام الهندية التي نقلها عنهم. ثم ثارت الحمية في أهل ايطاليا وفرنسا وجرمانيا وانجلترا فطلبوا الاندلس من كل فج عميق وتناولوا المعارف من أهلها. قال مونتكلا في تاريخ العلوم الرياضية ولم يقم من الافرنج عالم بالرياضيات الا كان علمه من العرب مدّة قرون عديدة. فمن جملة من نقل عنهم المعارف من أهل ايطاليا دوكريمونا قرأ علم الهيئة والطب والفلسفة بطليطلة وترجم عنهم المجسطي وكتب الرازي والشيخ الرئيس إلى اللاتينية وليوندار البيزي نقل عنهم الحساب والجبر وأرنولد الفيلانوفي نقل عنهم الهيئة والطبيعيات والطب. وممن نقل عنهم من الانجليز راهب اسمه بلارد وآخر اسمه مورلي وآخر اسمه سكوت وكذلك روجر باكون الشهير فان ما حصّله من المعارف في الكيميا والفلسفة والرياضيات انما استخلصه من كتبهم وقد اقتبس من أقوال الحسن في البصريات ومثله فيتليو الذي اشتهر بالبصريات فانه أخذ كثيرا عن الحسن. ولما عرف ملوك الافرنج قيمة معارف العرب أمروا بترجمة كتبهم ومنهم نقل شارلمان فردريك الثاني الجرماني والفونس الثاني القسطلي. والخلاصة أن

الافرنج نقلوا عن العرب مما نقله العرب عن غيرهم أو استنبطوه بأنفسهم الفلسفة والهيئة والطبيعيات والرياضيات والبصريات والكيمياء والطب والصيدلة والجغرافية والزراعة والفراسة وأخذوا عنهم عمل الورق والبارود والسكر والخزف وتركيب الأدوية ونسج كثير من المنسوجات وأدخلوا منهم إلى بلادهم دود القز وكثيرا من الحبوب والأشجار كالأرز وقصب السكر والزعفران والقطن والسبانخ والرمان والتين ونقلوا عنهم دبغ الأديم وتجفيفة وقد استردّ الانجليز هذه الصناعة بعد فقدها من الاندلس بجلاء العرب عنها ولا يزالون يسمون الجلود المدبوغة بها (موركو وكردوفان) نسبة إلى مراكش وقرطبة.

ولا تزال الالفاظ العربية مستعملة في أكثر مباحث الافرنج الطبيعية كالسمت والنظير والسموت والمقنطرات وأسماء النجوم والكحول والقلي والجبر والقطن والشراب والكمياء وغيرها. ولولا لغة العرب لبقيت لغة أهل اسبانيا قاصرة كما كانت فأسماء أوزانهم أقيستهم أكثرها عربي محرّف كالقنطار والربع والشبر وكذلك أسماء قطع الماء ونحوها كالبحيرة والبركة والجب والكهف وغيرها كثير فالمولدون كانوا في زمانهم حلقة من سلسلة العلوم اتصلت بها علوم الاوّلين بالمتأخرين ولولاهم لفقد أكثر المعارف ان لم نقل كلها وما أحسن قول جريدة مدرسة ادنبرج الكلية في هذا المعنى.

انا لمدينون للعرب كثيرا ولو قال غيرنا خلاف ذلك فانهم الحلقة التي وصلت مدنية أوربا قديما بمدنيتها حديثا وبنجاحهم وسموّ همتهم تحرّك أهل

أوربا إلى احراز المعارف واستفاقوا مـن نـومهم العميـق في الاعـصار المظلمـة. ونحن لهم مدينون أيضا بترقيـة العلـوم الطبيعيـة والفنـون الـصادقة النافعـة وكثير من المصنوعات والمخترعات التي نفعت أوربا كثيرا علما ومدينة اه.

أما تاريخ العلوم والآداب العربيـة مـن ابتـداء الدولـة العباسـية إلى الآن فانـه ينقسم إلى أربع مدد كبـيرة . المـدة الاولى تبتـدي بخلافـة أبي جعفـر المنـصور وتنتهي بمنتصف القرن الرابع تقريبـا فهـى نحـو 200 سـنة وهـى المـدّة التـي صعدت فيها العلوم والآداب إلى ذروة مجدها وأوج عزها وفاضت فيها ينابيع المعارف على جميع البلاد الاسلامية فأيْنَعَتْ جنانهـا ودَنَـت للقـاطفين أفْنانهـا. وفيها أشرقت شموس الأئمة المجتهدين وأجـلاء المحـدّثين وكبـار علـماء الـدين وأئمة العربية وفحـول الـشعراء وأعـاظم الكتـاب ورجـال الأدب وغـيرهم مـن أساطين العلماء.

المـــدة الثانيـــة تتلاقـــى مـــع المـــدّة الاولى في نهايتهـــا وتنتهـــي بـــسقوط الدولـة العباسـية سـنة 656 وفي هـذه المـدّة ضـعف أمـر الخلافـة العباسـية باستيلاء الديلم والسلجيوقيين على السلطة ولم يكـن هـؤلاء الأعـاجم يعرفـون مـن قـدر العلـم كـما كـان يعـرف الخلفـاء مـن العـرب فَفَـتَرت الهمـم بعـضَ الفُتور واقتصر كثير من أهل العلم عـلى النظـر في كتـب مَـن قَـبْلهم ووَشّـوها بالحواشي. غير أنه نبغ في هذه المدّة عدد كبير في كـل علـم علـم وفـن لاسـيما العلوم الرياضية والفلسفية وكان ذلـك مـن أثـر تلـك الجَـذْوَة التـي اشـتعلت في المـدّة الاولى ولم يُخْمِـدها ضـعف الخلفـاء بـل بقيـت بعـدهم زمنـا

يقتبس منها المقتبس حتى أطفأها التتار في بغداد والبلاد التي استولوا عليها من آسية ثم دخلوا في الاسلام فتألق بعض وميضها كما سبق.

المدّة الثالثة تبتدي بسقوط الدولة العباسية وتنتهي باستيلاء محمد علي باشا على مصر سنة 1220 وفي أوّل هذه المدّة أعدمت المعارف العربية في بلاد فارس وما وراء النهر وبقيت زاهية في مصر قليلا بفضل الجامع الازهر كل هذه المدّة وكذلك في بلاد المغرب في دولة السعديين والاشراف بعدهم وفي أواخر هذه المدّة كانت العلوم العربية في آخر رمق من حياتها. ولكن كان يلوح في أثناء ذلك الزمن بصيص من نور العلم والعرفان ثم يختفي فقد ظهر من أكابر العلماء أبو الفداء وابن خلدون والمقريزي وابن حجر والسيوطي وابن منظور صاحب لسان العرب والمجد صاحب القاموس وابن الوردي الفقيه.

المدّة الرابعة تبتدي باستيلاء محمد علي باشا على مصر وفي هذه المدّة أخذت المعارف والآداب تدب فيها الحياة وتنمو في مصر والشام بفضل ما طبع وألف من الكتب المختلفة النافعة.

هو امرؤُ القَيس بن حُجْر الكِنْدي وأمّه فاطمة وقيل تَمْلِك بنت ربيعة بن الحَارِث أخت كُلَيب ومُهَلْهِل وقد ذكرها في قوله:

ألا هل أتاها والحوادثُ جَمّةُ بأن امرأ القيس بنَ تَمْلِك بَيْقرا

أي أقام بالحَضَر وتَركَ أهْلَه بالبادية ومعنى (امرئ القيس) رجُل الشِّدّة وقيل القَيس اسم صَنَم وقد وُلد ببلاد بني أسَد ولما شبّ تعلق بالشعر ونبغ فيه وهو أوّل من استوقف على الطُّلول وشَبّه النساء بالظباء والمَهَا وأجاد الاستعارة والتشبيه وكان أبوه مَلِكَ بني أسَد فعَسَفَهم عَسْفا شديدا فتمالؤا عليه وقتلوه وقد كان طَرَد ابنَه امرَأ القيس لتشبيهه بالنساء في شعره وتنقَّلُه في أحياء العرب يستتبِع صَعَالِيكهم وذُؤْبانَهم وبينما هو يشرب الخمر بأرض اليمن بلَغَه قَتْل أبيه فقال ضيعني صغيرا وحَمّلني ثِقل الثار كبيرا لاصَحْوَ اليوم ولا سُكْر غَداً اليَوْم خَمْرٌ وغَداً أمْرٌ ثم انه استنصر ببعض أقيْاَل العَرَب ورؤساء القبائل وما زال يتتبع بني أسَد حتى ظفِر بهم وحصلت له بعد ذلك وقائع كثيرة ثم مات (2)[2] بجبل يقال له عَسِيب ودفن بأنْقِرة سنة 566 م وأشهر شعره المعلقة الطائرة الصيت التي مطلعها

قِفا نبك من ذِكْرَى حبيب ومنزل بِسَقْط اللوَا بين الدَّخول فَحَوْمَل

[2] (2) ادبيات اللغة العربية (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

اسمُه زِيَاد بن معاوية بن ضِبَاب ينتهي نَسَبه إلى ذبْيان ثـم لمُـضَر ويكْنَـى أبَـا أمَامة وانما سُمّى النابغة لقوله

وحَلَّت في بنـي القَـين بـن جَـسْرٍ وقــد نبغــت لهــم مِنّــا شــؤن

وهو أحد الاشراف المقدّمين على سائر الشعراء وقال عبد الملك بن مَـرْوان لَـمَّا دَخَل عليه وفَدْ الشام أيَّكم يَرى من اعتذار النابغة إلى النعمان

حَلَفْتُ فَلَمْ أتْـرُكْ لنفـسك رِيبـةً ولـيس وراءَ اللــه للمَـرء مَـذْهب

فلم يَجِد فيهم مَن يرويه فأقْبَل على عمر بن المُنْتَشر وقال له أتَرِوْيه قال نَعَم فأنـشده القـصيدة كلهـا فقـال هـذا أشـعر العـرب والنابغـة هـذا كـان خاصـا بالنعمان ومن ندمائه وأهل أنسه ثم انه وُشِىَ به إلى الـنعمان فهـرب منـه ولم يرجع إليه الا بعد أن بلغه أنه عليل لا يُرْجَى فأقْلَقه ذلك ولم يَمْلك الصَبْر عـلى البُعْد عنه مع عِلّته فسار إليه فألْفَاه محمولا على سرير يُنْقل ما بـين العُمْـران وقُصُور الحِيرة فقال لِعِصام حاجِبِه

ألَــمْ أُقْــسِم عليــك لتُخْــبِرَنّي أمحمــول عــلى الــنعش الهُــمامُ

فــاني لا أُلام عــلى دخـــول ولكــن مــا وراءك يــا عِــصَامُ

فـانْ يَهِلْـك أبـوُ قَـابُوس يَهْلِـك ربيــعُ النــاس والبَلَــد الحَــرَام

ونُمْــسِك بعــده بِـذنَابِ عــيش أجَــبّ الظَهْــر لــيس لــه سَــنَام

ومات النابغة الذبياني على جاهليته ولم يُدْرِك الاسلام سنة 604 ميلادية

زُهَير بن أبي سُلْمَى (توفى سنة 631 م)

هو أبو كَعْب وبُجَيْر واسم أبي سُلْمَى رَبِيعة بن رِيَاح ينتهي نَسَبُه لِنزارٍ وهو أحد الثلاثة المُقَدَّمِين على سائر الشعراء وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذُبْياني وعن عمر بن عبد الله اللَّيثي قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في مسيره إلى الجابية بعد قصة طويلة هل تروي لشاعر الشعراء شيأ قلت ومن هو قال الذي يقول :

فَلَوْ كان حَمْدٌ يُخْلِد الناسَ لَمْ تَمُتْ ولكنّ حَمْدَ الناسِ ليس بِمُخْلِدِ

قُلْتُ ذاكَ زهير بن أبي سُلْمَى قال لأنّه كان لا يُعَاظِل في الكلام وكان يَتَجَنَّب وَحْشِي الشِعْر وكان لا يمدح أحدا الا بما هو فيه ولما سأل معاويةُ الأحنفَ ابن قَيْس عن أشعر الشعراء قال هو زهير قال وكيف ذاك قال بقوله :

فما يَكُ مِن خير أتَوْه فانما تَوَارَثَهُ آباءُ آبائهم قَبْل

وقال ابن الاعرابي كان لزهير في الشعر مالم يكن لغيره كان أبوه شاعرا وهو شاعر وخاله شاعر وابناه شاعران وهما كَعْب وبُجَير وأخْتُه سُلْمَى شاعرة وأخْتُه الخَنْساء شاعرة وكان زهير يُضْرَب به المَثَل في التنقيح فيقال حَوْلِياّت زهير لأنه كان يعمَل القصيدة ويَعْرِضها في سَنة كاملة

أمَيّة بن أبي الصَّلْت (توفى سنة 9 هـ)

ينتهي نَسَبُه إلى ثَقِيف وأمُّه رُقَيّة بنت عبد شمس وهو من أهل الطائف ومن أكبر شعراء الجاهلية وكان ينظر في الكتب ويقرؤها ويقال انه حرّم الخمرَ وشكّ في الأوثان والتمس الدِين وطمِع في النُبُوة لأنه قرأ في الكتب أن نَبِيّا يبعث من العرب وكان يطمع أن يكون هو فلما بُعِث النبي صلى الله عليه وسلم حَسَدَه وقال كنت أرجو أن أكونه ويُنسب إليه أنه هو القائل:

كلُّ دِين يوم القيامة عند الله   إلّا دِينَ الحَنِيفة زُورُ

وأغلب شِعره متعلِّق بذِكْر الآخرة حتى قال الَا صْمَعيّ ذهب أمَيَّة في شِعره بعامّة ذكْر الآخرة ولكن يقال انه مات ولم يُسْلم ومما قال في مرض موته

كُلُّ عيشٍ وان تَطَاول دَهْرا   مُنْتَهى أمره إلى أن يَزُولا

ليتني كنتُ قبْل ما قَد بَدَا لي   في رؤس الجبال أرْعى الوُعُولا

ويقال انه قَضَى نَحْبَه في قصر من قصور الطائف سنة 9 هجرية ومن شعره قصيدته في الفخر التي يقول فيها

ورثنا المَجْدَ عن كُبرىَ نِزَار   فأوْرَثْنا مَآثِرنَا بَنِينَا

الخنساء (توفيت سنة 24 هـ)

اسمُها تُماضِرُ بنت عَمْرو بن الشَرِيد ينتهي نَسَبُها لمُضَرَ والخنساء لقَبَ غَلَب عليها وقد أجمع أهل العلم بالشعر انه لم يكن امرأة قطّ قَبْلَها ولا بعدها أشْعر منها ووفَدَتْ على رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم يَسْتَنْشدها ويُعْجِبه شعْرُها وكانت تُنْشِده وهو يقول هِيهِ يا خُنَاس ولَمّا بَلَغَها استشهاد بنِيها الاربعة يوم القادِسِيّة بعد تحريضها لهم على القتال قالت الحمد لله الذي شَرّفني بقتلهم وأرْجُو من ربي أن يَجْمَعَني معهم في مُسْتَقَرّ رَحْمته.

سيدنا حسان ين ثابت رضى اللـه تعالى عنه

جدّه المُنْذر الخَزْرجيّ ويكْنَى أبَا الوَليد وهو من فحول الشعراء وقد قيل انه أشعر أهل المَدَر وكان أحد المُعَمِّرين المُخَضْرَمِين عَمّر مائةً وعشرين سنة نصفها في الجاهلية ونصفها في الاسلام وكذا أبوه وجدّه وأبو جدّه لا يُعرف في العرب أربعة تَنَاسَلُوا من صُلْبٍ واحدٍ وعاشَ كُلٌّ منهم 120 سنة غَيْرهم وعن أبي عُبَيدة قال فَضَل حَسّان بن ثابت الشُعَراء بثلاثةٍ كان شاعر اليَمَن كُلّهَا في الاسلام وفَضْلُه أوسع من أنْ تحيط به التآليف وكانت وفاته بالمدينة المنوّرة قبل الاربعين من الهجرة في خلافة سيدنا عليّ رضى اللـه تعالى عنه.

الاخطل (توفى سنة 712 م)

هو أبو مالك غِيَاث بن غوث بن الصَّلت من تَغْلِب قال أبـو عبيـدة ان سـبب تلقيه بالأخطل انه هجا رجلا مـن قومـه فقـال لـه يـا غـلام انـك لأخطـل (أي سفيه) وكان نصرانيا من أهل الجزيرة ومات عـلى دينـه مـع مخالطتـه لملـوك المسلمين وأمرائهم وحُظْوَته لديهم وهو جرير والفرزدق من طبقة واحدة وان اختلف الناس في التفضيل بيـنهم وقـد عاشـوا كلهـم في زمـن واحـد وان كـان الأخطل أكْبَرَهم سِنّا وقد كان يفضّل الاعشى في الشعْر على نَفْسه وقـال جَريـر وقد سأله ابنه عن الأخَطل أدْرَكْتُه وله نَابُ واحد فلو أدركت له نَابين لَأكَلَنـي. ومما يحكى عن الأخطل أنه طلّق امرأته وتزوج بمُطَلَّقَة اَعْرَابِيٍّ فَبَيْنَما هى معـه اذ ذكرت زَوْجَها الأول فتنفست فقال :

كلَانــا عَـــلَى هَـــمّ يَبِيـــت كأنمـــا بجَنْبَيـه مِـن مَـسّ الفِـرَاش قُـرُوح
عَلى زوجهـا المـاضي تَنُـوح وأنّنـي عـلى زوجتـي الأُخـرى كـذاك أنُـوح

وقد كانت منزلة الأخطل عند عبد الملـك بـن مـروان رفيعـة يـذكره اذا غـاب ويقرّ به اذا حضر وله كثير من النوادر يضيق المقام عن ذكرهـا وكانـت وفاتـه سنة 712 ميلادية.

هو ابن عطية بن الخَطَفَي وهو لقبه واسمه حُذَيفة بن بدر بن عوف ابن كُلَيب ينتهي نَسَبه لِنِزار ويُكْنَى أبا حَزْرَة وهو الفَرَزْدَق والأخْطل المقدَّمون على شعراء عصرهم إلا سَقَط وافتضح وكان أبو عمرو يُشَبّه جَريرا بالأعْشَى والفَرَزْدَق بزُهَير والأخْطل بالنابِغة وقد حَكَم مَرْوانُ بن أبي حَفْصة بين الثلاثة بقوله:

ذَهَبَ الفَرَزْدَقُ بالفَخَار وانما   حُلْوُ الكلام ومُرُّه لَجَرِير
ولقد هَجَا فَأمَضّ أخْطَلُ تَغْلِب   وحَوَى اللهى بمديحه المشهور

فهو كما حَكَم للفرزدق بالفَخَار وللاخطل بالمدح والهجاء وبجميع فنون الشعر لجرير ومن كلامه في الفخر

اذا غضبت عليك بَنُو تَميم   لقيتَ القَوم كُلَّهُمُ غِضَابا

وقال يَهْجُو بَني نُمَيَر

فَغُضّ الطَرْفَ إنَّكَ من نُميرٍ   فَلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلَابا

تَوَفِّيَ سنة 110 هجرية.

الفرزدق (توفى سنة 110 هـ)

هو هَمّام بن غالب بن صَعْصَعة التَّمِيمـي وكـان أبـوه مِـن سَراة قومـه ورَوَى الفَرَزْدَق رحمه اللـه عن علي بن أبي طالب وأبي هُرَيـرة والحُـسَين وابـن عُمَـر وأبي سعيد الخُدْرِي ووفَدَ على الوَلِيد وسليمان ابْنَيْ عبد المَلِك ومدحهما.

رَوَى معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال دخلت عـلى الفـرزدق فتحـرّك فـاذا في رجليه قَيْد قلت ما هذا يا أبا فِـراس قـال حَلَفْـت أن لا أُخْرِجـه مِـن رِجْـلي حتى أحفَظَ القرآن واخْتَلَفَت الناس في المفاضلة بينـه وبـين جريـر والا كـثرون على أن جريرا أشعرُ منه وقد أنصف الاصفهاني حيـث قـال مـن كـان يَميـل إلى جودة الشعر وفخامته وشدّة أسْره يُقَدِّم الفرزدق ومـن كـان يَميـل إلى الكـلام السَمْح الغَزل يقدّم جريرا وله القصائد الغرّاء في الرِثاء والفخر والهجو والمـدح فمن ذلك قصيدته المشهورة في مدح زين العابدين التي مطلعها

هذا الذي تَعرف البَطْحـاءُ وَطْأتَـه والبيــت يعرفــه والحِــلّ والحَــرَم

تُوُفِّ سنة 110 هجرية

عبد الحميد الكاتب (توفي سنة 132 هـ)

هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى الكاتب البليغ المشهور وبه يُضْرَب المَثَل في البلاغة حتى قيل فُتِحت الرسائل بعبد الحميد وخُتِمت بابن العَمِيد وكان في الكتابة وفي كل فن من العلم والادب إماما وهو من أهل الشام وكان أوّلا مُعَلِّم صِبْية ينتقِل في البُلْدان وعنه أخَذَ المُتَرَسِّلون ولطريقته لَزموا ولآثاره اقْتَفَوْا وهو الذي سهّل سبيل البلاغة في التَرَسُّل وهو أول من أطال الرسائل واستعمَل التحميدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده وكان كاتِبَ مَرْوان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي آخر ملوك بني أُمَيَّة المعروف بالجَعْدِي فقال له يوما وقد أهدَى له بعضُ العُمّال عَبْدًا أسْوَد فاستَقَلّه اكْتُب إلى العامل كتابا مُخْتصرا وذُمّه ما فَعَل فكتب إليه لو وجَدْت لونا شرًّا من السَّواد وعَدَدًا أقلّ من الواحد لاهْدَيْتَه والسلام ومن كلامه أيضا القَلَم شجرة ثَمَرَتُها الَالْفاظ والفِكْر بَحْرٌ لُؤْلُؤَة الحكمة وله رسائل بليغة وكان حاضرا مع مروان في جميع وقائعه عند آخر أمره وقُتِل معه سنة 132 بقرية يقال لها بُوصِير من أعمال الفيوم بمصر.

هو ابن ثابت كان خَزّازا يبيع الخَـزّ وقـال الخطيـب في تاريخـه ان أبـا حنيفـة أدرك أربعة من الصحابة رضوان اللـه علـيهم أجمعـين وهُـمْ أنَـسُ بـن مالـك وعبد اللــه بـن أبي أوْفَ بالكوفـة وسَـهْل بـن سَـعْد الـساعِدِي بالمدينـة وأبـو الطُّفَيْل عامِرُ بنُ وَاثَلَة بمكة ولم يأخذ عن أحد منهم ولم يَلْقَـه كـما قَـرَّر ذلـك أهلُ النَقْل وذكَرَ الخطيب في تاريخ بغْداد أنَّه أخذ الفِقْه عن حَمّاد بـن أبي سليمان وروى عنه عبد اللـه بن المبارك والقاضي أبو يوسـف ومحمـد بـن الحسن الشَّيْباني وغيرهم. وكان رحمه اللـه عالما عاملا زاهـدا عابـدا وَرِعًـا كثير الخُشوع دائم التَضَرُّع إلى اللـه تعالى ونَقَله أبـو جعفـر المَنْـصور مـن الكوفة إلى بغداد على أن يُوَلِّيَه القضاءَ فأبَى وهو يقـول لـه اتّـق اللــه ولا تُرْعِ في أمانتك الّا مَنْ يَخاف اللـه واللـه ما أنَا مَأمون الرِّضا فكيف أكـون مأمونَ الغَضَب فقال له المنصور كَذَبْتَ أنْتَ تصلح فقال له قد حَكَمْـتَ لِي على نَفْسك كيف يَحِل لك أن تُوَلّي قاضيا على أمانتِكَ وهو كَذّاب وقيل انه تولى القضاء أياما قليلة بعد اهانةٍ لحِقَتْه بـسبب امتناعـه ثـم تُـوُفّي عَقبَهـا وكان رضى اللـه عنه شـديدَ الكَـرَم حَـسَن المُواسـاة لاخْوانـه ومِـن أحْـسَن النـاس مَنْطِقـا وأحْلاهـم نَعْمـة وُلِـدَ سـنة 80 هجريـة وتـوفى سـنة 150

وكانت وفاته ببغداد في السِجْن لِيلَى القَضَاء وقيل انه لم يمت في السجن وتُوُفِّي في اليوم الذي وُلِدَ فيه الامامُ الشافعي رضى الله عنه.

بشار بن برد(توفى سنة 167 هـ)

هو أبُو معاذ بَشّار بن بُرْد الشاعر المشهور بَصْرِيّ قدمَ بغداد وأصْلُه مِن طُخَارُسْتَانَ مِن سَبْيِ المُهَلَّب بن أبي صُفْرة وكان أكْمَهَ وُلِدَ أعْمَى وهو في أوَّل مَرْتَبة المُحْدَثِين من الشُعَراء المُجِيدين فمن شعره في المشُورة قصيدته المشهورة التي مطلعها

اذا بَلَغ الرأيُ المَشُورَةَ فاسْتَعِن   بحَزْمِ نصيحٍ أو نصيحة حازِمِ

ومن شعره أيضا قوله

يا قوم أُذْني لبعض الحَيْ عاشقة   والأذن تعشَق قبل العين أحيانا

قالوا بِمَن لا تَرَى تَهْذِي فقلت لهم   الأُذْن كالعَيْن تُوفي القَلْبَ ما كانا

وكان يمدح المهدي بن المنصور أمير المؤمنين ورُمِى عنده بالزَنْدَقة فأمَر بضَربه فضُرِب سبعين سوطا فمات من ذلك بالقُرب من البَصْرة فجاء بعض أهله فحمله إلى البصرة ودفنه بها وذلك سنة 167 وقد نيف على تسعين سنة.

الامام مالك (90 - 179 هـ)

هو الامام أبو عبد اللـه مالك بن أنَس بن مالك بن أبي عامر الآصْبَحِيّ نسبة لِذِي أصْبَح من الآذْواء مُلوك اليَمَن إمام دار الهجْرة وأحَد الائمة الاَعْلام أخَذَ القراءة عن نافع بن أبي نُعَيم وأخذ العلم عن رَبيعة الرَّأْي وأفْتَى معه عند السلطان وقال مالك قَلَّ رجل كُنْتُ أتَعَلّم منه مَا مَات حتى يَجِيئَني ويَسْتَفْتِيَني وقال ابن وهْب سمعت مناديا ينادي بالمدينة الاَ لَا يُفْتى الناسَ إلا مالك بن أنس وابن أبي ذئْب وكان مالك رضى اللـه عنه اذا أراد أن يُحَدّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسَرَّح لِحْيَتَه وتَمَكَّن في جَلَوسه بِوَقَارٍ وهَيْبَة ثم حَدّث فقيل له في ذلك فقال أحِبّ أنْ أُعَظِّم حَديث رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم مَدْفُونة وقال الواقدي كان مالك يأتي المسجدَ ويَشْهَد الصَلَوَات والجَمْعة والجَنائز ويَعُود المَرْضى ويَقْضِي الحُقُوق ويَجْلس في المسجد ويَجْتَمِع إليه أصحابُه وكانت ولادته سنة 90 هجرية وتُوُفِّي سنة 179 بالمدينة ودُفِن بالبَقِيع.

سِيبَوَيْهِ (121 - 161 هـ)

وُلِد ونَشَأ بقَرية مِن قُرَى شِيرَازَ تُعْرَف بالبيضاء وكان ميلاده سنة 121 وقيل بعد ذلك ثم قَدِم البَصْرة لِتَلَقّي الحديث ورِوايَتِه ويقال انه بَيْنَما هو يَسْتَمْلِي عَلَى حَمّاد قَوْلَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئتُ لأخذتُ عليه ليس أبَا الدرداء (وأخذتُ من المؤاخذة أي المعاتبة) قال سيبويه أبُو الدرداء بالرفع ظانًا انه اسمُ لَيس فقال حَمّاد لَحَنْتَ يا سيبويه ومن ثَمّ عَكَفَ على الاشتِغال على الخليل بن أحمد وغيره وأخَذ اللُّغة عن الاَخْفَش الاَكْبر ولم يَزَل مشتغلا حتى صار إمامَ الائمة في علوم اللغة ووَضَع كتابه في النحو الذي هو مَرْجع علماء النحو وتوفى سنة 161 على المشهور.

الكسائي (توفى سنة 189 هـ)

هو أبو الحسن عَليّ بن حمزة الكُوفِي المعـروف بالكـسائي أحَـدُ القُـراء الـسبعة كان اماما في النحو واللغة والقراءات ولم يكن له في الشِعْر يَدٌ حتى قيـل لـيس في علماء العربية أجْهَل من الكسائي في الشِعر وكان يُؤَدِب الامـينَ بـنَ هـارون الرشيد ويُعَلّمه الَادَب ورَوَى الكسائي عن أبي بكر عَيّاش وحمزة الزّيّـات وابـن عُيَيْنة وغيرهم وروى عنه الفَرّاء وأبو عُبَيد القاسِـم بـن سلّام وغـيرهما وتـوفى سنة 189 بالرَّيّ وكان قد خرج إليها صُحْبة هـارون الرشـيد ويقـال ان الرشـيد كان يقول دَفَنْتُ الفِقْه والعربية بالرَّيّ لوفاة محمد بن الحَسَن الفقيه الحنفي يومئذ.

أبو نُوَاس (145 – 198 هـ)

هو أبو علي الحسن بن هانئ الشاعر المشهور كان جدّه مَوْلى الجَرّاح ابن عبد الله الحكَمِيّ وإلى خُرَاسَان قيل انه ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج إلى الكوفة ورُوى أنّ الخَصِيب صاحب مصر سأل أبا نُواس نَسَبه فقال أغْناني أدَبِي عن نَسَبي وما زالت العلماء والاشراف يروون شعره ويَتَفَكّهون به ويُفَضِّلونه على أشعار القُدَماء وكان من أجود الناس بَديهة وأرَقِّهِم حاشية حتى قال الجاحظ لا أعرف بَعْد بَشَّار مُوَلَّدًا أشْعَرَ من أبي نُوَاس. وكان أبو نُوَاس يعجبه شعر النابغة ويُفَضّله على زُهَير تفضيلا شديدا وكان المأمون يقول لو وَصَفَت الدنيا نَفْسَها لَمَا وَصَفَتْ بِمِثْل قول أبي نواس.

أَلَا كُلُّ حَيّ هَالِكُ وابن هالِكٍ وذُو نَسَب في الهالِكِين عَرِيقِ
اذا امْتَحَنَ الدُنْيا لَبِيبُ تَكَشَّفَتْ لَه عن عَدُوٍّ في ثِيَاب صَدِيقِ

وكانت وفاته سنة 198 ببغداد

الامام الشافعي (150 - 204 هـ)

هو الامامُ أبو عبد الـلـه محمد بن ادْريـسَ بـن العبـاس القُـرَشِي يَجْتَمـع مـع رسول الـلـه صلى الـلـه عليـه وسـلم في عَبْـد مَنَـاف وكـان رحمـهُ الـلــه كثـيرَ المَنَاقِب جَمّ المَفَاخِر مُنْقَطِع القَرِين اجْتَمَع فيه مـن العُلُـوم بكتـاب الـلــه وسنة الرسول صلى الـلــه عليـه وسـلم وكـلام الـصحابة رضى الـلــه عـنهم وآثَارِهِم وغير ذلك من معرفة كلام العَرَب واللُّغَة العَرَبية والشِعْر حتـى انّ الاَصْمَعيّ مع جلالة قدره في هذا الـشأن قـرأ عليـه أشـعار الهُـذَلِيِيّن مـا لم يَجْتَمع في غيره حتى قال أحْمد بن حَنْبَل رضى الـلـه عنه ما عَرَفْـتُ ناسِـخ الحَـديث مـن منـسوخه حتـى جَالَـسْتُ الـشافِعيّ وقـال رضى الـلــه عنـه قَدمْت على مَالِك بن أنَس وقد حَفِظْتُ المُوَطّأ فقال لي أحْضِرْ مَن يَقْرَأ لَـكَ فقلت أنَا قارئ فقرأت عليه الموطأ حفظـا فقـال إن يَـكُ أحَـدٌ يُفْلـح فهـذا الغُلام وكان سُفْيَان بن عُيَيْنَة اذا جاءه شئ من التَفْسِير أو الْفُتْيا الْتَفَت إلى الشافعي فقال سَلُوا هذا الغُلَام وقال احْمَد بن حنبل مـا أحَـدٌ ممـن بيـده مَحْبَرَةٌ أوْ وَرَقٌ الّا وللِشّافِعىّ في رَقَبَته مِنّة فَفَضَائِله أكْثَر من أَن تُعـدَّ ووُلِـدَ سنة 150 وقيل إنّه ولِد في اليوم الذي تُوُفّى فيه الامـام أبـو حَنيفـة وكانـت

ولَادُته على الاصحّ بمدينة غَزّة وحُمل منها إلى مكّة وهو ابن سَنَتَين فَنَشَأ بها وقرأ القرآن الكريم وقِدمَ بَغْداد سنة 195 فأقام بها سَنَتَين ثم خرج إلى مكة ثم عاد إلى بغداد ثم خرج إلى مصر ولم يزل بها إلى أن تُوُفِّي سنة 204 .

الفَرَّاء (144 - 207 هـ)

هو أبو زكرياء يَحْيى بن زِيَاد الَاسْلمِيّ المعروف بالفَرّاء الدَيْلَمِي الكُوفي كان أبْرعَ الكُوفِيين وأعْلَمَهم بالنحو واللغة وفنون الادب وحكى عن أبي العباس ثعلب أنه قال لولا الفَرّاء لَمَا كانت عربية لانه خَلّصها وضبطها ولولاه أيضا لَسَقَت لانها كانت تُتَنَازَع ويَدّعِيها كُلُّ من أراد وتتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فَتَذْهَب أخَذَ النحوَ عن أبي الحَسَن الكِسَائِي ولما اتصل بالمأمون أمَرَه أن يُؤَلِّف ما يَجْمع أصولَ النحو وما سُمع من العربية فصنَّف الحُدُود وأمَر المأمون بكَتْبه بالخزائن ثم ألّف كتاب المعاني وله كتابان في الشَكْل وله كتاب اللغات وكتاب الجَمْع والتثنية في القرآن وكتاب الوقف والابتداء وغير ذلك من الكتب وتوفى سنة 207 في طريق مكة وعمره 63 سنة.

أبو العتاهية (130 - 211 هـ)

هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم المعروف بـأبِي العَتاهِيَـة الـشاعر المـشهور وُلِد سنة 130 ببلدة تُسَمَّى عَـيْنَ التَمـرْ بالحِجَـاز قُـرْبَ المَدِينـة المُنَـورة ونَـشَأ بالكوفة وسَكَن بَغْدَاد ومِن شِعْره في حضرة الخليفة المهدي

أتتـــــه الخلَافـــــةُ مُنْقَـــادَةً　　　إليـــــه تُجَــــرِّر أذْيَالَهـــــا
فَلـــم تَـــكُ تَـــصْلُح إلّا لَـــهُ　　　ولَـــمْ يَـــكُ يَـــصْلُح إلّا لَهَـــا
ولـــو رَامَهـــا أحَـــدٌ غَـــيْرُه　　　لَزُلْزِلَـــــت الارضُ زِلْزَالَهـــــا
زلَـوْ لَـمْ تُطِعْـهُ نِيَـاتُ القُلُـوب　　　لَـــمَا قَبِـــلَ اللــــه أعْمَالَهَـــا

وله في الزُّهْد أشعار كثيرة وهو من مُقَدَّمي المُوَلَّدِين في طَبَقَة بَشَّار وأبِي نُـوَاس وتُوُفِّ سـنة 211 ببغـداد وقبـل وفاتـه قـال أشْـتَهي أن يجـئ مَخَـارِقُ المُغَنِّـي ويُغَنِّي عند رأسِي بهذين البيتين

اذا ما انتقضَت عَنّـي مـن الـدهر مُـدَّتِي　　　فـــانَ عَـــزَاء الباكيـــات قَلِيـــلُ
سَـيُعْرَض عَـنْ ذِكْـرِي وتُنْـسَى مَـوَدّتِي　　　ويَحْـدُث بعـدِي للخَليـل خَليـلُ

الَاصْمَعيّ (122-216هـ)

هو ابو سَعِيد عبد المَلِك بن قُرَيْب وأصْمَعُ جَدُّه الخامس وينتهي نسبة إلى مُضَرَ بن نِزَار بن مَعَدّ وهو من أهل البصْرة وقَدِمَ بَغْداد في خلافة هارون الرشيد ثم عاد إلى البصرة ولما كانت خلافة المأمون دعاه إليه فلم يُجِبْ واحْتَجَّ بِكبَرِ سِنّه وضَعْف قُوَّته فكان المأمون يَجْمَع المُشْكِلَ من المسائل ويرسلها إليه ليُجِيب عنها.

وقد كان الَاصْمَعِيّ اماما في اللغة والغرائب والمُلَح كثيرا الحفظ قويّ الذاكرة حتى قال بعضهم انه كان يحفظ ستة عشر ألف أُرْجوزة وقد ألف نحو الاربعين كتابا أغْلَبُها في اللغة وما يختص بها. ومما يحكى عنه أنه اجتمع مع أبي عُبَيدة عند الفضل بن الربيع وقد ألّف كلُّ منهما كتابا في الخليل فسُئل الاصمعي عن كتابه فقال هو مُجَلَّد واحد وسئل أبو عُبَيدة عن كتابة فقال خمسون مُجَلّدا فقيل له قُمْ إلى هذا الفَرَس وأمْسك كلَّ عُضْو منه وسَمِّه فقال لَسْتُ بَيْطارا وانما أخَذْتُ هذا عن العرب فقيل للاصمعي قُمْ أنْتَ وافْعَلْ فقام وجَعَل يَضَع يَدَه على كلّ عُضْو ويُسَمِّيه ويُنْشِد ما قالت العرب فيه فلما فَرَغ أُعْطِي الفَرَس ويقال انه كان اذا أراد اغاظة أبي عبيدة يأتي إليه راكبًا تلْك الفَرَسَ وتُوُفّي سنة 216 بالبصرة.

أبو تمّام (188 - 231هـ)

اسُمه حَبِيب بن أوَسْ بن الحارث ينتهي نسبه إلى طيئ ولد سنة 188 ونشأ بمصر وقد قيل انه كان يَسقِي الماءَ بالجَرّة في جامع مصر وقيل كان يَخْدُم حائكا ويعمَل عنده ثم اشتغل وتنقَّل إلى أن صار واحد عصره في ديباجة لفظه وفصاحة شعره وحُسْن أُسْلوبه وكان له من المحفوظات مالا يلحقه فيه غيره حتى قيل انه كان يحفظ أربعة عشر ألف أُرْجُوزة للعَرب غَيْرَ المَقَاطيع والقصائد وله كتاب الحَمَاسة الذي دَلَّ على غَزَارة فضله واتقان معرفته وحُسْن اختياره وله مجموع سَمّاه فُحُولَ الشعراء جَمَع فيه طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمُخَضْرَمين والاسلاميين وتوفى سنة 231 هجرية.

الامام احمد بن حنبل (164 - 241 هـ)

هو أحمد بن محمد بن حَنْبل ينتهي نَسَبه إلى عَدْنَان وُلِدَ في بغداد سـنة 164 ومان إمَام المُحَدِّثين صنّف كتابه المسْنَد وجَمَع فيه مـن الحـديث مـا لم يَتّفِـق لِغَيْره وكان يحفظ أحادِيثَ كثيرةً وكـان صـاحب الامـام الـشافعي رضى اللــه عنه ومن خواصّه ولم يَزَل مُصَاحِبَه إلى أن ارتحـل الـشافعي إلى مـصر وقـال في حقه خَرَجْت من بغداد وما خَلّفت بها أتْقَى ولا أفْقَه من ابن حنبل ودُعِيَ إلى القول بخَلْق القرآن فلم يُجِبْ فضُرب وحُبِس وهو مُصِرّ على الامتناع أخَذَ عنه الحديثَ جماعة من الامَاثل منهم محمد ابن اسـماعيل البخـاري ومُـسْلِم بـن الحَجَّاج النَيْسَابُورِي ولم يكن في آخر عَصْره مِثْلُـه في العِلْـم والـوَرَع تـوفى سـنة 241 ببغداد.

هو ابو عبد الله محمد بن أبي الحسن البخاري الحافظ الامام في علم الحديث صاحب الجامع الصحيح والتاريخ رَحَل في طَلَب الحديث إلى أكثر مُحَدِّثي الآمْصار وكَتَب بخُرَاسانَ والجبال ومُدن العِرَاق والحِجَاز والشام ومِصْر وقَدِم بغداد واجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضله وشهِدُوا بتَفَرُّده في عِلْم الروَاية والدِرَاية وحكى أبو عبد الله الحُمَيدي في كتاب جَذْوة المُقْتَبِس والخطيب في تاريخ بغداد أن البخاري لما قِدم بغداد سمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعَمَدوا إلى مائة حديث فَقَلبوا مُتُونَها وأسَانيدَها وأعْطَوْها لعشرة أنْفُس وأمَرُوهم اذا حضروا المجلس أن يُلْقُوا ذلك على البخاري وأخَذُوا المَوْعِد للمجلس وقد حضره كثير من أصحاب الحديث فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه واحد من العشرة فسأله عن حديثٍ من تلك الاحاديث فقال لا أعرفه ثم سأله عن آخر فقال لا أعرفه أيضا وهكذا حتى انتهى الجميع فلمّا عَلِم البخاري أنَّهُم فَرَغوا التَفَتَ إلى الاول منهم وقال له أما حديثك الاول فهو كذا وحديثك الثاني فهو كذا والثالث والرابع على الوَلَاء حتى أتَمّ العشرة وفَعَل بالآخَرِين كذلك ورَدَّ مُتُونَ الاحاديث كلّها إلى أسَانيدها إلى متونها فأقَرّ له الناس بالحِفْظ وأذْعَنُوا له بالفَضْل ورَوَىَ عنه أبُو عيسى الترْمِذِي ووُلد سنة 194 وتوفى سنة 256 .

مسلم (206 - 261 هـ)

هو أبو الحُسَين مُسْلِم بن الحَجّاج بن مسلم القُشَيْري النَيْسَابُورِي صاحب الصحيح أحَد الأئمة الحُفّاظ وأعْلام المُحَدّثين رَحَل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر وسمع يحيى النيسابوري واحمد بن حنبل وغيرهما وقدِم بغداد غيرَ مَرَّة فروَى عنه أهلها وقال الحافظ أبو علي النيسابوري ما تحت أديم السماء أصحّ من كتاب مسلم في علْم الحديث وتُوُفّي مسلم المذكور سنة 261 بنيسابور وعُمْره خمس وخمسون سنة وقال ابن الصلاح انه ولد سنة 202 .

ابن الرّومي (221 - 284هـ)

هو أبو الحَسَن عليّ بن العباس الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مَكامِنِها ويُبْرِزها في أحسن قالَب وكان اذا أخذ المعنى لا يزال يستقصي فيه حتى لا يَدَع فيه فَضْلة ولا بَقِيّة ومن كلامه وهو في مَرَض موته وكان الطبيب يتردّد إليه ويعالجه بالأدوية النافعة فَزَعَم انه غلط في بعض العَقَاقِير قوله

غَلِط الطبيبُ عَلىّ غَلْطَةَ مُورِدٍ   عَجَزت مَوَارِدُه عن الاِصْدَار
والنَاسُ يَلْحَوْنَ الطَبيب وإنّما   غَلَطُ الطَبِيب إصابَة الاَقْدَار

ابن دريد (223 – 321هـ)

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد بن عَتَاهِيَة يَنْتَهي نَسَبُه إلى قحطان كان امام عصره في اللغة والأدب والشعر وقال المسعودي في كتاب مروج الذَهَب في حَقّه كان ابن دريد ببغداد ممّن بَرَع في زماننا في الشعر كل مذهب وله تصانيف مشهورة منها كتاب الجَمْهَرَة وهو من الكتب المعتبرة في اللغة وكتاب الاشتقاق وكتاب السَرْج واللِجَام إلى غير ذلك من الكتب الجليلة وكانت ولادته بالبصرة سنة 223 ونشأ بها وتعلّم فيها وأخذ عن أبي حاتم السِجِسْتاني والريَاشي وغيرهما ثم انتقل مع عمه الحُسَين إلى عُمَانَ وأقام اثنتى عشرة سنة ثم عاد إلى البصرة ثم خرج إلى نواحي فارس ثم إلى بغداد ومات بها سنة 321 ورثاه أحد البرامكة وهو حَجْظة بقوله :

فَقَدْتُ بابن دُرَيد كلَّ فائدة لَمّا غدا ثالثَ الأَحجار والتُّرَب
وكُنْت أَبْكي لِفَقْد الجُود مُنْفَرِدا فصِرْتُ أَبْكي لفَقْد الجُود والأَدَب

ابن عبد ربه (246 - 328هـ) (861 - 940م)

هو الفقيه العالم أبو عُمَر أحمد بن عبد رَبِّه وقد اشتهر بأدبه في الاندلس واتصلت شهرته إلى الشرق وقد زاد في شهرته وأبْقى ذِكْرَه الآن كتابُ العقْد الفريد المعروف في الادب وقد عّمر أكَثَر مِن اثنتين وثمانين سنة كما يؤخذ من قوله في قصيدته

ومـا لىَ لا أبْـلَى لـسَبْعِينَ حجَّـةً وعَـشْرٍ أتـت مـن بعـدها سَـنَتَان

ولَـسْتُ أبَـالِي مـن تَبَـارِيح عِلَّتـي اذا كـان عَقْـلي باقِيًـا ولِـسَانِي

اسمُه أحْمد بن الحسين بن الحسن الكِنْـدي الكـوفي المتنبـي الـشاعر المـشهور وانما قيل له المتنبي لأنه ادّعَى النُبُوة في بداية السَّماوة وتبعِه خَلْـق كثِـير مـن بني كَلْب وغيرهم فخرج إليه لؤلؤ أمير حِمْص نائبُ الاخْشِيدِيّة فَأسَرَه وتَفَـرَّق أصْحَابه وحَبَسَه طوِيلا ثم اسْتَتَابه وأطْلَقه ولما أُطْلِقَ من السجن الْتَحق بالأمير سيف الدولة ثم فَارَقه ودخل مصر سنة 346 ومدح كافورا الاخشيدي ولَمّا لَمْ يُرْضِهِ هَجَاه وقَصدَ بلاد فارس ومدح عَضُد الدولة بن بُوَيهْ فأجزل صِـلَتَه ولَـمّا رجع من عنده عَرَض له فاتِك بن أبي جهل الاَسَدي في عدّة من أصحابه فقاتلـه فَقُتِل المتنبي وابنُهُ وقيل ان السَبب في قَتْله عضد الدولة لأنـه لَـمّا وفَـدَ عليـه وَوَصَلَه بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفـراس مُـسْرَجة مُحَـلّاة وثيـاب مُفْتَخَـرَة دَسّ عليه مَن سَأله أيْنَ هذا العطاء مِن عطاء سيف الدولة فقال له هذا أجْـزَل الا أنه عَطاءٌ متَكَلّف وسيفُ الدولة كان يُعْطِي طَبْعًا فَغَـضِب عـضد الدولـة مـن ذلك وجَهَّز عليه قَوْما مِن بَنيِ ضَبَّة فَقَتَلُوه بعد أن قاتل قتالا شديدا وقد قـال له غلامه لَمّا انهزم أين قولك:

الخيل والليـل والبَيْـداء تَعْرِفُنـي والطعـن والـضرب والقرطـاس والقلـم

فقال قَتَلْتَنِي قَتَلَك الـلـه ثم قاتل فَقُتِلَ وكان قَتْلُه سنة 354 ومولِدُه سنة 303 بالكُوفة.

أبو فراس (320 - 357 هـ)

هو الحَارث بن أبِي العلاء ابن عمّ ناصر الدولة وسَيْف الدولة قال الثَّعَـالِبِي في وَصْفِه كان فَرْدَ دَهْره وشَمْس عَصْره أدَبا وفَضْلا وكَرمًا ومَجْـدا وبلاغـة وبراعـة وفُرُوسِيّة وشَجَاعة وشِعْرُه مشهور بَـيّن الحُـسْن والجـودة والـسُهُولة والجَزَالـة والعُذُوبة والفَخَامة والحَلَاوة ولم تجتمع هـذه الخِـلال قَبْلـه إلا في شِـعر عبْـد الـلـه بن المُعْتَزّ وأبو فِرَاس هذا يُعَدّ أشْعَرَ منه عنه أهل الصنعة ونَقَدَةِ الكلام وكان المتنبي يشهد له بالتقدم فلا يَنْبَرِي لمُبَارَاته ولا يَجْترئ على مُجَاراته وكان سيف الدولة يُعْجَب جِدّا بمَحاسنه ويُمَيِّزه بالاكرام على سائر قومه ويَسْتَصْحبه في غَزَوَاته ويَسْتَخْلِفه في أعْماله وقد أسَرَه الرُوم في بعض الوقـائع أقـام بـالاَسْر أربعَ سنين وله في الاَسْر أشعار كثيرة من أجْوَد ما قاله ومن شعْره حين حَـضَرَتْه الوفاة سنة 357 مُخَاطِبا ابْنَتَه

أبُنَيَّتـــــــي لا تَجْزَعــــــــي   كُـــــلّ الاَنَـــــام إلى ذَهَـــــاب

نُـــــوحِي عَــــلَيَّ بِحَـــــسْرة   مِـــن خَلْــف سِــترِك والحِجَــاب

قُــــــولِي اذا كَلَّمْتِنـــــــــي   فَعَيِيْـــــت عَــــن رَدِّ الجَـــوَاب

زَيْــــنُ الـــشَبَاب أبُـــو فِـــرَا   سٍ لَــــمْ يُمَتَّـــــعْ بالـــــشَبَاب

وولد سنة 320

أبو الفرج الاصفهاني (284 - 356 هـ)

هو علي بن الحسين وجدّه السابع مَرْوان بن محمد آخِر خلفاء بني أمَيّة ولُدِ بأصْبِهَانَ ونَشَأ ببغداد وقد كان من أعيان الأدَباء وأفراد المُصَنّفِين وكان عالما بأيام الناس والأنساب والسِيرَ يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المُسْنَدة والنَّسَب شيأ كثيرا جدّا مع الالمام بعلوم أخرى مثل اللغة والطب والنجوم وكان له من جَيّد الشعر شئ كثير وألّف كثيرا من الكتب في العلومالمختلفة وأشهر هذه الكتب كتاب الأغَانِي في واحد وعشرين مُجَلَّدا وقد كان أبو الفرج منقطعا إلى الوزير المُهَلَّبِي وله فيه مَدَائحُ وعاش فوق السبعين سنة وتوفي سنة 356

الخوارزمي (توفى سنة 383 هـ)

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارِزْمِيّ الشاعر المشهور وهو ابن اخت أبي جعفر محمد بن جَرِير الطَبَري صاحب التاريخ والخوارزمي المذكور كان أحد الشعراء المُجِيدين اماما في اللغة والانساب أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب وكان يشار إليه في عصره وحكى أنه قصد حضرة الصاحب بن عَبّاد وهو بأرَّجَانَ فلما وصل إلى بابه قال لأحد حُجَّابه قل للصاحب على الباب أحَدُ الأدبَاء وهو يستأذن في الدخول فدخل الحاجب وأعلمه فقال الصاحب قل له قد ألزمتُ نفسي أن لا يدخل عليّ من الأدباء إلّا من يحفظ عشرين ألف بيت من شِعْر العرب فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك فقال له أبو بكر ارجع إليه وقل له هذا القَدْر مِن شِعْر الرجال أم من شعر النساء فدخل الحاجب فأعاد إليه ما قال فقال الصاحب هذا يكون أبا بكر الخوارزمي فأذن له في الدخول فدخل فعرفه وانبسط له ولما رجع من الشام سكن نيسابور ومات بها سنة 383

بديع الزمان (توفى سنة 398 هـ)

هو أبـو الفـضل أحمـد بـن الحـسين بـن يحيـى بـن سـعيد الهَمَـذَانِي الحـافظ المعروف ببديع الزمان صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة وعلى منْوالِـه نَسَجَ الحَرِيريُّ مَقَامَاته واحْتَذَى حَذْوَه واقتفَى أثره واعترف في خطبته بفـضله وانه الذي أرشده إلى سلوك ذلك المنهج وهو أحد الفضلاء الفُـصَحاء روى عـن أبي الحسين احمد بن فارس صاحب المُجْمَل في اللغة وعـن غـيره ولـه الرسـائل البديعة وسَكَنَ هَرَاة من بلاد خُرَاسَان وكانت وفاته سنة 398 مسموما بمدينـة هراة وقيل انه مات من الـسكتة وعُجّـل دَفْنُـه فأفـاق في قـبره وسـمع صـوته بالليل وأنه نبش عنه فوجدوه وقد قبض على لحيته ومات من هول القبر.

ابن زيدون (سنة 394 – 463 هـ)

هو أبو الوليد أحمد بن عبد اللـه بن أحمد بن غالب بـن زيـدون المخزومـي الاندلسي القرطبي الشاعر المشهور قال ابن بسام صاحب الذخيرة في حقه كان أبو الوليد خاتمة شعراء بني مخـزوم وكـان مـن أبنـاء وجـوه الفقهـاء بقرطبـة وبرع أدبه وجاد شعره وعلا شـأنه وانطلـق لـسانه ثـم انتقـل عـن قرطبـة إلى المعتضد عباد صاحب اشبيلية فجعله من خواصه يجالسه في خلواته ويركن إلى اشاراته وكان معه في صورة وزير وله القصائد الطنانـة منهـا قـصيدته النونيـة المشهورة التي منها

نكـاد حـين تُنـاجيكم ضـمائرنُا   يَقـضي علينـا الأسى لـولا تأسّـينا
حالَـت لِبُعْـدِكُمُ أيامُنـا فغـدت   سُـودًا وكانـت بكـم بيـضًا لَيالِينـا
بـالأمس كنّاومـا يُخْـشَى تفرُّقنـا   واليـوم نَحْـنُ ومـا يُرْجَـى تَلاقينـا

وكانت ولادته سنة 394 بِقُرْطُبَةَ وتوفى سنة 463 بِأشْبِيلِيَّة

الشريف الرضي (359 - 406 هـ)

هو أبو الحسن محمد بن الطاهر ينتهي نَسَبه إلى زَين العابدين ابـن الحسين رضى اللـه عنهما وهو المعروف بالمُوسَوِيّ صاحب ديوان الشِعْر المشهور وقال الثعالبي في كتاب اليتيمة في ترجمته انه ابتـداء يقـول الـشعر بعـد أن جاوز عشر سنين بقليل وقال أيضا انه اليومَ أبْدَعُ ابناءِ الزمان وأنْجَب سادات العراق ولو قلتُ انه أشْعَرُ قُرَيش لم أبعُد عـن الـصِدْق ويـشهد بـذلك شعره وكَلَامُـه الذي يَجمَع إلي السَلَاسة مَتَانَةً وإلى السُهُولة رَصَانة وكـان والـده يتـولّى قـديما نقَابةَ الطالبّين ويَحْكُم فيهم أجمعين وينظر في المظالِم ثم رُدَّت هذه الاعمالُ إلى وَلَدِه الرَّضي المذكور وأبُـوه حـيٌّ ومـن غُـررِ شعْره مـا كتبـه إلى الامـام أبي العباس احمد بن المُقْتَدر

عَطْفًا أمـيرَ المـؤمنين فاننـا　　　في دَوحـة العَليـاء لا نَتَفَـرّق
مـا بَيْنَنَـا يـومَ الفخـار تَفَـاوُت　　　أبَـدًا كِلانـا في المَعـالي مُعْـرِق
الا الخلَافـة مَيَّزَتْـك فـانِنَّني　　　أنَـا عاطِـلٌ منهـا وأنْـتَ مُطَـوَّق

وديوانُ شعْره مَشْهُور وقد صَنَّفَ كِتَابًا في مَعَانِي القرآن الكَريم وصَنّف كتابا آخـر في مَجَازَاته وكانت ولادته سنة 359 ببغداد وتـوفى سـنة 406 ويقـال انـه جمـع كتـاب نهْج البلاغة من مختار كلام أمير المؤمنين على رضي اللـه عنه وقال الامـام الـذَهَبي في ميزان الاعتدال مَن طَالَعَ كتاب نهج البلاغة جَزَم بأنّه مَكْذُوب على أمير المـؤمنين على رضى اللـه تعالى عنه فان فيه السّبّ الـصريح والحَـطّ عـلى الـسَيّدَين أبي بكـر وعمر رضى اللـه تعالى عنهما ا ه .

ابن سيناء (370 – 428هـ)

هو أبو علي الحسين بن عبد اللـه بن سيناء البخاري المشهور بالشيخ الرئيس كان من أشهر الحكماء والاطباء فهو أبُقْراطُ الطّب وأرِسطو الحكْمة عند العرب والافرنج وقد جَمَع في فسيح صدره كتابات أرسطو وأوعى في خزانة معارفه حِكَمه وقواعِدَه وقد نَقَل الافرنج عنه أكثر ما عندهم من كتابات جَالِينُوس وابقراط ونشروا أشهر تآليفه في اللغة العربية وترجموا أكثرها إلى لغاتهم وكان هو المُعَوّل عليه شرقا وغربا في قواعد الحكمة والطب وقد اعترف له الجميع بالفضل فافتخر به الشرق وأخذ عنه ومدحه الغرب وانتفع بتصانيفه وكان والده من اهل بَلْح وانتقل إلى بُخَارَى وكان من العُمّال الكُفَاةِ واشتغل ابن سيناء بالعلوم والفنون ثم توجه نحوهم الحكيم أبو عبد اللـه النّاتلي فأنزله عنده وابتدأ يقرأ عليه كتاب ايساغوجي وأحكم عليه علم المنطق حتى بَرَع ويقال انه فاقه كثيرا حتى أوضح له رموزا وفَهمّه اشكالات ثم اشتغل بعد ذلك بالعلوم الطبيعية والالهية وفتح اللـه عليه أبواب العلوم ثم رغب بعد ذلك في علم الطِّب فتعلم حتى فاق فيه الاوائل والأواخر وأصبح عديم القرين تَرِد إليه الناس لتتعلم منه أنواعه والمعالجات المقتبسة من التجربة ويقال ان سِنُّه اذ ذاك لم يزد عن ست عشرة سنة لانه لم يشتغل بغير المطالعة وكان اذا أشكلت عليه مسألة توضأ وقصد المسجد وصلّى ودعا اللـه أن يُسَهّلها عليه وقد عالج الاميرَ نُوحَ بن نصر السّامَاني صاحب خُرَاسان من مَرَضِه

حين استحضره لَمّا سَمِع بحكمته حتى برِئ فاتصل بـه وقـرُب منـه ودخـل إلى دار كتبه وكانت عديمة المثل فيها من كل فن فظفِر بما حـصل عليـه منهـا مـن ثمرات العلوم واتفق بعد ذلك أن حُرِقت خزانة هـذه الكتـب (ويقـال ان أبـا علي هو السبب في احراقها لينفرد بما حَصّله منها) ولما اضطربت أمور الدولـة السامانية خرج أبو علي من بخاري إلى قَصَبَة خوارزم ولم يزل ينتقـل في الـبلاد إلى أن ذهب إلى جُرْجَان وصنَّف بها الكتاب الاوسط ولهذا يقـال لـه الاوسـط الجرجاني ثم بعد ذلك ذهـب إلى هَمَـذَان وتقلّـد الـوزارة لـشمس الدولـة ثـم ثارت العسكر عليه فَأغارُوا عـلى داره ونَهَبُوهـا وقَبَـضوا عليـه وسـألوا شـمس الدولة قَتْلَه فامتنع ثم أُطْلِـق فَتَـوَارَى ولَـمّا مـرِض شـمس الدولـة وتـولى تـاج الدولة ولم يستوزره توجه إلى إصْبِهَانَ وكان بها أبو جعفر فأحسن إليه وكانـت ولادته سنة 370 وتوفي سنة 428 بهَمَذَان بعد أن اغتـسل وتـاب وتـصدق بمـا معه على الفقراء ورَدّ المَظَالِم عـلى مـن عَرَفـه وأعْتَـقَ مماليكـه وجعـل يخـتم القرآن الكريم كل ثلاثة أيام مَرّة.

أبو العلا المعري (363 - 449 هـ)

هو احمد بن عبد اللـــه بـن سـليمان التَنُـوخِي المَعّـرِي اللغـوي الـشاعر كـان متضلعا من فنون الأدب قرأ النحو واللغة على أبيه بالَمَعرّة وعلى محمـد ابـن عبد اللـه بحَلَب وله التصانيف الكثيرة المـشهورة والرسـائل المـأثورة ولـه مـن النظم لزوم مالا يلزم وله سَقْط الزَنْد وشرَحَه بنفسه وسَمّاه ضوء الـسقط ولـه غير ذلك وكان علَّامة عَصْره وأخَذَ عنه أبو القاسم عـلي بـن المُحْـسِن التَنُـوخِي والخطيب أبو زكرياء التَبْرِيزي وغيرهما وكانت ولادته سنة 363 بالَمَرّة وعَمِـيَ سنة 367 من الجُدَرِيّ وقد اختصر ديوانَ أبي تَمّـام والبُحْـتُري والمتنبـي وتكلـم على غريب أشعارهم ومعانيها ومآخذهم من غيرهم وما أُخِذ عليهم وبعد أن لزم منزله سنة 401 سار إليه الطلبة من الآفاق وكاتَبَه العلماء والوزراء وأهـل الاقدار ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تَزَهُّـدا لانـه كـان يَعُـدّ ذَبْح الحيوان تعذيبا وعمل الشِعر وهو ابن احدى عشرة سـنة ومـن كلامـه في اللزوم

لا تطلـــبنّ بآلـــهٍ لَـــكَ رُتْبـــة   قَلَـمُ البَلِيـغ بغـير جَـدّ مِغْـزَلُ
سَـكَنَ الـسِمَا كَـانِ الـسماءَ كِلَاهُـمَا   هـــذا لـــه رُمْـــحٌ وهـــذا أعْـــزَلُ

وتوفى سنة 449 بالمعرّة وأوصى أن يُكْتَب على قبره

هذا جَنَاه أبي عَلَيّ وما جَنَيْتُ عَلَى أحَد

حجة الاسلام الغزالي (450 - 505 هـ)

هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الغزالي المُلَقَّب حُجَّة الاسلام زَين الدين الطُوسِي الفقيه الشافعي ولم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله اشتغل في مبدأ أمره بطُوس ثم قَدِم نَيْسَابُور وجدّ في الاشتغال على امام الحَرَمين أبي المعالي حتى تَخرَّج في مدة قريبة وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه ولم يزل ملازما له إلى أن توفي فخرج من نيسابور إلى العسكر ولقى الوزيرَ نِظَامَ المُلْك فأكرمه وعظّمه واقبل عليه وكان بحضرة الوزير جماعة من الافاضل فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس وظهر عليهم واشتهر اسمُه وسارت بذكره الركبان ثم فُوِّض إليه التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد وأُعْجِبَ به أهلُ العراق وارْتَفَعَت عندهم منزلَتُه ثم ترك جميع ما كان عليه وسلك طريق الزُهْد والانقطاع وقَصَد الحَجّ ولَمّا رجع توجه إلى الشام فأقام بمدينة دِمَشْق ثم انتقل منها إلى بيت المقدس واجتهد في العبادة ثم قصد مصر وأقام بالاِسكَنْدَرِية مدة ثم عاد إلى وطنه بطوس واشتغل وصنّف الكتب التي أشْهَرُها احياء علوم الدين وكتاب الوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة في الفقه والمقصد الاسني في شرح أسماء الله الحسنى ومشكاة الأنوار والمُنْقِذِ من الضلال إلى غير ذلك من الكتب النفيسة ثم أُلْزِم بالعَوْد إلى نَيْسَابُور والتدريس بها بالمدرسة النظامية ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه ووزّع أوقاته على أعمال الخير والعبادة وكانت ولادته سنة 450 هجرية وتوفي سنة 505

الطغرائي (توفي سنة 513 هـ)

هـو العَمِيـد أبـو اسـماعيل الحـسين بـن عـلي الملقـب مُؤَيّـد الـدين المـشهور بالطُغْرَائِي كان غَزِيرَ الفضل لطيف الطبع فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر وقال أبو المعالي في كتابه زينة الدهر ان الطغـرائي كـان يُنْعَـت بالأُسْـتاذ وكـان وزير السلطان مسعود بن محمد السَلْجُوقي بالمَوْصـل ولَـمّا جَـرَى بينـه وبـين أخيه السلطان محمود المَصَافّ بـالقرب مـن هَمَـذاَن وكانـت النـصرة لمحمـود وُشِي به فَقُتِل وكانت هذه الواقعة سنة 513 وقيل سنة أربع عشرة وقد جاوز ستين سنة والطغرائي نسبة لمن يكتب الطُغْرَى وهى الطُّرَّة التي تُكتَب في أعلى الكُتُب فوق البسملة بالقلم الغليظ وهى لفظـة أعجميـة وللطغـرائي المـذكور ديوان شعر جيّد ومن محاسن شـعره قـصيدته المعروفـة بلامِيـة العجـم التـي اولها

(اصالة الرأي صانَتْني عن الخطل الخ)

هو أبو محمد القاسم الحريري البصري صاحب المقامات أحَدُ أئمة عصره ورُزِق الحُظْوة التامَّة في عمل المقامات واشتملت على شيء كثير(³) من كلام العرب من لغاتها وأمْثالها ورموز أسرار كلامها وبها يُسْتَدَلّ على فضل هذا الرجل وعلى كثرة اطلاعه وغَزَارة مادّته وسَبَبُ وضعِه لها ما حكاه ولَدَهُ أبو القاسم قال كان أبِي جالسا في مسجده ببَنِي حَرَامٍ فدخل شيخ ذُو طِمْرَيْنِ عليه أُهْبَة السفَرَثُّ الحال فصيح الكلام حسن العبارة فسألته الجماعة من أين الشيخ فقال من سَرُوج فاستخبره عن كُنْيَته فقال أبُو زَيد فعَمِل أبِي أبِي المقامة المعروفة بالحَرَامِيّة وعزاها إلى أبي زيد المذكور واشتهرت فبلغ خَبَرُها الوزيرَ شرف الدين وزير الامام المسترشد بالله فلما وقف عليها أعجبته وأشار على والدي أن يَضُمّ إليها غيرها فأتَمّها خمسين وكانت ولادة الحريري سنة 446 وتوفى سنة 516 بالبصرة في سِكّة بني حَرَام.

وقد حَاوَل كثير من الافرنج تَرْجمة المَقَامَات إلى لُغَتهم ولكن مِثل هذا الكتاب لا يُتَرْجم وللحريري غير المقامات كتب كثيرة منها دُرّة الغَوّاص ومُلْحَة الاعراب في النحو وديوان شعر ورسائل.

---

[3] (3) ادبيات اللغة العربية (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

هو ابو الوليد محمد بن أحمد بن رشد أشهر فلاسفة العرب ولد في قرطبة سنة 514 هجرية وكان أبوه متوليا فيها الفتوى أخّ عن أشهر الفلاسفة في عصره وتخرج في الفقه والطب والفلسفة وقَرَّ به المهدي يوسف لثقته به وحذقه ورقّاه أسمى المراتب فخَلَفه بها في فتوى الاندلس ثم تولى الفُتْيا في مَرَّاكُش وأقام فيها مدة وسكن إشْبِيلِيّة وكان له نفس الرعَاية والاعتبار في أوائل عهد المنصور خَلَف المهدي يوسف الا أنه وُشيَ به حَسَدًا وعُدْوَانا ففسد أمْرُه عند المنصور فَعَزَلَه عن رُتْبته ونفاه عِدة سنين ثم دُعِي إلى مَرَّاكُش فشُمِل بالعطايا والمكارم وتوفي بها بعد أمَد وَجِيز سنة 595 هجرية.

وقد ذهب ابن رشد إلى أن أرِسطو هو أعظم الفلاسفة وترجم مؤلّفاته وَشَرَحَها بضَبْطٍ وَتَرَوٍّ وله شرح أُرْجُوزةٍ في الطّبّ للشيخ الرئيس ابن سيناء وله كتاب فصل المقال فيما بين الشرعية والطبيعة من الاتصال ومن أشهر مؤلفاته الكليات في الطب وله غير ذلك كثير وأصل مؤلفاته في العربية نادر الوجود ولكن الاوروبيين اهتمّوا بترجمتها إلى لغاتهم فمن ذلك شرح أقوال آرسْطُو مع الرّد على الغزالي فانه تُرْجم إلى اللاتينية وحسب أحد عشر مجلدا وطبع بالبندقية سنة 1560 ميلادية وكذلك كلياته ترجمت وطبعت بالبندقية أيضا وقد اهتم الاوربيون بفلسفة ابن رشد ومذهبه ذكر فيه سيرته ومؤلفاته وقال انه كان أعظم فلاسفة القرون المتوسطة التابعين لأرسطو والناهجين سبيل الحرية في الافكار والاقوال وقد طبع هذا الكتاب بباريس سنة 1852.

ابن جبير (540 – 614 هـ)

هو ابو الحسن محمد بن احمد بن جُبَيْر الكناني ولد ببَلَنْسِيَة في سنة 540 وقد برع في العلم والشعر ورحل إلى المشرق أكثر من مرّة فخرج من غَرْنَاطَةَ في رِحلته الاولى سنة 578 ووصل إلى الاسكندرية بعد ثلاثين يوما وحج ورحل إلى الشام والعراق والجزيرة وغيرها ثم عاد إلى الاندلس سنة 581 ثم سافر بعد ذلك إلى المشرق وتوفى بالاسكندرية سنة 614 وهو ممن أَثْرَوْا بالادب ثم تزهد وأعرض عن الدنيا وكان من أهل المروآت مؤنسا للغُرَباء عاشقا لقضاء حوائج الناس

ابن الفارض (576 - 632 هـ)

هو أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن المعروف بابن الفارض المنعوت بالشرف له ديوان شعر لطيف وأسلوبه فيه رائق ظريف ينحو منحى طريقة الصوفية ومن كلامه

لَم أخْلُ مِن حَسَد عليك فلا تُضِع سَهَرِي بتشيِيع الخَيَال المُرْجِفِ
واسْأَلْ نُجُوم الليل هل زار الكَرَى جَفْني وكيف يَزُور من لم يَعْرِفِ

وكان رحمه الله صالحا كثير الخير حسن الصحبة محمود العشيرة جاور بمكة المكرمة زمانا وكانت ولادته سنة 576 بالقاهرة وتوفى بها سنة 632 ودُفن بسَفْح المُقَطَّم .

ابن الاثير

يطلق هذا الاسم على كل واحد من اخوة ثلاثة وهم العالم المحدّث ابو السعادات مَجْد الدين المبارك (544 - 606 هـ) والمؤرّخ المدقق أبو الحسن عِزّ الدين علي (555 - 630هـ) والوزير الأديب ضياء الدين أبو الفتح نصر الله (000 - 637هـ) وهم أبناء أبي الكرم محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَيْبَاني وُلِدُوا جميعا بجزيرة

ابن عُمَر بالجزيرة ثم رحلوا مع أبيهم إلى المَوْصِل واشتغلوا بها وحَصّلوا العلوم وكانوا جميعا فقهاء مُحَدّثين أدَبَاء مُؤَرّخين الا أن كل واحد منهم تفَرّد بعِلْم وألّف مُؤَلّفَات لا تزال طائرة الصِيت إلى يومنا هذا.

فَتَفَرّد المبارك بالحديث وألّف فيه كتاب النهاية في غريب الحديث وقد كان اعتراه مرض كفّ يديه ورجليه فمنعه من الكتابة وأقام في داره وفي هذه الحالة صنف كتبه وكان له جماعة يعينونه عليها وتفرّد ضياء الدين بالأدب ومن أشهر كتبه فيه المَثَل السائر في أدَب الكاتب والشاعر وقد كان اتصل بخدمة صلاح الدين الأيُّوبي ثم انتقل إلى ولده الملك الأفضل فاستوزره وكانت وفاته سنة 637

ابن الحاجب (570 - 646هـ)

هو أبو عَمْرو عثمان بن عُمَر الفقيه المـالكي المعـروف بـابن الحاجـب الملقـب جمال الدين كان والده حاجبا للامير عز الدين وكان كُرْدِيًّا واشـتغل ولـده أبـو عمـرو في صـغره بـالقرآن الكـريم ثـم بالفقـه عـلى مـذهب الامـام مالـك ثـم بالعربية والقراآت وبَرِعَ في علومه وأتْقَنَها غاية الاتقان وكان ذلك بالقاهرة ثم انتقل إلى دِمَشْقَ ودرس بجامها وأكَبَّ الخلـق عـلى الاشـتغال عليـه وتَبحّـر في الفنون وكان الأغلب عليه عِلْـمَ العربيـة صَـنَّف مختـصرا في مَذْهَبـه ومُقَدِّمَـةً وجيزة في النحو وسَمّاها الكافية وأخرى مِثْلَهـا في التـصْرِيف وسَـمَّاها الـشافية وشَرَحَ المُقَـدَّمَتَين وصـنّف في أصُـول الفقـه وخَـالَف النُّحـاةَ في مواضِـعَ وأوْرَد عليهم اشْكالات والزامات تَبْعُد الاجابة عنها وكان مِن أحْسَن خَلْق الـلـه ذِهْنا ثم عاد إلى القاهرة وأقام بها والناس ملازمـون للاشـتغال عليـه ثـم انتقـل إلى الاسكَنْدَرية للاقامة بها فلم تَطُل مدّته هناك وتُوُفِّيَ بهـا سـنة 646 وولـد سـنة 570 باسنا

بهاء الدين زهير (581 - 656 هـ)

هو أبو الفضل زُهَير بن محمد بن علي الملقب بهاء الدين الكاتب كان من فضلاء عصره وأحسنهم نظما ونثرا وخَطّا ومن أكبرهم مُرُوءة وكان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أبي الفتح أيّوب ابن الملك الكامل بالديار المصرية وتوجّه في خدمته إلى البلاد الشرقية وأقام بها إلى أن مَلَك المَلِكُ الصالح مدينة دِمَشْقَ فانتقل إليها في خدمته وأقام كذلك إلى أن جرت الواقعة المشهورة على الملك الصالح وخرجت عنه دمشق وخانه عسكره وقَبَضَ عليه ابْن عَمّه الملك الناصر داود صاحب الكَرَكِ واعْتَقَله بقَلْعة الكَرَكِ فأقام بَهاءُ الدِين زهير المذكور بنابلس محافظة لصاحبه ولم يتصل بغيره ولم يَزَل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية فَقَدِم إليها في خِدمته لما كان عليه من مكارم الاخلاق ودماثة السجايا ولذلك كان متمكنا من صاحبه كبير القدر عنده لا يَطّلع على سِرّه الخَفِيّ غيره ومن محاسن شعره مُلْغِزا في القُفْل قوله

وأسْوَد عَارٍ أنْحَلَ البَرْدُ جِسْمَه ... وما زال من أوصافه الحِرْص والمَنْع

وأعْجَب شَيءكَوْنُه الدهْرَ حَارِسًا ... وليس له عَيْنٌ وليس له سَمْع

أبو الفداء (672 - 732 هـ)

هو السلطان الامام والملك المُؤيَّد اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهِنْشَاْه بن أيّوب صاحب حَمَاة وكانت ولادته بدمشق لان أهله كانوا خرجوا من حماة خوفا من التَّتر وكان أبو الفداء بَطَلا شجاعا خدم الملك الناصر محمد بن قَلَاوُون لَمّا كان في الكَرَك وسَاعَدَه في محاربة التَتَر فوَعَده بحَمَاة التي كانت اقْطاعا لأُسْرَتِّهم ووَفَى له بذلك وجعله سلطانا عليها يَفْعَل فيها ما يَشَاء من اقْطاع وغيره وليس لأحد من الدولة بمصر معه حُكْم ولَقَّبَه بالسلطان المؤيد.

ويقال أن أجْوَد ما كان يَعْرِفه أبو الفِداء عِلْم الهيئة لأنه أتْقَنَه وان كان قد شارك في سائر العلوم مشاركة جيدة وله مُؤلَّفات كثِيرة في علوم مُخْتَلِفة أهَمّها التاريخ المُتَضَمّن التاريخ القديم وتاريخ الاسلام إلى سنة 1328 ميلادية والجعرافية المتضمنة على الخصوص وصف مصر وسورية وبلاد العرب وفارس وهى أحسن الجغرافيات الشرقية وقد طبعت هى وتاريخه مرارا باللغة العربية واللغات الافرنجية بعد ترجمتها ومات في الستين من عمره سنة 732

ابن خلدون (732 - 808هـ)

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد وأصْل بَيْتِه مِن اشبيلِيّة من أعمال الاَنْدَلُس انتقلوا إلى تونس في أواسط القَرْن السابع للهجرة عند الجلاء ونسبهم في حضرموت من عرب اليمن وأوّل مَن رَحَل إلى الاَنْدَلُس منهم هو خَلْدُون الجَدّ العاشر للمترجم.

ووُلِدَ ابن خلدون بِتُونِسَ سنة 732 للهجرة ورُبي في حجر والده وقرأ القرآن الكريم بالقراآت السبع ثم أخذ في دراسة الفقه والأدب فبرع فيهما وكان كاتبا بليغا وشاعرا نابغا تَنَقّل كثيرا في بلاد المغرب والاندس وتَوَلّى الكتابة لكثير من الملوك ورأي من النعيم والبَأْسَاء ما يراه أهل النباهة والشرف والصدق في كل زمان من الملوك الذين تَرُوج عندها الوشَايَات ثم حضر إلى مصر في سنة 784 وأخَذَ يُعَلّم بالجامع الازهر ثم اتصل بالسلطان برقوق فأكرمه وأحسن مثواه وفي سنة 786 ولاه القضاء بمصر فَعَدَل بين الناس ولم تُؤثّر فيه وِشَايةُ الوَاشِين وسِعَاية السَاعِين ولم يزل بالقاهرة إلى أن مات سنة 806 وقيل سنة 808 وقد أبْقَى شُهْرَتَه إلى الآن تاريخُه المشهور ومُقَدِّمته التي تَدُلّ على ان الرَجُل كان أكبر من نظروا في الاجتماع في عَصْره

روى ابن القُطَامِي عن الكَلْبي قال قدم النعمان بن المنذرعلى كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفضّلهم على جميع الامم لا يَسْتَثْنِي فارسَ ولا غيرها فقال كسرى وأخَذَتْه عزّة المُلْك يا نعمان لقد فَكَّرْتُ في أمْر العرب وغيرهم من الامم ونظرت في حالة من يَقْدَم عليَّ من وفُود الأُمَم فوجدت للرُّوم حظّا في اجتماع ألفتِها وعِظم سُلْطانها وكثرة مدائنها ووَثِيق بُنْيَانِها وانّ لها دِيْنًا يُبَيِّن حَلَالَها وحَرَامها ويرد سَفِيهَهَا ويُقِيم جاهَهَا ورأيت الهند نحوا من ذلك في حِكْمَتِها وطبّها مع كثرة أنْهار بلادها وثِمارها وعجيب صنَاعتها وطِيب أشجارها ودقيق حِسَابها وكثرة عَدَدها وكذلك الصين في اجتماعها وكثرة صناعات أيديها وفُرُوسيتها وهِمّتها في آلة الحرب وصناعة الحديد وان لها مُلْكًا يَجْمَعُها والتُّرك والخَزَر على ما بهم من سوء الحال في المَعَاشِ وقِلَّة الريف والثمار والحُصُون وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لَهم مُلوك تَضُمّ قَوَاصِيَهم وتُدَبِّر أمْرهم ولم أرَ للعرب شيأ من خصال الخَيْر في أمْرِ دِين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة ومع ان مما يَدُلّ على مَهَانتها وذُلّها وصِغَر هِمّتها مَحِلَّتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطير الحائرة يقتلون أولادَهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة قد خرجوا من مَطَاعِم الدنيا ومَلَابسها ومَشَارِبها ولَهْوِها ولَذّاتها فأفْضَل طعام ظَفِر به نَاعِمُهم لحومُ الإبِل التي يَعَافُها كثير من السّباع لِثِقَلها وسوء طعمها وخوف

دائها وان قرى أحَدُهم ضَيفا عَدّها مَكْرُمة وان أُطْعم أكْلة عَدّها غَنِيمة تَنْطِق بذلك أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم ما خلا هذه التَنُوخِية التي أسّس جّدّي اجتّماعَها وشَدّ مَمْلكتها ومنَعها مِن عَدُوّها فَجَرى لها ذلك إلى يومنا هذا وان لها مع ذلك آثارا ولَبُوسا وقُرًى وحُصُونا وأمورا تُشْبه بعض أمور الناس يعني اليَمَن ثم لا أرى كم تَسْتَكِنون على ما بكم من الذِّلّة والقِلّةِ والفَاقة والبُؤْس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس قال النعمان أصلح الله الملك حَقّ لِأُمَّةٍ المَلِك مِنْهَا أنْ يَسْمُو فَضْلها ويَعْظُم خَطْبها ويَعْلُو دَرَجتها إلّا أنّ عندي جَوَابا في كل ما نطق به الملك في غَير رَدٍّ عليه ولا تكذيب له فان أمَّنَنِي من غضبه نَطَقْتُ به قال كسرى قُلْ فأنْتَ آمِن قال النعمان أمّا امُّتَكُ أيها الملك فليست تُنَازَع في الفضل لموضعها الذي هى به من عقولها وأحلامها وبَسْطه محلها وبُحْبوحة عِزّها وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك وأمّا الامُمَمُ التي ذَكَرْتَ فأيّ أمة تَقْرُنُها بالعَرَب إلا فَضَلَتْها قالكسرى بماذا قال النعمان بِعِزّها ومَنَعَتِها وحُسْن وُجُوهها وبأسها وسخائها وحِكْمة ألْسِنَتِها وشِدّة عقولها وأنَفَتِها ووَفَائها.

فأما عِزّها ومَنَعَتُها فانها لم تَزَل مُجَاوِرَة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ووَطّدوا المُلْك وقادوا الجُنْد لم يَطْمَع فيهم طامع ولم يَنَلْهُم نائل حُصُونُهم ظهور خَيْلِهم ومِهَادُهم الارْض وسُقُوفُهم السماء وجُنّتُهم السُّيوف وعُدّتُهم الصَبْر اذ غَيْرُها من الأُمَم انّما عِزُّها الحِجَارة والطِين وجَزَائِر البُحُور.

وأما حُسْن وُجُوهِها وألْوَانِها فقد يُعْرَف فَضْلُهم في ذلك على غيرهم مـن الهنـد المُنْحَرِفـة والـصِين المُنْحفَـة والـتُّرك المُـشَوَّهة والـرُّوم المُقَـشَّرة وأمـا أنْـسَابُها وأحْسابُها فليست أمّة من الامم الا وقـد جهلـت آباءهـا وأصُـولَها وكثـيرا مِـن أوّلها حتى انّ أحَدَهم ليُسْئل عمن وراء أبيهِ دُنْيَا فلا يَنْسُبه ولا يَعْرِفـه ولـيس أحد من العرب الا يُسَمِّي آباءه أبًا فأبـاً حَـاطُوا بـذلك أحْـسَابَهم وحَفِظـوا بـه أنْسَابَهم فلا يَدْخل رجل في غير قومه ولا يَنْتَسِب إلى غير نَـسَبه ولا يُـدْعى إلى غير أبيه وأما سخاؤها فانّ أدْنَاهُم رَجُلا الذي تكون عنده البَكْرة والنَّاب عليها بَلَاغه في حَمُوله وشبَعه ورِيّه فَيَطْرُقُهُ الطارِق الذي يَكْتَفـي بالفَلْـذة ويَجْتَـزِي بالشَرْبة فَيَعْقِرها له ويَـرْضَى أن يَخْـرُج عـن دُنْيـاه كُلّهـا فـيما يُكْـسِبه حُـسْن الأحْدُوثة وطَيّبَ الـذِكْر وأمـا حِكْمـة ألْـسِنَتهم فـان اللـــه تعـالى أعطـاهم في أشْـعارهم ورَوْنَـق كَلَامِهـم وحُـسْنِه ووَزْنِـهِ وقَوَافِيـه مـع معـرفتهم بالاشـياء وضربِهم للأَمْثال وابلاغهم في الصفات ما ليس لشئ مـن ألـسنة الأجنـاس ثـم خَيْلُهم أفْضَل الخَيْل ونِساؤهم أعَفّ النساء ولِبَاسُهم أفضل اللباس ومَعَـادِنُهُم الذَهَب والفضّة وحجارة جبالهم الجَزْعُ ومَطَايَـاهم التـي لا يُبْلَـغ عـلى مِثْلِهـا سَفَرٌ ولا يُقْطَع بمثلها بَلَدٌ قَفْرٌ.

وأما دِينُها وشَريعتها فانهم مُتَمَسّكون به حتى يبلغ أحَدُهم من نُسْكِه بِدِينـه انّلهـم أشْـهُرًا حُرُمـا وبَلَـدًا مُحَرَّمـا وبَيْتًـا مَحْجُوجـا يَنْـسُكون فيـه مَنَاسِـكَهُم ويَذْبَحُون فيه ذَبَا ئحهم فَيَلْقى الرَجُل قاتلَ أبيه أو أخِيه وهو قادر عـلى أخْـذ ثَارِه وإدْرَاك رَغْمه منـه فَيَحْجُـزُه كَرَمُـه ويَمْنَعَـه دِينُـه عـن تَنَاوُلِـهِ بِـأذى وأمـا وفَاؤهـا فـان أحَـدَهم يلحَـظ اللّحظـة ويُـومِئ الأيمَـاءَة فهـى وَلْـتٌ (أي

عَهْد) وعُقْدَة لايَحُلُّها إلا خُرُوج نَفْسه وانّ أحَدَهم يَرْفَع عُودًا من الأرض فيكون رَهْنا بدَيْنه فلا يَغْلَق رَهْنُه ولا تُخْفر ذِمّته وانّ أحَدَهم ليَبْلُغه أنّ رَجَلا اسْتَجَار به وعَسَى أن يَكون نائِيًا عن دَارِه فَيُصَاب فلا يَرْضَى حتى يُفْنِي تلك القَبيلة التي أصابته أو تَفْني قبيلَته لِما أُخْفِر مِن جِوَاره وانه ليَلْجَأ إليهم المُجْرِم المُحْدث من غير معرفة ولا قَرَابة فتكون أنْفُسُهم دون نَفْسه وأمْوالُهم دون مَالِه.

وأما قولك أيها الملك يَئدون أوْلَادهم فانما يَفْعَله منهم بالإِنَاث أنَفَةً من الْعَار وغَيْرَة من الأزْواج وأما قولك انّ أفْضَل طَعَامِهم لُحُوم الابِل على ما وَصَفْت منها فما تركوا ما دُونَها إلّا احْتِقارًا له فعَمَدُوا إلى أجَلّها وأفْضَلها فكانت مَرَاكِبَهم وطَعامَهم مع أنّها أكْثَر البَهَائم شُحُوما وأطْيَبُها لُحُوما وأرَقّها ألْبانا وأقَلُّها غائِلة وأحْلَاها مَضْغة وانه لا شئ يُعَالَج به لَحْمُها إلّا اسْتبان فضْلُها عليه.

وأما تَحارُبُهم وأكْل بعضهم بعضا وتَرْكُهم الانقِياد لِرَجل يَسُوسُهم ويَجْمَعُهم فانما يَفْعَل ذلك من يَفْعَله من الْأمَم اذا أنِسَت من نَفْسها ضَعْفا وتَخَوّفت نُهُوض عَدُوّها إليها بالزَحْف وانّه انما يكون في المملكة العظيمة أهلُ بَيْتٍ واحدٍ يُعْرَف فَضْلُهم على سائر غيرهم فَيُلْقُون إليهم أُمُورَهم ويَنْقَادُون لهم بأزِمتِهم.

وأما العرب فان ذلك كَثِيرٌ فيهم حتى لقد حَاوَلُوا أن يَكُونوا مُلُوكا أجمعين مع أنفَتِهم من أدَاء الخَرَاج والوَطْثِ (أي الضَرْب الشديد بالرِجْل على الارض) بالعَسْف. وأما اليمن التي وصفها الملك فانما أَتَى جَدّ المَلِك

إليها الذي أتاه عند غلبة الحبش له على مُلْكٍ مُتّسق وأمْرٍ مُجْتَمِع فَأتَاه مَسْلُوبا طَرِيدا مُسْتصْرِخا ولولا ما وُترِ به يلِيه من العرب لَمالَ إلى مَجَال ولوَجَد مَن يُجيد الطِعان ويَغْضَب للأحْرار من غَلَبة العَبيد الأشْرار. قال فعجِب كسرى لِمَا أجابه النعمان به وقال إنك لأهْلٌ لِمَوْضِعِك من الرَآسة في أهْل إقْليمك ثم كَسَاه من كسوته وسَرّحه إلى موضعه من الحِيرة. فلما قَدِم النعمان الحِيرة وفي نفسه ما فيها مما سمِع من كسرى مِن تَنَقّص العَرَب وتَهْجين أمْرِهم بَعَثَ إلى أكْثم بن صَيْفِي وحاجِب بن زُرَارة التّمِيميَّين وإلى الحارث بن ظالم وقيس بن مسعود البَكْرِيَّين وإلى خالد بن جعفر وعلقمة بن عُلَاثَة وعامر بن الطُفَيل العامريِّيْن وإلى عَمْرو ابن الشَرِيد السُلَمِي وعَمْرو بن مَعْدِ يكَرِبَ الزبيدي والحارث بن ظالم المُرِّيّ فلما قَدِموا عليه في الخَوَرْنَق قال لهم قد عرفتم هذه الاعاجم وقُرْب جِوَار العرب منها وقد سمعتُ من كسرى مقالات تَخَوّفْت أن يكون لها غَوْر أو يكون انّما أظْهَرَها لِامْر أراد أن يتخذ به العرب خَوَلا كبعض طَمَاطِمَتِه في تَأدِيَتهم الخَرَاج إليه كما يفعل بملوك الأُمَم الذين حَوْلَه فاقتصّ عليهم مقالات كسرى وما ردّ عليه فقالوا ايُّها المَلِك وفّقك الله ماأحسن ما رَدَدْتَ وأبلغ ما حَججْتَه به فَمُرْنا بأمْرك وادْعُنا إلى ما شئت قال انما أنَا رَجُل منكم وانما مَلَكْتُ وعَزَزْتُ بمَكانكم وما يُتَخَوف من ناحيتكم وليس شئ أحبّ إليّ مما سَدّد الله به أمْرَكم وأصلح به شأنكم وأدام به عِزّكم والرأي أن تَسِيروا بجماعتكم أيُّها الرَهْط وتنطلِقوا إلى كسرى فاذا دخلتم نَطَق كل رجل منكم بما حضره ليَعلم أن العرب على غير ما ظَنّ أو حَدّثَتْه نَفْسُه ولا يَنْطِق رجل منكم بما يُغْضِبه فانه ملك عظيم السلطان

كثير الاعوان مُـتْرَف مُعْجـب بنَفـسه ولا تَنْخَزِلُـوا لـه انْخِـزَال الخاضـع الـذليل ولْيَكُنْ أمْرٌ بين ذلك تظهر به دَمَاثَةُ حُلُومِكم وفضل منزلتكم وعظيم أخطاركم وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكْثم بن صَيفيٍ ثم تتـابعوا عـلى الَامْـر مِـن مَنَازلكم التي وَضَعْتكم بها فانما دعاني إلى التَقْدمة إليكم عِلْمِي بميل كلّ رجل منكم إلى التَقَدُّم قَبْل صاحبه فلا يَكُوننَّ ذلك مـنكم فَيَجِـدَ في آدابكـم مَطْعَنـا فانه ملِك مُتْرَف وقادِر مُسَلّط ثم دعـا لهـم بمـا في خزائنـه مـن طرائـف حُلَـل الملوك كُل رجل منهم حُلّة وعَمّمـه عِمامـة وخَتّمـه بياقوتـة وأمـر لكـل رجـل منهم بنَجيبة مَهْرِيَّة وفرسٍ نجيبة وكتب معهم كتابا أما بعد فـان الملـك ألقَـى إلى من أمر العرب ما قد علم وأجَبْتُه بما قد فهـم مـمَّا أحْبَبْـت أن يكـون منـه على عِلْم ولا يَتَلَجْلَج في نَفْسه أنّ أمّة مِن الأمم التي احتجزت دونـه بمملكتهـا وحَمَت ما يليها بفضل قُوتها تبْلُغُها في شئ مـن الأُمـور التـي يَتَعَـزَّزُ بهـا ذَوَو الحَزْم والقُوَّة والتدْبِير والمكِيدة وقد أوْفَدْت أيُها الملِك رَهْطا مـن العـرب لهـم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم فَلْيَـسْمع المَلِـك ولْـيُغْمضْ عـن جَفَاء انْ ظَهر من مَنْطِقِهم وَلْيُكْرِمْني باكرامهم وتعجيل سَرَاحِهم وقد نَـسَبْتهم في أسفل كتابي هذا عَشَائرهم فخرج القوم في أهْبَتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن فدفعوا إليه كتاب النعمان فقـرأه وأمـر بـانزالهم إلى أن يجلـس لهـم مجلسا يَسْمَع منهم فلما أن كان بعـد ذلـك بأيـام أمَـر مَرَازِبَتَـه ووُجُـوه أهـل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله ثم دعا بهم على الـولاء والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه وأقام التَرْجُمان ليُؤدِي إليه كَلامَهم ثم أذن لهم في الكلام.

فقام أكثم بن صيفي فقال ان أفضل الاشياء أعاليها وأعْلَى الرجال مُلُوكهم وأفْضَل الملوك أعَمُّها نَفْعا وخيرُ الأَزْمنة أخْصَبُها وأفضل الخُطَباء أصْدَقُها الصِّدق مَنْجَاة والكَذب مَهْوَاة والشَّرّ لجاجة والحَزْم مَرْكَب صَعْب والعَجْز مَرْكب وَطْئ آفَةُ الرأي الهَوَى والعَجْز مفتاح الفَقْر وخير الامور الصَبْر حُسْن الظَنّ وَرْطة وسوء الظن عِصْمَة إصلاح فساد الرَّعيّة خير من إصْلاح فَسَاد الراعي مَن فَسَدَت بِطَانَتُه كان كالغَاصّ بالماء شَرُّ البلاد بلاد لا أمير بها شَرُّ المُلُوك من خَافه البَرِئ المَرْء يَعْجِز لا مَحَالة أفضل الاولاد البَرَرة خير الأَعْوانِ منْ لم يُرآء بالنصيحة أحَقّ الجُنُود بالنَصْر من حَسُنَتْ سَريرته يكْفيك من الزاد ما بَلَّغَك المَحَلّ حَسْبُك مِن شَرٍّ سَمَاعه الصَّمْتُ حِكَم وقَليلٌ فاعِلُه البَلَاغة الايجاز مَن شَدّد نَفّر ومن تَرَاخى تألّف فتعجب كسرى من أكثم ثم قال ويحك يا أكثم الصِدْق يُنْبئ عنك لا الوَعيد قال كسرى لو لم يكن للعرب لكفى قال أكثم رُبَّ قَوْل أنْفَذُ مِن صَوْل. ثم قام حاجب بن زُرَارة التميمي قال وَرَى زَنْدُك وعَلَتْ يَدُك وهِيْبَ سُلْطَانُك ان العرب أمّة قد غَلُظَت أكْبادُها واسْتَحْصدت مِرَّتُها ومُنعَت دِرّتها وهى لكَ وامِقة ما تَألّفْتَها مُسْتَرْسِلة مالايَنْتَها سامعة ماسامَحْتَها العلْقَم مَرَارة وهى الصَابُ غَضَاضة والعَسَل حَلَاوة والماءُ الزُلَال سَلَاسَةً نَحْنُ وفُودُها إليك وألْسِنَتُها لديك ذِمتنا مَحفوظة وأحْسَابُنَا مَمْنُوعة وعَشَائرنا فينا سَامِعه مُطِيعة إن نَؤُب لَكَ حَامِدِين خَيْرا فلك بذلك عُمُوم مَحْمَدَتِنا وان نَذُمّ لم نُحَصّ بالذَّمّ دُونَها قال كسرى يا حاجب ما أشبه حَجَر التِّلال بألوان صَخْرها قال حاجب بل زَئير الأُسْد بصَوْلَتها قال كسرى وذلك ثم قام الحارث البكري فقال دامت لك

المملكة باستكمال جزيل حظها وعُلُوّ سَنَائها مَن طال رِشَاؤة كَثُر مَتْحُه ومن ذَهَب مالُه قَلّ مَنْحُه تَنَاقُل الأقاويل يُعَرِّف اللُّبّ وهذا مقام سَيُوجِب بما تَنْطِق به الرَّكْب وتَعْرِف به كُنْه حَالِنا العَجَم والعَرَب ونَحْنُ جِيرانُك الأَدْنَوْن وأعْوَانُك المُعِينون خُيُولُنا جَمّة وجُيُوشَنا فَخْمة ان اسْتَنْجَدْتَنا فَغَيْرُ رُبُض وان اسْتَطْرَقْتَنا فَغَيْرُ جِهْض وان طلبتنا فغير غُمْض لانَنْثَنى لِذُعْر ولا نَتَنَكَّر لدَهْر رِمَاحُنا طِوال وأعْمَارنا قصار قال كسرى أنْفُسٌ عَزيزة وأمّةٌ ضعيفة قال الحارث أيها الملك وأنّى يكون لضعيفٍ عزّة أو لصغير مِرّة قال كسرى لو قَصُرَ عُمْرُك لم تَسْتَوْلِ على لِسَانك نَفْسُك قال الحارث أيها الملك ان الفارس اذا حَمَل نَفْسَه على الكَتِيبة مُغَرِّرا بنفسه على الموت فهى مَنيِّة اسْتَقْبَلَها وجِنَانٌ اسْتَدْبَرَهَا والعَرَب تَعْلَم أني أبْعَث الحرب قُدُما وأحبِسها وهى تَصَرَّفُ بها حتى اذا جاشَتْ نَارُها وسَعَرَتْ لَظَاها وكَشَفَتْ عن ساقِها جَعَلَتُ مَقَادَها رُمْحِي وبَرْقَها سَيْفي ورَعْدَها زَئِري ولم أُقَصِّر عن خَوْض خَضْخَاضِها حتى أنْغَمِسَ في غَمَرَات لُجِجها وأكُونُ فُلْكًا لِفُرْسَانِي إلى بُحْبُوحة كَبْشِها فأسْتَمْطِرُها دَمًا وأتْرُكُ حُمَاتها جَزَرَ السِّبَاعِ وكلّ نَسْرٍ قَشْعَم ثم قال كسرى لمن حضره من العرب أكذلك هُوَ قالوا فِعَالُهُ أنْطَق مِن لِسَانِه قال كسرى ما رأيتُ كاليوم وَفْدًا أحْشَد ولا شُهُودا أوْفَد ثم قام عمرو بن الشَرِيدالسُّلَمِي فقال أيها الملك نَعِم بَالُك ودَامَ في السرور حَالُك انَّ عَاقِبة الكلام مُتَدَبَّرة وأشْكال الامور مُعْتَبَرة وفي كثيرٍ ثِقْلة وفي قليل بُلْغة وفي المَلُوك سَوْرَة العِزّ وهذا مَنْطِقٌ له مابَعْده شَرُف فيه مَنْ شَرُف وخَمَل فيه من خَمَل لَمْ نَأتِ لِضَيْمك ولم نَفِدْ لسُخْطك ولم نَتَعرّض لِرِفْدِك انَّ في أمْوالِنَا مُنْتَقَدا وعلى عِزِّنا مُعْتَمَدًا إن

أَوْرَيْنَا نارا أَثْقَبْنَا وإن أَوِدَ دَهْرٌ بِنَا اعْتَدَلْنَا إلا أنَّا مع هذا لِجِوارِك حافظون ولَمن رَامَك كافحُون حتى يُجمْدَ الصَّدَر ويُسْتَطَاب الخَبَر قال كسرى ما يقوم قَصْدِي هَادِيا وبأَيْسَر إفراطِي مُخْبِرا ولم يُلَمْ مَن غَرَبَت نَفْسُه عَمَّا يَعْلَم ورَضِيَ من القَصْد بِما بَلَغ قال كسرى ما كُلُّ ما يَعْرِف المرء يَنْطِق به اجلس. ثم قام خالد بن جعفر الكلابي فقال أَحْضَرَ الله المَلِك إسعَادا وأَرْشَده إرْشادا إن لِكُلّ مَنْطِقٍ فُرْصَة ولِكُلّ حاجة غُصّة وعِيُّ المَنْطِق أشَدّ مِن عِيّ السُكُوت وعِثَار القَوْل أنْكَأ مِن عِثَار الوَعْث وما فُرْصَة المَنْطِق عندنا إلا بما نَهْوَى وغُصَّة المَنْطِق بما لا نَهْوَى غَيْرُ مُسْتَسَاغة وتَركِي ما أعلَم مِن نَفْسِي ويُعْلَمُ مِن سَمْعِي أنَّني له مُطِيق أَحَبُّ إليّ من تَكَلُّفِي ما أَتَخَوّف ويُتَخَوّف مِنّي وقد أَوْفَدَنا إليك مَلِكُنا النُعْمان وهو لك مِن خَيْر الأَعوان ونِعْمَ حامِل المَعْروف والاحسان أَنْفُسنَا بالطاعة لَكَ باخعة ورِقابُنا بالنَصِيحة خاضِعة وأَيْدِينا لَكَ بالوفَاء رَهِينة قال له كسرى نَطَقْتَ بعَقْل وسَمَرْتَ بفضل وعَلَوْت بنُبْل.

ثم قام عَلْقمة بن عُلاثة العامري فقال نَهَجَت لك سُبُل الرشَاد وخَضَعَت لك رِقاب العباد انّ للاقَاوِيل مناهِج وللآراء مَوَلِج ولِلعْوِيص مخَارِج وخَير القَول أصْدَقه وأَفْضَل الطَلَب أنْجَحُه إنّا وات كانت المَحَبَّة أحْضَرَتْنا والوِفادة قرَّبَتْنا فليس من حَضَرك مِنّا بِأَفْضَل مِمّن عَزَب عنك بَل لَوْ قِسْتَ كُلّ رجل منهم وعَلِمْتَ منهم ما عَلِمْنا لَوَجَدْتَ له فِي آبائه دُنْيَا أنْدادا وأَكْفاء كُلُّهم إلى الفَضْل مَنْسوب وبالشَرَف والسُودَد مَوْصوف وبالرّأي الفاضل والأَدَب النافذ معروف يَحْمِي حِماه ويُرْوِي نَداماه ويَذُود أعْدَاه لا تَخْمُدُ ناره ولا يَحْتَرز منه جارُه أيّها الملك مَن يَبْلُ

العَرَب يَعْرِفْ فَضْلَهم فاصْطَنع العرب فانها الجِبال الرَوَاسي عِزّا والبُحور الزَوَاخِر طَمْيا والنُجُوم الزَوَاهِرُ شَرفَا والحَصَى عَدَدا فانْ تَعْرِف لهم فَضْلَهم يُعِزّوك وان تَسْتَصْرِخْهُم لا يَخْذُلُوك قال كسرى وخَشِي أن يأتيَ منه كَلَام يَحْمِله على السُخْط عليه حَسْبُك أبْلَغْتَ وأحْسَنْت.

ثم قام قَيس بن مسعود الشَيْبَاني فقال أطاب الله بك المَرَاشد وجَنَّبَك المَصائب ووَقاك مَكْرُوهَ الشَصَائب ما أحَقَّنا إذ أتَيْناك باسْماعك مالا يُحْنِق صَدْرَك ولا يَزْرَع لَنا حِقْدا في قَلْبك لم نَقْدَم أيُّها المِلك لمُساماة ولم نَنْتَسب لمُعاداة ولكن لتَعْلَم أنت ورَعِيَّتُك ومَن حَضَرك مِن وُفُود الأمَم أنّا في المَنْطِق غَيرُ مُحْجِمِين وفي الناس غير مُقَصِّرين ان جُورِينا فغير مَسْبُوقِين وان سُومِينا فغير مَغْلُوبِين قال كسرى غَيْرَ أنَّكم اذا عاهَدْتُم غيرُ وافِين وهو يُعَرِّض به في تركه الوفَاء بضَمانِه السَوَاد قال قيس أيها الملك ما كُنْتُ في ذلك إلّا كَوافٍ غُدِرَ به أو كخافر أُخْفِرَ بِذمّتِه قال كسرى ما يكون لِضَعِيفٍ ضَمان ولا لذلِيلٍ خِفارة قال قيس أيها الملك ما أنا فِيما أُخْفِرَ مِن ذِمّتِي أحَقّ بِالزامِي العارَ مِنْك فيما قُتِل مِن رَعِيّتك وانْتُهِك مِن حُرْمتك قال كسرى ذلك لِان مَن ائْتَمَن الخانَة واسْتَنْجَد الأثَمَة نالَهُ من الخَطَأ ما نالَنِي وليس كلّ الناس سَواء كيف رأيتَ حاجِبَ بن زُرارةَ لِمَ يُحْكم قُواُه فَيُبْرِم ويَعْهَد فَيُوفِي ويَعِدُ فَيُنْجِز قال وما أحَقّه بذلك وما رأيْتُه إلّا لِي قال كسرى القَوْمُ بُزْلٌ فَأفْضَلُها أشدها ثم قام عامر بن الطُفَيل العامري فقال كَثُر فُنُون المَنْطِق وليس القول أعْمَى من حِنْدس الظَلْماء وانما الفَخْر في الفِعَال والعجْز في النَجْدةِ والسُؤدَد مُطاوَعةُ القُدْرة وما أعْلَمَك بقَدْرنا وأبْصَرك بفَضْلنا وبالحَرَا إن أدالَتْ الأيّام وثابَتْ الاحْلام

أن تُحْدِث لنا أمُورا لَها أعْلام قال كسرى وما الأمْرُ الذي يُـذْكر قـال مـالي علـم بأكثر مما خَبّرني به مُخَبِر قال كسرى مَتَى تكاهَنْـتَ يـابن الطفيـل قـال لـستُ بكاهن ولكنّي بالرُمْح طاعِن قال كسرى فان أتاك آتٍ مِن جهَة عَيْنـك العَـوْراء ما أنْتَ صانع قال ما هَيْبَتِي في قَفايَ بِدُون هَيْبَتِي في وَجْهِي وما أذْهَب عَيْنِي عَيْث ولكن مُطاوَعةُ العَبَث. ثم قام عمرو بن مَعْـديكَربَ الزبيـدي فقـال انمـا المَرْء بأصْغَرَيْهِ قَلْبِه ولِـسانِه فَـبلاغ اَلْمنطِـق الـصَواب ومِـلاك النَجْـدة الارْتيـاد وعَفْو الرَّأي خيرٌ من اسْتِكْرَاه الفِكْرة وتَوْقِيف الخِبْرة خَيْر من اعْتِـساف الحَـيْرة فاجْتَبِذْ طاعَتَنا بلَفْظِك واكْتَظَم بِادِرَتِنـا بحلْمـك وألـنْ لَنـا كَنَفَـك يَـسْلَس لَـكَ قِيادنا فانّا أناس لم يُوَقِّسْ صَفَاتَنا قِراعُ مَناقِيرِ مَن أرادَ لنـا قَـضْما ولكـن مَنَعْنـا حِمانا مِن كُلّ مَن رامَ لَنا هَضْمنا ثم قام الحارث بن ظالم المُـرِّي فقـال انّ مـن آفة المَنْطِق الكَذِب ومِـن لُـؤْم الاَخْـلاق الملَـق ومِـن خَطَـل الـرَأي خِفّـة المَلِـك المُسَلَّط فاِن أعْلَمْناك أنّ مُواجَهتَنَا لَكَ عن ائْتِلاف وانْقِيادنَا لك عـن تَـصاف مـا أنْتَ لِقَبول ذلك مِنّا بِخَلِيق ولا للاعتماد عليـه بحَقِيـق ولكـن الوَفـاء بـالعُهُود وإحكام ولْث العُقُود والأمْرُ بَيْنَنا وبَيْنَك مُعْتَدِل ما لَمْ يَأت مِن قِبَلـك مَيْـل أو زَلَل قال كسرى من أنـت قـال الحـارث بـن ظـالم قـال انّ في أسـماء آبائِـك لَدَلِيلا على قِلّة وَفائِك وأن تكون أوْلَى بالغَدْر وأقْرَبَ من الوِزْر قال الحارث ان في الحَقّ مَغْضَبَة والـسَرْوُ التَغَافُـل ولَـنْ يَـسْتَوجب أحَـدٌ الْحِلـم الاّ مَـعَ القُدْرة فَلْتُشْبِهْ أفْعالُك مَجْلسَك قال كسرى هذا فَتَى القوم ثم قـال كـسرى قد فهِمْتُ ما نَطَقَت به خُطَباؤكم وتَفَنّن فيه مُتَكَلّموكم ولولا أَنِّي أعْلَـمُ أنّ الأدَب لَمْ يُثَقّف أوَدَكُم ولَمْ يُحْكم أمْرَكم وأنّه لـيس لكـم مَلِـك يَجْمَعُكـم

فَتَنْطِقون عنده مَنْطِق الرَّعِيّة الخاضعة الباخِعة فَنَطَقْتُم بما اسْتَوَلى على أَلْسِنَتِكم وغَلَب على طِباعكم لَمْ أُجِزْ لكم كثيرا مما تَكَلَّمْتُم به وانِّي لأَكْرَه أن أُجَبّه وفُوُدِي أو أُحْنِق صُدُورَهم والذي أحِبّ من إِصلاح مُدَبَّرِكُمْ وتَأَلُّف شَواذِّكم والاِعْذار إلى الله فيما بَيْنِي وبَيْنَكم وقد قَبِلْت ما كان في مَنْطِقِكم مِن صَوَاب وصَفَحْت عَمّا كان فيه من خَلَل فانْصَرِفوا إلى مَلِكِكم فأحْسِنوا مُوَازَرَتَه والتزموا طَاعَته وارْدَعوا سُفَهَاءكم وأقيمُوا أَوَدَهُم وأحْسنوا أدَبَهم فان في ذلك صَلاحَ العامّة

اذا المَـرْء لم يَـدْنَس مـن اللُّـؤم عِرْضُـه — فكُـــــلُّ رداء يرتديـــــه جَميـــــلُ
وان هـو لم يَحْمـل عـلى الـنفس ضَـيْمهَا — فلـــيس إلى حُـــسْن الثنـــاء ســـبيل
تعيِّرنـــــا أنّـــــا قليــــل عَدِيـــــدنا — فقلـــت لهـــا ان الكِـــرامَ قليـــل
ومــا قَـل مَــن كانــت بَقَايَـاه مِثْلَنـا — شَــبَابٌ تَــسَامَى للعُــلى وكُهُــول
ومـــا ضَرَّنـــا أنّـــا قَلِيــل وجَارُنـــا — عَزِيــــز وجَـــار الاكْـــثَرين ذَلِيـــل
لَنَـــا جبَــلٌ يَحْتَلُّـــه مَـــن نُجِـــيره — مَنِيـــع يَــرُدّ الطَــرْف وهـــو كليـــل
رَسَـا أصْـلُه تحـت الـثَرَى وسَـمَا بـه — إلى الـــنَجْم فـــرع لا يُنَـــال طوِيـــل
هــو الآبْلَـق الفَـردْ الـذي شـاع ذِكْـرُه — يَعـــزّ عـــلى مـــن رَامَـــه ويَطُـــول
وإنّـــا لَقَـــوْم لا نَــرَى القَتْــل سُــبّةً — اذا مــــا رَأتْــــه عــــامِرٌ وسَـــلُول
يُقَـــرّب حُـــبُّ المـــوتِ آجالَنَــا لَنَــا — وتَكْرَهُـــــه آجـــــالُهُم فَتَطُـــــول
ومـا مـات مّنّـا سَـيِّدٌ حَتْـفَ أنِفْـه — ولا طُـــلّ يومـــا حيـــث كـــان قتِيـــل
تَــسِيل عـــلى حَــدّ الظُبَــات نُفُوسُــنا — ولَيْــست عــلى غَــير الظُّبَــات تــسِيل
صَــفَوْنا ولم نَكْــدَرْ وأخْلَــص سِرَّنـــا — إنـــاثٌ أطَابَـــتْ حَمْلَنـــا وفُحُـــول
عَلَوْنـــا إلى خَــــيْر الظُّهـــور وحَطَّنـــا — لِوَقْـــتٍ إلى خَـــيْر البُطُـــون نُـــزُول
فَـــنَحْن كَــماء المُــزْن مــافي نِــصَابنا — كَهَـــامٌ ولا فِينـــا يُعَـــدّ بَخِيـــل
ونُنْكِــر إن شِــئنا عــلى النــاس قَــوْلَهم — ولا يُنْكِـــرون القـــولَ حـــين نَقُـــول
اذا سَـــيّد مِنّـــا خـــلا قـــام سَـــيّدٌ — قَـــؤول لِـــمَا قـــال الكِـــرَام فَعُـــول
ومــا أُخْمِــدَتْ نــارٌ لَنَــا دُونَ طَــارقٍ — ولا ذَمّنـــــا في النـــــازلِين نَزِيـــل
وأيَّامُنـــــا مَـــــشْهُورة في عَـــــدُوّنَا — لهـــا غُـــرَر مَعْلُومَـــةٌ وحُجُـــول
وأسْـــيَافُنا في كـــل شَرْق ومَغْـــرِب — بهـــا مِـــن قِـــراع الـــدَّارِعِين فُلُـــول
مُعَـــوّدَةٌ أن لا تُـــسَلّ نِـــصَالُها — فَتَغْمَـــد حتـــى يُـــسْتَبَاحَ قتِيـــل

سَـلِي إنْ جَهِلْـتِ النـاسَ عَنّـا وعَـنْهُمُ فَلَـيْس سَـواءً عـالِم وجَهُـول
فـانّ بَنـي الـدَّيّان قُطْـبٌ لقَـوْمهم تَـدُور رَحَـاهُم حَـوْلَهُم وتَجُـولُ

خطبة قس بن ساعدة الايادي جاهلي

يأيّها الناس اسمَعُوا وَعُوا واذا وَعَيتم شيأ فانتفعوا انـه مَـن عـاش مـات ومَـن ماتَ فَاتَ وكُلُّ مَا هُوَ آت مَطَرٌ ونَبَات وأرْزَاق واقوات وآبـاءٌ وأمّهـات وأحيـاء وأموات جَمْع وأشْـتَات وآيـاتٌ بَعْـدَ آيـات انّ في الـسماء الخَـبَرا وانّ في الارض لَعِبرَا لَيْلٌ دَاج وسَمَاءٌ ذاتُ أبْـرَاج وأرضٌ ذات فِجَـاج وبِحَـار ذَاتُ أمْـواج مـالِي أرَى الناس يَذْهبون ولا يَرْجِعون أرَضُوا بالمُقَام فأقَـامُوا أمْ تُرِكُـوا هُنـاك فَنَـامُوا أقْسم قُسُّ قَسما حَقّا لا خَائِنًا فيه ولا آثِمًـا انّ لِللـه دِيْنًـا هـو أحَـبّ إليـه مـن دينكم الذي أنتم عليه ونَبِيًّـا قَـدْ حَـانَ حِينُـه وأظَلَّكُـم أوَانُـه وأدْرَكَكُـمْ إبَّانُـه فَطُوبَى لمن أدْرَكَه فَآمَنَ به وهَدَاه وَوَيْلٌ لِمن خَالَفه وعَصَاه ثم قال

تَبًّا لأرْباب الغَفْلة الأمَم الخالِية والقُـرُون الماضِـية يـا مَعْـشَر إيَـادٍ أيْـنَ الآبـاءُ والاجْداد وأيْنَ المَرِيضُ والعُـوّاد وأيـن الفَرَاعنـة الـشِّداد أيْـنَ مَـن بَنَـى وشَـيَّد وزَخْرَفَ ونَجَّد أين المال والوَلَد أين من بَغَى وطَغَى وجَمَـعَ فـأوعَى وقـال أنَـا رَبّكُم الأعْلَى ألم يَكُونوا أكثَر منكم أمْـوَالاً واطَـول مـنكم آجَـالًا طَحَـنَهم الـثَرَى بكَلْكَلـه ومَـزَّقَهم بطُولـه فَتلْـكَ عِظَـامهم بَالِيَـة وبُيُـوتُهم خَالِيَـة عَمَرتَهـا

الذِئابُ العَاوِية كَلّا بَلْ هو الـلـه الواحِد المَعْبُود ليس بوَالدٍ ولا مَوْلُود ثم أنشأ يقول

في الــــــــــذاهبين الأوّلِي ... نَ مِــنَ القُــرُون لَنَــا بَــصَائِرْ

لَـــــمّا رَأيْــــتُ مَــــوَارِدًا ... لِلْمَــوتِ لــيس لهــا مَــصَادِرْ

ورَأيْـــتُ قَـــوْمِي نَحْوَهــا ... يَمْــضِي الأصَــاغِر والَكـــابرْ

لا يَرْجِــــع المــــاضي الَيْ ... ىّ ولا مــــن البــــاقين غَــــابِرْ

أيْقَنْــــــتُ أنّي لا مَحَــــــا ... لَــةَ حيــثُ صَــارَ القَــوْم صَــائرْ

وأصيبت أعرابية بابنها وهى حاجّة فلما دَفَنَتْه

قامت على قبره وقالت

والـلـه يا بُنَيّ لقد غَذَوْتُك رَضِيعا وفَقَدْتُك سرِيعـا وكأنّـه لم يكـن بـين الحـالَين مُـدّة ألْتَـذّ بعَيْـشِك فيهـا فأصْـبَحْتَ بَعـدَ النَـضَارة والغَـضَارة ورَوْنَـق الحَيَـاة والتَنَسّم في طِيب رَوَائحها تحـتَ أطْبَـاق الـثّرَى جَـسدا هامِـدا ورُفَاتًـا سـحِيقا وصَعِيدا جُرُزًا أي بُنَيّ لقد سَحَبَت الدنيا عليك أذْيَالَ الفَنَا وأسْكَنَتْك دَارَ الـبِلىَ ورَمَتْنِي بَعْدَك نَكْبَةُ الرَدَى أي بُنَيّ لقد أسْـفَرَ لي عـن وجـه الـدُنْيَا صَـبَاحٌ دَاج ظَلَامه. ثم قالت أيّ رَبِّ ومِنْك العَدْلُ ومِن خَلْقِك الجَـوْر وهَبْتَـه لِي قُـرّة عَـين فَلَمْ تمَتِّعْنِي به كَثِيرا بَلْ سَلَبْتَنِيه وَشِيكا ثُمّ أمَرْتَنِي بالصَبْر ووَعَدْتَنِي عليه الأجْر فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ ورَضِيتُ قَضَاءَكَ فَرَحِمَ الـلـه مَنْ تَـرَاحَمَ عـلى مَـن اسْـتَوْدَعْتُه الرَدْم ووَسَّدْتُه الثّرَى الـلـهم ارحـمْ غُرْبَتَـه وآنِـس وحْـشَتَه واسْـتُرْ عَوْرَتَـه يـوم تُكْشَف الهَنَات والسَوْآت فلما أرادت الرجوعَ إلى أهلها قالـت أيْ بُنَـيّ إنّي قـد تَزَوَّدْتُ لِسَفَرِي فَلَيْتَ شِعْرِي مَازَادُكَ لبعُدْ طَرِيقِـك ويَـوْم مَعَـادِك الـلــهم إنيّ أسْألُكَ له الرِضى بِرِضَائِي عنه. ثم قالت اسْـتَوْدَعْتُكَ مَـنِ اسْـتَوْدَعَكَ في أحْـشَائِي جَنِينا وأثكَلَ الوَالِدات ما أمضّ حَرَارَةَ قُلُوبِهِنّ وأقلَقَ مَضَاجِعَهُنّ وأطْوَل لَـيْلَهُن وأقْصَر نهارَهُنّ وأقَلّ أنْسَهُنّ وأشَدَّ وَحْشَتَهُنّ وأبْعَـدَهُنّ مِـن الـشُّرُور وأقْـرَبَهُنّ من الأحْزَان.

وقالت الجُمَانَةَ بنت قَيس بن زُهَير تنصح جَدَّها الرَبِيع بنَ زِيَاد ان كان قَـيْسٌ أَبِي فانّك يَا رَبيع جَدِّي وما يَجب له من حق الأبُوة علىّ الّا كالَّذي يجب عليك من حق البُنُوّة لي والرأيُ الصَحِيح تَبْعَتُه العِنَاية وتُجَلِّي عـن مَحْـضه النـصِيحةُ انك قد ظَلَمْتَ قَيْسًا بأخْذ دِرْعه وأجَـدُّ مُكافَأتِـهِ إيَّـاك سـوءُ عَزْمـه والمُعَـارِض مُنْتَصِر والبادِي أظْلَم وليس قيس ممَّن يُخَوَّف بالوَعِيد ولا يَرْدَعه التَهْديد فـلا تَرْكَنَنَّ إلى مُنَابَذتَه فالحَزْم في مُتَارَكَتِه والحَرْب مَتْلَفَـة للعِبـاد ذَهَّابَـة بالطـارِف والتِّلاد والسِلْم أرْخَى لِلْبَال وأبْقَى لأنْفُس الرِجَـال وبِحَـقٍّ أقُـولُ لقـد صَـدَعْتُ بِحُكْم وما يَدْفَع قَوْلِي الّا غَيْرَ ذِي فَهْم ثم أنْشَأتْ تقول

أَبِي لا يَـرَى أن يَـتْرُكَ الـدَهْرَ دِرْعَـه   وجَـدّي يَـرَى أن يأخُـذ الـدِرْع مِـن أَبِي
فَـــرَأيُ أَبِي رَأيُ البَخِيـــل بِمَالِـــه   وشِــميةُ جَــدِّي شِــمية الخَــائِف الأَبِي

وقالت بنت حاتم للنبي صلى الـلـه عليه وسلم

يامحمد هَلَك الوَالِد وغابَ الوافـد فـان رأيـتَ أن تُخَـلِّيَ عَنِّـي فـلا تُـشْمِتْ بِي أحْيَاءَ العَرَب فاِنِّي بِنْـتُ قَـوْمي كـانَ أَبِي يَفُـكّ العَـانِي ويَحْمِـي الـذِّمار ويَقْـرِي الضَيْفَ ويُشْبِع الجَائِع ويُفَرِّجُ عن المكْروب ويُطْعِم الطَعَامَ ويُفْشِي السَلام ولم يَرُدّ طَالِبَ حاجةٍ قَطُّ أَنَا بِنْتُ حَاتِم طَيّ فقال لها النبيُّ صلى الـلـه عليه وسلم يا جاريةُ هذه صِفَةُ المُؤْمِن لو كان أبُوكِ إسْلَامِيّا لترحَّمْنا عليه خَلُّوا عَنْهـا فـان أباهَا كان يُحِبَّ مَكَارِمَ الآخْلاق

وقال زهير بن ابي سلمى من معلقته المشهورة

وأعْلَمُ عِلْمَ اليَومِ والآمْسِ قَبْلَه ... ولكنَّنِي عن عِلْم مافي غَدٍ عَمى
رَآيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ ... تُمِتْه ومَنْ تُخْطِئ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ
ومَن لا يُصَانِعْ في أمورٍ كثيرة ... يُضَرَّس بِأنْياب ويُوطأ بِمَنْسِم
ومَن يَجْعَل المَعْرُوفَ مِن دُون عِرْضِه ... يَفِرْهُ ومن لا يَتَّق الشتْمَ يُشْتَم
ومَن يَكُ ذا فَضْل فَيَبْخل بفَضْلِهِ ... عَلَى قَوْمِه يُسْتَغْنَ عَنه ويُذْمَم
ومَن يُوْفِ لا يُذْمَمْ ومَن يَهْد قَلْبَه ... إلى مُطْمَئِنّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَم
ومَن هَابَ أسْبَابَ المَنَايا يَنَلْنَهُ ... وإنْ يَرْقَ أسْبَابَ السَماءِ بِسُلَّم
ومَن يجعل المعروف في غير أهله ... يَكُنْ حَمْدُه ذَمّا عليه ويَنْدَم
ومَن يَعْصِ أطْرَاف الزِّجَاج فَانَّه ... يُطِيعُ العَوَالِي رُكّبَتْ كُلّ لَهْذَمِ
ومَن لم يَذُدْ عَن حَوْضه بسلَاحه ... يَهَدَّم ومن لا يَظْلم النَاسَ يُظْلم
ومَن يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوّا صَدِيقَه ... ومن لا يُكَرِّم نَفْسَه لا يُكَرِّم
ومَهْمَا تكُنْ عند امْرِئٍ مِن خَلِيقَةٍ ... وان خَالَها تَخْفَى على النَاسِ تُعْلَم
وكائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِب ... زِيادَتُه أو نَقْصُه في التَكَلُّم
لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ ونِصْفٌ فُؤادُه ... فَلَمْ يَبْقَ الّا صُورةُ الّلحْمِ والدَمِ

غيلان بن سلمة عند كسرى (جاهلي)

خرج أبو سُفْيان في جماعة من قريش يريدون العِراق بتجارة فلما ساروا ثلاثا جَمَعَهم أبو سفيان فقال لهم انّا مِن مَسيرنا هذا لَعَلَى خَطَر مَا قُدُومُنا

على مَلِك جَبّار لَمْ يَأذَنَ لَنَا في القدوم عليه ولَيْسَتْ بلادُه لَنَا بِمَتْجَر ولكن أيّكُمْ يَذْهَبُ بالعيرِ فان أصِيْبَ فَنَحْن بَرَاءٌ مِنْ دَمِهِ وان غَنِم فله نِصْفُ الرِّبْح فقال غَيْلَان بن سلمة دَعُونِي اذًا فَأنَا لَهَا فلمّا قَدِم بلادَ كسرى تَخَلّق ولبِس ثَوْبَيْنِ أصْفَرَيْن وشَهَرَ أمْرَه وجَلَسَ بباب كسرى حتّى أذِن له فَدخَل عليه وبَيْنَهُمَا شُبّاك من ذَهَب فخرج إليه التَرْجُمان وقال له يقول لك المَلِك ما أدْخَلَكَ بِلَادِي بغَير إذْنِي فقال قُلْ له لَسْت من أهْل عَدَاوَةٍ لَكَ ولا أتَيْتُك جَاسُوسًا لِضِدٍّ مِن أضْدَادِك وانّما جِئْتُ بِتجارَةٍ تَسْتَمْتع بها فان أرَدْتَها فَهْىَ لَكَ وإن لم تُرِدْها وأذنْتَ في بَيْعِها لِرَعِيَّتِك بِعْتُها وان لم تَأذَنْ في ذلك رَدَدْتُها قال فانَّه ليَتَكَلَّم اذْ سَمِع صَوْت كسْرَى فَسَجَدَ فَقَالَ له الترجمان يَقُول لك الملك لِمَ سَجَدْتَ فقال سَمِعْتُ صَوْتًا عالِيًا حَيْثُ لا يَنْبَغِي لِاَحَد أنْ يَعْلُوَ صَوْتُه إجْلالا للملك فَعِلْمتُ أنّه لم يُقْدِم على رَفْع وامَرَ له بِمِرْفَقَة تُوضعَ تَحْتَه فَلمّا أُتِي بها رَأى عليها صورةَ المَلِك فَوَضَعَها على رَأسه فاسْتَجْهَلَه كسرى واسْتَحْمَقه وقال للتَرْجُمان قُلْ له انّما بَعَثْنا بهَذه لتَجْلِسَ عَلَيْها قال قد عَلِمْتُ ولكنِّي لَمّا أُتِيتُ بها رَأيْتُ عليها صُورتَه على مِثْلِي أنْ يَجْلِس عليها ولكن كان حَقُّها التعظيم فوضَعْتُها على رأسي لأنّه أشْرَف أعْضَائِي وأكْرَمُها عَلَيّ فاسْتَحْسَن فِعْلَه جِدّا ثم قال له ألَكَ وَلَدٌ قال نعم قال فأيُّهُمْ أحَبُّ إليكْ قال الصَغِير حتى يَكْبَرَ والمَرِيض حتى يَبْرَأ والغائب حتى يَؤوبَ فقال كسرى زِهْ ما أدْخَلَكَ عليّ ودَلّك على هَذَا القَوْل والفِعْلِ إلّا حَظّك فهذا فِعْل الحُكماء وكلامُهُم وأنْتَ مِنْ قَوْمٍ جُفَاةٍ لا حِكْمَة فيهم فما غِذَاؤك قال خُبْزُ البُرّ قال هذا العَقْل من البُرّ لا مِن اللَّبَن والتَمْر ثم اشْتَرَى منه

التِجَارة بأضْعاف ثَمَنها وكَسَاه وبَعَث مَعَه مِن الفُرْس مَنْ بَنَى له أطُمًا بالطائف فكان أوّل أطُم بُنِي بِهَا.

صورة كتاب أرسله الاسكندر إلى شيخه الحكيم أرِسْطُو

يستشيره فيما يفعله بأبناء ملوك فارس بعد أن قتل آباءهم وتغلب على بلادهم (جاهلي)

عليك أيُّها الحكيم مِنّا السلام أما بعد فان الافلاك الدائِرة والعِلَل السَمَاوِيّة وان كانت أسْعَدَتْنا بالامُور التي أصبح الناس لنا بها دائنين فإنّا جِدُّ واجِدِينَ لَمِسّ الاضرار إلى حِكْمَتِك غَيْرُ جاحِدِين لفَضْلك والاِقْرار بمَنْزِلتك والاستِنامة إلى مَشُورتِك والاقِتداء برَأيك والاعتماد لأمْرك وفَهْمك لِما بَلَوْنا مِن إجْداء ذلك عَلَيْنا وذُقْنا مِن جَنَى مَنْفَعَته حتى صار ذلك بنُجُوعِه فِينا وتَرَسّخِهِ أذْهاننا كالغِذاء لَنا فَما نَنْفَكّ نُعَوِّل عليه ونَسْتَمِدّ منه اسْتِمدَادا الجدَاوِل من البُحُور وتَعْويلَ الفُروع على الاصول وقُوّة الأشكال بالأشكال وقد كان مما سِيقَ إلَيْنا من النصر والفَلْج وأتِيح لنا من الظَفَر والقَهْرِ وبَلَغْنا في العَدُوّ من النِكاية والبطش ما يَعْجِز القَوْل عن وصْفه ويَقْصُر شُكْر المُنْعِم عَن مَوْقِع الانعام به وكان من ذلك انْ جاوَزْنا أرضَ سُورِيَةَ والجَزيرة إلى بابِلَ وأرْضِ فارِس فلمّا حَلَلْنا بعَقْوَةِ أهْلِها وساحة بلادهم لم يكن إلّا رَيْثَمَا تَلَقّانا نَفَر منهم بِرأس مَلكهم هَدِية

إلَينا وطَلَبًا للخُطْوَةِ عِنْدَنا فَأَمَرْنا بِصَلْب مَن جاء بِهِ وشُهْرَته لسوء بَلَائِـه وقِلّـة ارْعِوائه وَوَفائه ثم أمَرْنا بجمَعْ مَـنْ كـان هنـاك مـن أوْلاد مُلُـوكِهم وأحْـرارِهم وذَوِي الشَرَف منهم فَرَأيْنَا رِجالا عظيمةً أجْسَامُهم واحْلامهم حـاضِرةً ألْبـابُهم وأذْهانُهم رائعـةً مَنـاظرُهم ومَنـاطِقُهم دلـيلا عـلى أن مـا يظهـر مـن رُوَائِهـم ومَنْطِقِهم وراءهُ من قُوّة أيْدِيهِم وشِدة نَجْدتهم وبأَسِهم مالا يكـون معـه لَنـا يبِيل إلى غَلَبتِهم وإعطائهم بأيْدِيهم لولا أن القَضَاء أدالَنا مِـنْهُم وأظْفَرَنـا بهـم وأظْهَرنَا عليهم ولَمْ نَرَ بَعِيدا من الرّأي في أمْرِهم أنْ نَسْتأصِل شَأفَتَهُم ونَجْتَـثّ أصْلَهم ونُلْحِقهم بِمن مَضَى مِن أسلافهم لتَسْكُن القُلُوب بـذلك إلى الأمْـن مِـن جَرائِرِهم وبَـوائِقهم فَرَأْينـا أن لا نَعْجَـل باسْـعافِ بـادِئ الـرَأي في قَـتْلِهم دُونَ الاستظهار عليه بِمَشُورَتِك فارْفَع إلينا رَأيَـك فـيما اسْتَـشَرْناك فيـه بَعْـد صِـحَّته عِنْدَك وتَقلِيبِك إيّاه بجِليّ نَظَرك والسلام لاهل السلام فَليكُن علينا وعليك.

اجابة الحكيم ارسطو إلى الملك بعد ديباجة طويلة

انّ لِكُـلّ تُرْبــة لا محالــة قــسما مــن الفَــضائل وانّ لِفـارِس قِــسْمَها مــن النَجْدة والقوة وانّك إنْ تَقْتُل أشْرافَهُم تُخَلِّف الوُضَعاء عـلى أعقـابهم وتُـورِثْ سِـفْلَتَهمْ مَنـازِلَ علْيَـتِهمْ وتُغَلِّـب أدْنِيـاءهم عـلى مراتـب ذوي أخْطـارهم ولم يُبْتَل المُلُوك قَطّ ببَلَاء هو أعْظم علـيهم وأشَـدّ تَوْهِينـا لِـسُلْطانهم مِـن غَلَبـة الـسِفْلة وذُلّ الوْجُـوُه فاحْـذر الحَـذَر كُلّـه أنْ تمكّـن تِلـكَ الطَبَقَـةَ مِـن الغَلَبـة

والحَركة فانّهم إنْ نَجَم مِنْهم بَعْد اليَوْمِ على جُنْدك وأهْل بلادك ناجِمٌ دَهَمَهُم منه ما لا رَوِيَّةَ فيه ولا بَقِيّة مَعَه فانْصَرِف عن هذا الرأي إلى غيره ةاعْمد إلى مَن قِبَلكمِن أولئِك العُظماء والاحْرار فَوَزِّعْ بَيْنَهُمْ مَمْلَكَتَهُمْ وألْزِمْ اسمَ الملِك كُلّ مَن وَلَّيْتَه منهم واعقِد التاجَ على رأسه وان صَغُر مُلْكُه فان المُتَسَمِّي بالمَلِكِ لازِمٌ لاسْمِهِ والمَعْقُود التاج على رأسه لا يَخْضَع لِغَيره فليس يَنْشَب ذلك أنْ يُقِع كُلُّ مَلِكٍ منهم بَيْنَه وبَيْنَ صاحِبه تَدابُرا وتَقاطُعا وتَغالُبا على المُلْك وتَفاخُرا بالمال والجُنْد حتى يَنْسَوْا بذلك أضْغانَهم عَلَيك وأوْتَارَهُم فيك ويَعُودَ حَرْبُهم لك حَرْبا بَيْنَهم وحَنَقُهم عَلَيك حَنقًا منهم على أنْفُسهم ثم لا يَزْدَادُون في ذلك بَصِيرةً إلّا أحْدَثوا لك بها استِقامة إنْ دَنَوْت منهم دَنَوْا لك وإن نَأيْت عنهم تَعَزَّزُوا بِكَ حتى يَثِبَ مَن مَلَك منهم على جاره باسْمك ويَسْتَرْهِبَه بِجُنْدك وفِي ذلك شاغِلٌ لَهُمْ عَنْك وأمانٌ لِإحْداثِهم بَعْدَك وإنْ كان لا أَمانَ للدّهْر ولا ثِقَةَ بالايام وقَد أدّيْتُ إلى المَلِك ما رَأيتُه لِي حَظًّا وعلىّ حَقًّا مِن إجابَتِي إيّاه إلى ما سألَنِي عنه ومَحَضْتُه النَصِيحة فيه والمَلِكُ أعْلى عَيْنًا وأنْفَذُ رَوِيَّةً وأفْضَل رَأيًا وأبْعَد هِمّة فيما استعان بِي عليه وكَلَّفَني تَبْيِينَه والمَشُورَة عَلَيه فِيه لا زالَ المَلِك مُتَعَرِّفًا مِن عَوائد النِعَم وعواقب الصُنْع وتوطِيد المُلْك وتنفيس الأجَل ودَرْك الأمَل ما تأتِي فيه قُدْرته على غَاية أقْصى ما تَناله قُدْرة البَشَر والسلام الذي لا انقِضاء له ولا انتِهاء ولا غَاية ولا فَناء على الملك.

أي لمنتظِرِه يقال نظرته أي انْتَظَرْته وأول من قال ذلك قُرَاد ابـن أجْـدَع وذلـك أن النعمان بن المُنْذِر خرج يتصيَّد على فَرَسه اليَحْمـوم فـأجراه عـلى إثـر عَـيْرٍ فذهب به الفَرَس في الارض ولم يقدِر عليه وانْفَرَد عن أصحابه وأخَذَتْه الـسماءُ فَطَلَب مَلْجَأ يَلْجَأ إليه فَدَفَع إلى بِناءٍ فاذا فيه رَجُلٌ مِن طَيّءٍ يقال لـه حَنْظَلـة ومعه امرأة له فقال لهما هَلْ مِن مَأوى فقال حنظلة نَعَمْ فَخَرج إليه فأفأنْزَلَه ولم يَكُن للطّائِيِّ غَيْرُ شاةٍ وهـو لا يَعْـرِف الـنُعْمان فقـال لامرأتـه أرَى رَجُـلًا ذا هيئة وما أخْلَقَه أن أن يكون شرِيفا خَطيرا فَمَا الحِيلة قالـت عنِـدي شئ مـن طَحِين كنتُ ادَّخَرْتُه فاذْبَح الشاةَ لأتَّخِذ من الطَّحِين مَلَّة قـال فأخْرَجَـت المَـرْأة الدَّقِيق فَخَبَزَتْمنه مَلَّةً وقام الطـائِّي إلى شـاته فاحْتَلَبَهـا ثـم ذَبَحَهـا فاتّخَـذَ مـن لحمها مَرَقة مَضِيْرة وأطْعَمَه مـن لَحْمهـا وسـقاه مِـن لَبَنِهـا واحْتَـالَ لـه شَرَابًـا فسقاه وجَعَل يُحَدَّثه بَقيَّةَ لَيْلَتِه فَلَمّا أصْبَحَ النعمان لبِس ثِيَابَـه ورَكِـبَ فَرَسـه ثم قال يا اخا طَيّء اطلُبْ ثَوَابك أنَا المَلِك النُعمان قال أفْعَلُ ان شاء الـلـه ثـم لحِق الخيلَ فمضى نحو الحِيرة ومكَثَ الطائي بعد ذلك زمانا حتى أصابيه نَكْبَةٌ وجَهْدٌ وساءت حَالُه فقالت له امرأتُه لو أتَيْتَ المَلك لأحسن إليك فأقْبَلَ حتـى انتهى إلى الحِيرة فوافق يومَ بُؤس النعمان فاذا هو واقـف في خَيْلـه في الـسلاح فلما نظر إليه النعمان عَرَفه وساءه مَكَانُه فوقَفَ الطائي المَنْزُول بـه بـين يـدَي النعمان فقال له أنت الطائي المنزول به قال نعـم قـال أفَـلَا جئـتَ في غـير هـذا اليوم قال أبَيْتَ اللَّعْنَ وما كان علْمي بهذا اليوم قال والـلـه لو سـنح لي في هـذا

اليوم قَابُس إبني لَمْ أجِد بُدًّا مِن قَتْله فاطْلُبْ حاجَتَك من الدنيا وسل ما بَدَالك فانك مَقْتُول قال أَبَيْتَ اللَّعْنَ وما أصْنَع بالدُّنيا بعد نَفْسِي قال النعمان انّه لا سبِيلَ إليها قال فان كان لابُدَّ فَأجِّلْنِي حتى أُلِمَّ بأهْلِي فَأوصِي إليهم وأهَيّء حَالَهُمْ ثم أنْصَرِف إليك قال النعمان فأقمْ لي كَفِيلا بِمُوَافَاتِك فالتَفَتَ الطائي إلى شَرِيك بن عمرو بن قيس من بني شَيْبَان وكان يُكْنَى أبا الحَوْفَزَان وكان صاحبَ الرِّدافَة وهو واقف بجَنْب النعمان فقال له

يا شريكا يا بنَ عمرو   هل مِنَ الموت مَحَالَهْ
يا أخا كل مُضاف   يا أخَا مَن لا أخَالَهْ
يا أخا النعمان فُكَّ الْ   يَوْمَ ضَيفا قد أتَى لَهْ
طَالَمَا عَالَجَ كَرْب الْ   مَوْت لا يُنْعِم بَالَهْ

فَأبى شَرِيك أن يَتَكَفَّل به فَوَثَب إليه رجل من كَلْب يقال له قُرَادُ ابن أجْدَع فقال للنعمان أبَيْتَ اللَّعْن هو عَلَيّ قال النعمان أفَعَلْت قال نَعَمْ فَضَمَّنَهُ إيَّاه ثم أمَر للطائي بخَمْسِمائة ناقةٍ فَمَضَى الطائي إلى أهله وجَعَل الاَجَل حَوْلا مِن يَوْمِه ذلك إلى مِثْل ذلك اليوم مِن قابِل فلَمّا حَالَ عليه الحول وبقى من الاَجَل يَوْمٌ قال النعمان لقُرَاد ما أراك الّا هَالِكا غَدًا فقال قراد

فإن يك صدْرُ هذا اليومِ ولّى   فانّ غَدًا لِنَاظِره قَرِيب

فلما أصبح النعمان ركبَ في خَيْلـه ورَجْلـه مُتَسَلِّحا كـما كـان يفعـل حتـى أتى الغَرِيَّيْنِ فَوَقَف بَيْنَهُما وأخْرَج مَعَه قُرَادًا وأمَرَ بقَتْله فقال له وُزَرَاؤه لـيس لـك أن تَقْتله حتى يستوفَِ يَوْمه فترَكَه وكان النعمان يشتهي أنْ يُقْتَل قُرَادٌ لِيُفْلَتَ الطفَبَيْنَما هم كَذَلِك إذْ رُفِعَ ائِي من القَتْل فلما كـادت الـشمس تَجِـبَ وقُرَادٌ قائم مُجَرَّد في إزَار على النِطَع والـسَّيَّاف إلى جَنْبـه أقْبَلَـت امرأتُـه وهـى تقول

أيَـا عَـيْنُ بَـكّى لِي قُـرَادَ بْـنَ أجْـدَعَا — رَهِينـــا لِقَتْـــل لا رَهِينـــا مُوَدّعـــا
أتَتْـــه المَنايَـــا بَغْتَـــةً دُونَ قَوْمـــه — فأمْـسَى أسِـيرًا حَـاضِر البَيْـت أضْرعَـا

فَبَيْنَما هم كَذَلِك إذْ رُفِعَ لهم شَخْصٌ مِن بَعِيـد وقـد أمَـرَ الـنُعْمان بِقَتْـل قُـرَاد فقِيل له ليس لك أن تَقْتُلَه حتى يأتِيكَ الشَخْصُ فَـتَعْلم مَـنْ هُـو فَكَـفّ حتـى انْتَهَى إِلَيْهِم الرَّجُل فاذا هو الطَّائِيُّ فَلَمَّا نَظَر إليـه الـنُعْمان شَـقّ عليـه مَجِيئـهُ فقال له ما حَمَلَك على الرُّجُوع بَعْد إفْلَاتِـك مـن القَتْـل قـال الوَفَـاء قـال ومـا دَعَاك إلى الوفاء قال ديني قال النعمان وما دِينُك قال النصرانيةُ قـال الـنعمان فاعْرِضْها عَلَيّ فَعَرَضَها عليه فَتَنَصَّر النعمان هـو وأهْـلُ الحِـيرة أجمعـون وكـان قبل ذلك على دِين الجاهلية فَتَرَك القَتْل مُنْذُ ذلـك اليـوم وأبْطَـل تلـك الـسُّنّة وأمَرَ بهَدْم الْغَرِيَّيْن وعَفَا عن قُرَاد والطائيّ وقال والـلـه ضَمِنَه والـلــه لا أكـونَنَّ ألْأَمَ الثلاثة فأنشأ الطائيّ يقول

ما كُنْـتُ أخْلِـف ظَنّـه بعـد الـذي — أسْـدَى إلىَّ مــنَ الفَعَــال الخَــالي
ولقــد دَعَتْنِــي للخِــلاف ضَـلَالَتِي — فأبَيْـــتُ غـــيرَ تَمَجُّـــدِي وفَعَـــالِي
إنِّي امْــرُؤ مِنِّــي الوَفَــاء ســجِيَّة — وجَـــزَاء كُـــلّ مُكَـــارِمِ بَـــذَّال

وقال أيضا يمْدَح قُرَادا

الَا انمّـا يَـسْمو إلى المَجْـد والعُـلى مَخَارِيقُ أمْثالُ القُـراد بـنِ أجْـدعَا
مَخَـارِيقُ أمْثَـال القُـرَاد وأهْلِـه فـانّهُم الاَخْيـار مِـنْ رَهْـطِ تُبَّعَـا

انتهى هذا المشهور والصحيح ان صاحب الغَرِيَّيْنِ ويومِ البؤس هو المنذر الاكبر

ان أخاك من آساك

يقال آسيت فلانا بما لي أو غيره اذا جَعَلْتَه أسْوَةً لَكَ وَوَاسَيْتُ لُغَة فيه ومَعْنَى المَثَل أنّ أخاك حقيقةً مَن قَدَّمَك وآثَرك على نَفْسه يُضرَب في الحثّ على مراعاة الاخوان وأوّل مَن قال ذلك خُزَيم بن نَوْفل الْهَمْداني وذلك أنّ النّعمان بن ثَوَاب العَبْدِي ثم الشَّنِّي كان له بَنُن ثلاثة سعد وسعيد وساعِدة وكان أبُوهم ذا شَرَف وحِكْمة وكان يُوصِي بَنِيه ويَحْملهُم عَلَى ادَبِه أمّا ابْنُه سعد فكان شجاعا بَطَلا من شياطين العَرَب لا يُقَام لسبيله ولم تَفُتْه طَلِبَتُه قَطّ ولم يَفِرّ عن قِرْن أمّا سعيد فكان يُشْبه أباَه في شَرَفه وسُودَدِه وأمّا ساعدة فكان صاحبَ شرَابٍ ونَدَمى وإخْوَانٍ فَلَمّا رأى الشيخُ حالَ بَنِيه دعا سعدا وكان صاحب حِرْب فقال يابُنَيّ انّ الصَّارِم يَنْبُو والجَوَاد يَكْبُو والأَثَر يَعْفُو فاذا شَهِدت حَرْبا فرأيْتَ نَارَها

تَسْتَعِر وبَطَلَها يَخْطِر وبَحْرَها يَزْخَر وضَعِيفَها يُنصَر وجَبَانَها يَجْسَرُ فأقْلِل المُكْث والانتِظار فان الفِرَار غَيْرُ عَار اذا لَم تكُن طَالِبَ ثار فانما يُنْصَرون هُمْ وإيّاك أن تكونَ صَيد رِمَاحِها ونَطِيح نِطَاحِها وقال لابنه سعيد وكان جَوَادا يابُنَيّ لا يَبْخَل الجَوَاد فابذل الطَارِفَ والتِلَاد وأقْلل التَّلَاح تُذْكَر بالسماح وابْلُ إخْوَانَك فان وافِيهِم قَلِيل واصْنَع المَعْروف عند مُحْتَمِله وقال لأبنه ساعدة وكان صاحب شَرَب يابُنَيّ ان كثْرَةَ الشَرَاب تُفْسد القَلْب وتُقَلِّل الكَسْب فأبْصِر نَدِيمَك واحْم حَرِيمَك وأعِن غَرِيمَك واعلم أن الظَمَأ القَامح خَيْرُ من الرّيّ الفَاضِح وعليك بالقَصْد فان فيه بَلَاغا ثم انّ أباهُم النُعْمان بنَ ثَوَاب تُوُفِّي فقال ابنُه سَعِيد وكان جَوَادا سَيِّدا لآخُذَنّ بِوَصيّة أبِي ولأبْلُوَنّ إخْوَانِي وثِقَاتِي في نفسي فَعَمَد إلى كَبْش فذبَحَه ثم وضعه في ناحية خِبائِه وغَشّاه ثوبا ثم دعا بعضَ ثِقاتِهِ فقال يا فلان ان أخاك مَن وَفَى لك بِعَهْده وحاطَك بِرفْده ونَصَرَك بُودّه قال صَدَقْت فهل حَدَث أمْر قال نعم انّي قَتَلْت فُلَانا وهو الذي تَرَاه في نَاحِية الخِباءِ ولابُدّ من التَعاوُن عليه حتى يُوارَى فَمَا عندك قال يَالَها سَوْأة وَقَعْتَ فيها قال فانِّي أرِيد أن تُعِينَني عليه حتّى أغَيِّبَه قال لَسْتُ لك في هذا بصَاحِب فَتَرَكَه وخرج فبَعَث إلى آخَر مِن ثِقَاتِهِ فأخْبَرَه بذلك وسَأَلَ مَعُونَتَه فَرَدّ عليه مثلَ ذلك حتى بعث إلى عَدَد منهم كُلُّهم يَردُ عليه مثلَ جواب الاوّل ثم بعث إلى رجل من اخوانه يقال له خُزَيم بن نَوْفل وقال له يا خُزَيم ما لِي عندك قال ما يَسُرّك وما ذَاكَ قال انّي قَتَلْت فلانا وهو الذي تراه مُسَجًّى قال أيْسَر خَطْب فَتريد مَاذَا قال أرِيد أن تُعِينَني حتّى أغَيِّبَه قال هَانَ ما فَزِعْت فيه إلى أخيك وغُلَام سعيد قائم مَعَهُما فقال له

خُزَيم هل اطّلَع على هذا الأمْر أحَدٌ غير غُلَامك هذا قال لا قال انظُرْ ما تَقُـول قال ما قُلْتُ الَّا حَقّا فأهْوَى خُزَيم إلى غُلَامه فَضَرَبه بالسيف وقَتَله وقال ليس عَبْد أخًا لَكَ فأرْسلهَا مثلا وارتـاع سـعيد وفَـزِعَ لِقَتْـل غُلامـه فقـال وَيْحـك مـا صَنَعْتَ وجَعَل يَلُومه فقال خُزَيم إن أخَاك من آساك فأرْسَلَها مَثَلًا قـال سـعيد فانِّي أرَدْت تَجْرِبَتَك ثم كَشَف عن الكَبْش وخَبَّرَه بمـا لَقِـى مِـن إخْوانـه وثِقَاتِـهِ وما ردّوا عليه فقال خزيم سَبق السَّيْفُ العَذَل فَذَهَبَتْ مَثَلًا.

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهَرًا بِنَوْم

قـالوا ان أوّل مـن قـال ذلـك ذُو رُعَـيْن الحِمْـيَرِي وذلـك أن حِمْـيَر تَفَرَّقَـت على مَلِكِهـا حَـسّان و خَالَفَـتْ أمْـرَه لـسوء سِـيرته فـيهم وكـالوا إلى أخيـه عَمْرو وحَمَلُوه على قَتْل أخيه حسان وأشاروا عليه بذلك ورغّبـوه في المُلْـك ووعده حُسْنَ الطاعة والمُوَازرة فَنَهَاه ذُو رُعَيْن مِن بين حِمْير عن قَتْل أخِيـه وعَلم أنّه ان قَتَل أخَاه نَدِم ونَفَر عَنْـه النَّـوْم وانتقـضت عليـه أمُـورُه وأنـه سَيُعَاقِب الذي أشَار عليه بذلك ويَعْرِفَ غِشّهم له فلمّا رَأى ذُو عُـيَن أنّـه لا يَقْبَل ذلك منـه وخَـشِيَ العواقِـبَ قـال هـذين البيتـين الآتِيَـيْن وكتـبهما في صـحيفة وخـتم عليهـا بخـاتم عمـرو وقـال هـذه وديعـة لي عنـدك إلى أن أطلبها منك فأخذها عمـرو فـدفعها إلى خازنـه وأمَـرَه بَرفْعهـا إلى الخِزانـة والاحتفاظ بها إلى أن يَسأل عنها فَلَـمّا قَتَـلَ أخَـاه وجلـس مَكَانَـه في المُلْـك مُنِع منه النَوْم وسُلّط عليه السَهَر فَلَمَّا اشـتدّ ذلـك عليـه لَـمْ يَـدَعْ بـاليَمن

طَبِيبا ولا كَاهِنا ولا مُنَجِّما ولا عَرّافا ولا عَائِفا الّا جَمَعَهُم ثـم أخْـبَرَهم بِقـصّتِه وشَكا إليهم ما بِهِ فقالوا له ما قَتَل رَجُلٌ أخَـاه أوْ ذَا رَحِـم منـه عـلى نحـو مـا قَتَلْتَ أخَاكَ الّا أصَابَهُ السَهَر ومُنِع منه النوم فلما قالوا له ذلك أقْبَلَ عـلى مَـن أفْنَاهُم فَلَمّا وَصَل إلى ذِي رُعَيْن قال له أيُّها المَلِك ان لي عنْدَك بَرَاءة مـما تُرِيـد انْ تَصْنَع بِي قال وما بَرَاءَتُّك وآمَانُك قال مُرْا خازِنَك أن يُخْـرِج الـصَحِيفة التـي اسْتَوْدَعْتُكَهَا يوم كذا وكذا فأمَرَ خازِنَه فأخْرَجَها فنظر إلى خاتمه ثم فَـضّها فـاذا فيها

الَا مَـــن يَـــشْتَرِي سَـــهَرًا بِنَـــوْم سَـعيدٌ مَـن يَبِيـتُ قَرِيـرَ عَـيْنِ
فأمّـــا حِمْــيَرٌ غَـــدَرَتْ وخَانَـــتْ فَمعْـــذرَة الِا لَـــه لِـــذِي رُعَـــيْنِ

ثم قال أيُّها قد نَهَيْتُك عن قَتْـل أخِيـك وعَلِمْـت أنّـك إن فَعَلْـتَ ذلـك أصَـابَك الذي قد أصّابك فَكَتَبْت هذين البَيْتَين بَرَاءَةً لِي عندك مما عَلِمْـت أنّـك تَـصْنَع بِمَن أشَار عَليك بقَتْل أخِيك فَقَبِل ذلك مِنه وعَفَا عَنْه وأحْسن جَائِزَتَه

ان العَصَا مِنَ العُصَيَّة

قال أبو عبيد هكذا قال الاصْمَعِيّ وأنَا أحْسِبُه العُصَيَّة من العَـصَا الا أن يُرَاد أن الشئ الجليل يكون فِي بَدْء أمْره صَغِيرا كما قـالوا إِن الْقَـرْم مِـنَ الأفِيلِ فَيَجُوز حينئذ على هذا المعنى أن يُقَال العَصَا مـن العُـصَيَّة قـال المُفَضّل أوّل مَن قال ذلك الَافْعَى الجُرْهُمِيّ وذلك أن نِزَارا لَـمّا حَـضَرَتْه

الوَفَاة جَمَعَ بَنِيه مُضَرَ وإيَادًا ورَبِيعةَ وأَنْمَارًا فقال يـابَنِيّ هـذه القُبّـة الحَمْـرَاء وكانت من أدَم لِمُـضَرَ وهـذا الفَـرَس الادْهَـم والخِبَـاء الاَسْـوَد لِرَبيعَـة وهـذه الخَادِم وكانَتْ شَمْطاء لإيادٍ وهـذه البَـدْرَة والمَجْلِـس لأنْمَـار يَجْلِـس فيـه فـإنْ أشْـكَلَ عَلَـيْكُم كَيْـفَ تَقْتَـسِمون فَـأْتُوا الاَفْعَـى الجُرْهُمِـيّ ومَنْزِلُـه بِنَجْـرانَ فَتَشاجَرُوا فِي مِيراثِه فَتَوَجَّهُوا إِلَى الْاَفْعَى الجُرْهُمِيّ فَبَيْنَما هُمْ فِي مَسِيرهم إليـه اذ رأى مُضَر أثَر كَلَأٍ قد رُعِيَ فقال إنّ البَعِير الذّي رَعَى هَذَا لأْعوَرُ قـال ربيعـة إنّه لَأَبْتَرُ قال أنْمارُ انَّه لَشَرُودٌ فسارُوا قَلِيلا فاذا هُمْ بِرَجُل يُنْشِد جَمَلَه فَـسَأَلَهُم عن البَعِير فقال مُضَر أهُو أعْور قال نَعَمْ قال رَبيعة أهُـو أزْوَر قـال نعـم قـال إياد أهُو أبْتَرُ قال نعم قال أنْمار أهُو شَرُودٌ قال نعم وهذه والـلـه صِفَةُ بَعِيرِي فَدُلُّونِي عليه قالوا والـلـه ما رَأَيْناهُ قال هذا والـلـه الكَذِب وتَعَلّـق بهـم وقـال كيف أصدِّقكم وأنْتُم تَصِفُون بَعِيرِي بِصفَته فَساروا حتـى قَـدِموا نَجْـرانَ فَلَـمّا نَزَلُوا نادَى صاحبُ البَعِير هَؤلَاء أخَذُوا جَمَلِي ووَصَـفُوا لِي صِـفَتَه ثـم قـالوا لَـمْ نَرَه فاخْتَصَمُوا إلى الاَفْعَى وهو حَكَم العرب فقال الاَفْعَى كيـف وصـفتموه ولم تَرَوْهُ قال مُضَرُ رَأيْتُه رَعَى جَانِبًا وتَرَكَ جَانِبًـا فعَلِمْـتُ أنّـه أعْـوَرُ وقـال رَبيعـة رَأيْتُ إحْدَى يَدَيْه ثَابِتَةَ الاَثَر والأُخْرَى فاسِدَتَه فعَلِمْتُ أنّـه أزْوَر لاَنّـه أفْـسَدَه لِشِدّة وَطْئِه لازْوِرارِه وقال إيَادٌ عَرَفْتُ أنّه أبْتَرُ باجْتِماعِ بَعْـرِه ولـو كـان ذيَّـالًا لمَصَعَ به وقال أنْمَار عَرَفْتُ أنّه شَرُود لِاَنّه كان يَرْعَى فِي المَكَان المُلْتَفّ نَبْتُـه ثـم يَجُوزُه إلى مكانٍ أرَقّ منه وأخْبَث نَبْتا فَعَلِمْتُ أنّـه شَرُود فَقَـال لِلرَّجُـل لَيْـسُوا بأصْحَاب بَعِيرك فاطْلُبْه ثم سألَهُم مَنْ أنْتُم فَأخْبَرُوه فَرَحَّب بِهِمْ ثم أخْبَرُوه بمـا جَاءَ بِهِم فقال أتَحْتَاجُون إلَيّ وأنْتُم كَما أرَى ثُمَّ أنْزَلهم فَذَبَحَ لهم شَاةً وأتـاهُمْ

بخَمْرٍ وجَلَس لهم الاَفْعَى حَيْثُ لا يُرَى وهو يَسْمَع كَلَامَهُم فقال رَبِيعَةُ لَـمْ أرَ كالْيَوْم لَحْمًا أطْيَبَ مِنه لولا أنّ شَاتَه غُذِيَتْ بِلَبَنِ كَلْبَةٍ فقال مُضَرَ لَمْ أرَ كَالْيَوْم خَمْرا أطْيَبَ منه لولا أنَ حُبْلَتَها نَبَتَتْ على قَبْرٍ فقال إيَـادٌ لَـمْ أرَ كـالْيَوم رَجُـلًا أسْرَى منه لولا أنّه لَيْس لِابِيه الذي يُدْعَى لَهُ فقـال أنْمَـار لَـمْ أرَ كَـالْيَوْم كَلَامـا أنْفَعَ فِي حاجَتِنا مِن كَلَامِنَا وكان كَلَامُهم بأذُنِهِ فقال مـا هَـؤُلاء الّا شَـيَاطِين ثُـمَّ دَعَا القَهْرَمَان فقال ما هذه الخَمْرُ وما أمْرُها قال هى من حُبْلَـةٍ غَرَسْـتُها عـلى قَبْرِ أبِيكَ لَمْ يَكُن عِندنَا شَرَابٌ أطْيَبُ منْ شَرَابها وقـال للرَّاعـي مـا أمْـرُ هَـذِه الشاة قال هى عَنَاقٌ أرْضَعْتُها بِلَبَن كَلْبَـة وذلـك أنّ أمَّهـا كانـت قـد مَاتَـتْ ولم يَكُنْ فِي الغَنَم شَاةٌ ولَدَتْ غَيْرها ثم أتى أمه فَسَألَهَا عَنْ أبِيه فأخْبَرَته أنّها كانَـتْ تَحْتَ مَلِكٍ كَثِير الْمَال وكـان لا يُولَـدُ لـه قالَـتْ فَخِفـتُ أنْ يَمُـوت وَلَا وَلَـدَ لَـهُ فَيَذْهَبُ المُلك فأمْكَنْتُ مِن نَفْسِي ابْنَ عَمّ لَهُ كـانَ نَـازِلا عَلَيـه فَخَـرجَ الافْعَـى إلَيْهم فَقَصّ القَوْمُ عليه قِصَّتَهم وأخْبَرُوه بِمَا أوْصَى بِـه أبُـوهُمْ فقـال مـا أشْـبَهَ القُبَّةَ الحَمْرَاء مِنْ مَالٍ فهو لِمُضَر فذهب بالدَّنَانِير والأبِل الحُمْر فَـسُمِّى مُـضَر الحَمْراء لذلك وقال وأمّا صَاحِبُ الفَرَس الأدْهَمِ والخِبَاء الأسْـود فَلَـهُ كُـلُّ شـئ أسْوَد فصارت لِرَبيعة الخَيْـل الـدُّهْم فَقيـل رَبيعـة الفَـرَس ومـا أشْـبَه الخَـادِمَ الشَمْطَاء وقَضَى لِأنْمَار بالدَرَاهِم وبِمَا فَضَل فـسمِّى أنْمَـار الفَـضْل فَـصَدَرُوا مِـن عِنده على ذلك فقال الاَفْعَى إنّ العَـصَا مِـنَ العُـصَيّة وإن خُـشَيْنا مِـنْ أخْـشَن ومُساعدة الخَاطِل تُعَـدّ مِـن البَاطِـل فأرسـلهنّ مـثلا وخُـشَيْن وأخْـشَن جَـبَلَانِ أحـدُهما أصـغَر مِـنَ الاخـر والخَاطِـل الجَاهِـل والخَطَـل فِي الكـلام اضْـطِرابه والعُصَيَّة تَصْغِير تكْبِيرٍ مِثْل أنَا عُذَيْقُها المُرَجَّب وجُذَيْلُها المُحَكَّك والمُـراد أنّهـم

يُشْبِهُون أبَاهُمْ في جَوْدة الرّأيِ وقيل انّ العَصَا اسمُ فَـرَس والعُـصَيّة اسـم أمّـه يُرَاد أنَّه يَحْكِي الأم في كَرَم العرقْ وشَرَف العِتْق.

خطب يسير في خطب كبير

قاله قَصِير بن سَعْد الّلْخمِيّ لجَذِيمة بن مالك بن نَصْر الـذي يُقـال لـه جَذِيمـة الاَبْرَش وجَذِيمة الوَضّاح والعرب تقول للّذي بِهِ البَرَص بِهِ وضَحَ تَفَاديًا من ذِكْـر البَرَص وكان جَذِيمة مَلِكَ ما عَلَى شاطئ الفُـرَات وكانـت الزَّبّـاء مَلكـة الجَزِيـرة وكانت مِن أهل باجَرْمَا وتَتَكَلَّم بالعربية وكان جَذِيمة قد وتَرَها بقَتْل أبِيها فلما استجمَعَ أمْرُها وانتظَمَ شَمْلُ مُلْكها أحَبَّتْ أنْ تَغْزُوَ جَذِيمة ثـم رَأت أنْ تَكْتُـب إليه أنّها لَمْ تَجِدْ مُلْكَ النّساء إلّا قَبِيحا في السمَاع وضَعْفًا في السُلْطان وأنها لَمْ تَجِـدْ لِمُلْكِهـا موْضِـعا ولا لِنَفْـسها كُفُـؤا غَـيْرك فأقْبِـلْ إلىَّ لِأجْمَـعَ مُلْـكِي إلى مُلْكِكَ وأصِلَ بِلادِي ببلادك وتُقَلّد أمْري مع أمْرك تريد بـذلك الغَـدْر فلـما أتَى كتابُها جَذِيمة وقدِم عليه رُسُلها استَخَفّه مادَعَتْه إليه ورَغِب فيما أطْمَعَتْه فيـه فَجَمَع أهْلَ الحَجِا والرّأي من ثِقَاتِه وهو يومئذ بِبَقّة من شاطِئِ الفُرات فَعَرَض عليهم ما دَعَتْه إليه وعَرَضَتْه عليه فاجْتَمَع رأيُهم على أن يَسِير إليهـا فيَـستَوْلي على مُلْكها وكان فيهم قَصِير وكان أرِيبًا حازِما أثِيرا عند جَذِيمـة فَخَـالَفَهُمْ فـيما أشَاروا به وقال رَأيٌ فاتِر وغَدْر حاضِر فَـذَهَبَت كلِمتـه مَـثَلا ثـم قـال لحَذِيمـة الـرَّأي أنْ تَكْتُـب إليهـا فـإن كانـت صـادِقة في قَوْلهـا فَلتُقْبِـلْ إليـك والّا لَـمْ

تمكِّنْها مِن نَفْسك ولَمْ تَقَع في حِبَالَتِها وقد وتَرتْهَا وقَتَلْتَ أبَاها فلم يُوَافِق جَذِيمة ما أشار به فقال قِصير

إنّي امْرُؤ لا يمِيل العَجْزُ تَرْوِيَتِي اذا أتَتْ دُونَ شَأْبِي مِرّةُ الرُّزَمِ

فقال جَذِيمة لَا ولَكِنَّك امْرُؤ رَأيُك في الكِنّ لا في الضِّحّ فذهَبت كلمتُه مَثَلا ودَعَا جَذيمة عَمْرَو بنَ عَدِيٍّ ابنَ أخْته فاستشاره فشجَّعه على المسِير وقال انّ قَوْمِي مع الزّبَاء ولَوْ قَدْ رَأوْك صاروا مَعَك فأحَبَّ جَذيمة ما قاله وعَصَى قَصِير لا يُطاع لقَصيرٍ أمْرٌ فَذَهَبَت مَثَلا واسْتَخْلَف جَذِيمة عَمْرَو بن عَدِيٍ عَلَى مُلْكه وسُلْطانِه وجَعَلَ عَمْرَو ابنَ عبِد الجِنّ معه على جُنُوده وخُيُوله وسار جذيمة في وُجُوه أصحابه فأخَذ على شاطِئ الفُرَات من الجانب الغَرْبِيّ فلما نَزَل دعا قِصيرا فقال ما الرَّأيُ يا قَصِير فقال قِصير ببَقَّةَ خَلَّفْتُ الرَّأيَ فَذَهَبَتْ مَثَلا قال وما ظَنُّك بالزَّبّاء قال القَوْلُ رِدَاف والحَزْم عَثَرَاتُه تُخَاف فذهبت مثلا واسْتَقْبَلَه رُسُل الزَّبّا بالهدَايا والألْطاف فقال يا قصير كيف تَرَى قال خَطْبٌ يَسِير في خَطْب كَبير فذهبت مثلا وستَلْقَاك الخُيُول فإنْ سَارتْ أمَامَك فالمَرأة صادِقة وان أخَذَت جَنْبَتَيْكَ وأحَاطَتْ بك مِن خَلْفك فالقَوْم غَادِرُون بك فاركَبِ العَصَا فانّه لا يُشَقُّ غُبارُها فَذَهَبَتْ مثلا وكانت العصا فَرَسا لجَذِيمة لا تُجَارَى وإنّي رَاكِبها ومُسَايِرُكَ عليها فَلَقِيَتْه الخُيُول والكَتائِب فَحَالَتْ بَيْنَه وبَيْن العَصَا فَركَبها قَصِير ونظر إليه جَذِيمة على مَتْن العصا مُوَلِّيا فقال وَيْل أمِّه حَزْما على مَتْن العَصَا فَذَهَبَتْ مثلا وجَرَت به إلى غروب الشمس ثم نَفَقَت وقد قَطَعَت أرْضا بَعِيدة فَبَنَى عليها بُرْجا يقال له بُرْج العَصَا وقالت العرب

خَيْرٌ مّا جَاءت به العَصَا فذهبت مثلا وسار جذِيمة وقد أحاطت به الخليل حتى دَخَل على الزّبّاء فرآها على غير أُهْبة العَرُوس فقال بَلَغ الْمَدَى وجَفّ الثَّرَى وأمْرَ غَدْرٍ أرَى فذهبت مثلا ودَعَت بالسيف والنِطَع ثم قالت انّ دِمَاءَ المُلُوك شِفَاء من الْكَلَب فأمَرَتْ بطَسْت منْ ذَهَب قد أعَدّتْه له فَسَقَتْه الخمرَ حتى سَكِر وأخَذَت الخمرُ منه مَأخَذَها فأمَرَتْ بِرَاهِشَيه فَقُطعا وقَدّمتْ إليه الطَّسْت وقد قِيل لها إنْ قَطَر مِن دَمِه شئ في غير الطَّسْت طُلِب بِدَمِه وكانت المُلُوك لا تُقْتَل بضَرْب الأعْناق إلا في القِتَال تَكْرِمة لِلْمَلك فلَمّا ضَعُفَتْ يَدَاهُ سَقَطَتَا فَقَطَر مِن دَمِه في غير الطست فَقالت لا تُضَيِّعوا دَمَ المَلِك فَقَال جَذِيمة دَعُوا دَمًا ضَيَّعَه أهْلُه فذهبت مثلا فَهَلَك جَذِيمة وجَعَلَت الزّبّاء دَمَه في رَبْعَةٍ لها وخَرَج قَصِير من الحَيّ الذي هَلَكَت العَصَا بين أظهُرِهِم حتى قَدِم على عَمْرو بن عَدِيّ وهو بالحِيرة فقال له قَصِير أثَائِرُ أنْتَ قال بَلْ ثائِر سَائِر فَذَهَبَتْ مثلا ووافَقَ قصير الناسَ وقد اخْتَلَفُوا فَصَارت طائفة مع عَمْرو بن عديّ اللّخْمي وجماعة منهم مع عمرو بن عبد الجِنّ الجَرْمِيّ فاخْتَلَف بَيْنَهُما قصِير حتى اصْطَلَحَا وانْقَاد عَمْرو بن عَبْدِ الجِنّ لعَمْرو بن عَدِيّ فقال قصِير لعَمْرو بن عَدِيّ تَهَيّأ واسْتَعَدّ ولا تَطُلَّنّ دَمَ خَالِك قال وكَيْفَ لِي بها وهى أمْنَعُ مِن عُقَابِ الْجَوّ فَذَهَبَتْ مَثَلاً وكانتَ الزّبّاء سألَتْ كاهنَة لها عن هَلَاكِها فقالت أرَى هَلَاكَكِ بسَبَب غُلَام مَهِين غَيْر أمِين وهو عَمْرو بن عَدِيّ ولَنْ تَمُوتِي بيَدِه ولِكن حَتْفُك بِيَدِكِ ومِنْ قِبَله ما يكونُ ذَلِك فَحَذِرتْ عمرا واتَّخَذَتْ لَها نَفَقًا من مَجْلسها الذي كانت تَجْلس فيه إلى حِصْن لها في داخل مَدِينتها وقالت ان فجأني أمْرٌ دَخَلْتُ النَفَق إلى حِصْنِي

ودَعَتْ رجُلا مُصوِّرا مِنْ أجْوَد أهلْ بِلادِهـم تـصوِيرا وأحـسنِهِم عَمَـلا فجهَّزَتْـه وأحْسَنَتَ إليه وقالت سِرْ حَتَّـى تَقْـدَم عـلى عَمْـرو ابـن عَـدِيّ مُتَنَكّـرا فَتَخْلُـو بحَشَمِه وتَنْضَمّ إليهم وتُخَالِطُهم وتُعْلِمُهم مـا عِنْـدَك مـن العِلْـم بالـصُّوَر ثـم أثْبِتْ لِي عَمْرو بنَ عَدِيّ مَعْرِفَةً فَصَوِّرْهُ جالسا وقائما وراكبا ومُتَفَضِّلا ومتـسلِّحا بهَيأته ولِبْسته ولَوْنِه فإذا أحْكَمْتَ ذلك فَأقْبِلْ إليّ فانْطَلَقَ المُـصَوِّر حتـى قـدِم على عمرو بن عدي وصَنَعَ ما أمَرَتْه به الزّبّاء وبَلَغ من ذلك ما أوْصَـتْه بـه ثـم رَجَع إلى الزّبّاء بِعَمَلِ ما وَجَّهَتْه لـه مـن الـصُّورة عـلى مـا وَصَـفَتْ وأرَادَتْ أنْ تَعْرِف عَمْرو بنَ عَدِيّ فلا تَرَه على حالٍ إلّا عَرَفَتْه وحَذِرَتْه وعَلِمَتْ عِلْمَه فقال قصير لعمرو بن عدي اجْدَعْ انْفِي واضْرِبْ ظَهْرِي ودَعْنِي وإيَّاهـا فقـال عمـرو ما أنا بفاعل وما أنْتَ لِذَلِكَ مُسْتَحِقّا عندي فقال قصِير خَـلّ عَنِّـي اذًا وخَـلَاكَ ذَمٌّ فذهبت مثلا فقال له عمرو فأنْتَ أبْصَر فجدَع قصير أنفه وأثَّر آثارا بظَهْره فقالت العرب لامر مّا جَدَعَ قَصِير أنْفَه وفي ذلك يقول المتلمس.

وفي طَلَب الاوْتَار ما حَزّ أنْفَه قصِير ورَام المَوْت بالسيف بَيْهس

ثم خَرَج قصير كأنّه هارِبٌ وأظْهَرَ أنّ عَمْـرًا فَعَـل ذلـك بـه وأنّـه زَعَـم أنّـه مَكَـرَ بخَاله جَذِيمة وغَرّه من الزَّبَّاء فسار قصير حتـى قـدِم عـلى الزبـاء فقيـل لهـا ان قصيرا بالباب فأمَرَت بـه فأدْخـل عليهـا فـاذا أنْفُـه قـد جُـدِعَ وظَهـره قـد ضرِب فقالت ما الَّذِي أرَى بِكَ يا قصير قال زَعَم عَمْرو أنِّي قد غَرَرْتُ خَالَه وَزَّيْنـت لـه المَصِير إليك وغَشَشْتُه ومَالَأتُكِ فَفَعَل بِي مـا تَـرَيْنَ فأقْبَلْـتُ إليـك وعَرَفْـتِ أنِّي لا أكُون مَعَ أحَدٍ هو أثْقَلُ عليه مِنْك فأكْرَمَتْـه وأصَـابَتْ عنـدَه مِـن الحَـزْم والـرَّأي ما أرَادَتْ فَلَمّا عَرَف أنّها اسْتَرْسَلَتْ إليـه ووثِقَـتْ بـه قـال إنّ لي بـالعِرَاق أمْـوالا

كثيرة وطَرَائفَ وثِيَابًا وعِطْرًا فابْعثِيني إلى العراق لأحْمِل مالِي وأحْمِل إليك مِن بُزُورها وطَرَائِفها وثيابها وطِيبها وتُصيبِينَ في ذلك أرْباحاً عِظَامًا وبَعْض مَالَا غِنًى بالمُلُوك عنه وكان أكْثَرَ ما يُطْرِفُها من التَمْر الصَّرَفَان وكان يُعْجِبُها فلَمْ يَزَل يُزَيِّن ذلك حتى أذنَتْ له ودفَعَتْ له أموالا وجَهَّزَت معه عَبِيدا فَسَار قصِير بما دَفَعَتْ إليه حتى قدِم العِرَاق وأتى الحِيَرة مُتَنَكِّرًا فدخل على عَمْرو فأخْبَرَه الْخَبَر وقال جَهِّزْنِي بصُنُوف الْبَزّ والامْتِعَة لَعلّ الله يُمكْن مِنَ الزَّبَّاء فَتُصِيبَ ثَأْرَكَ وتَقْتُل عَدُوَكَ فَأَعْطَاهُ حاجَتَه فَرَجَعَ بذلك إلى الزَّبَّاء فأعْجَبَها ما رَأتْ وسَرّها وازْدَادَتْ به ثِقَةً وجَهَّزَتْه ثَانِية فسار حتّى قَدِم على عَمْرو فَجَهَّزه وعادَ إليها ثم عادَ الثالِثة وقال العمرو اجْمَعْ لِي ثِقَات أصْحابِك وهَيِّئ الغَرَائِر والمُسوح واحْملْ كُلَّ رَجُلَينِ على بَعير في غِرَارَتَيْنِ فاذا دَخَلوا مَدِينة الزّبّاء اقَمْتُك على باب نَفَقها وخَرَجَت الرِّجال من الغَرَائر فَصَاحُوا بأهلْ المدينة فَمَنْ قاتَلَهُم قَتَلُوه وان أقْبَلَتِ الزّبّاء تُريد النَفَقَ جَلَّلتْهَا بالسَيْف فَفَعَل عَمْرو ذلك وحَمَل الرِّجال في الغَرائر بالسلاح وسار يَكْمُنُ النَهَار ويسير اللَّيْلَ فلما صار قرِيبا من مَدِينَتِها تَقَدّم قصير فَبَشَّرَها وأعْلَمَها بما جاء به من المَتاع والطَرَائف وقال لها آخِر البَزّ على القَلُوص فأرْسَلَها مثلا وسألَها أن تَخْرُج فَتَنْظُر إلى ما جاء به وقال لها جئتُ بما صاء وصَمَتَ فذَهَبَتْ مثلا ثم خرجت الزّبّاء فأبْصَرت الابِلَ تكاد قوَائِمها تَسُوخ في الأرض مِن ثِقَل أحْمَالِها فقالت يا قصير

مـا لِلْجِمال مَشْيُها وَئِيدا   أجَنْدَلًا يَحْمِلْن أمْ حَدْيدَا

أمْ صَرَفَانًا تَارِزًا شَدِيدا

فقال قصير في نَفْسه

هذا من قول الحَمْراء بنت ضَمْرة بن جابر وذلك أنّ بني تَمِيم قَتَلُوا سَعْدَ بنَ هِنْد أخا عَمْرو بن هِنْد المَلِكِ فَنَذر عَمْرو لَيَقْتُلَنّ بِأخيه مائَةً مِنْ بَنِي تميم فَجَمَع أهْل مَمْلكتِه فَسارَ إليهم فَبَلَغَهُمُ الخَبَر فَتَفَرّقُوا في نَواحِي بِلادِهم فَأتَى دارَهُم فَلَم يَجِد إلّا عَجُوزا كَبِيرة وهى الحَمْراء بنْت ضَمْرة فَلَمّا نَظَر إليها وإلَى حُمْرَتها قال لها إنِّي لَأحْسِبك أعْجَمِيّة فقالت لا والّذي اسْألُهأ أنْ يَخْفِض جَناحَك ويَهُدَّ عِمادَك ويَضَع وِسادك ويَسْلُبكَ بِلادَك ما انا بأعْجَمِيّة قال فَمن أنْتِ قالت أنا بِنْتُ ضَمْرة بن جابر سادَ مَعَدًّا كابراً عن كابرٍ وأنا أخْت ضَمْرة بن ضمرة قال فَمن زَوْجُك قالت هَوْذَةُ بن جَرْوَل قال وأيْنَ هو الآن أمَا تَعْرِفِين مَكانَه قالت هذه كِلمة أحْمَقَ لو كُنْتُ أعْلَمُ مكانه حالَ بَيْنَك وبَيْنِي قال وأيّ رَجُل هُو قالت هذه أحْمَقُ من الاولى أعَنْ هَوْذَة يُسْئلُ هُوَ والله طَيِّب العِرْق سَمِينُ العَرْق لا يَنام لَيْلَة يَخافُ ولا يشْبَع لَيْلَةَ يُضاف يَأكُل ما وَجَد ولا يَسْأل عَمّا فَقَد فقال عَمْرو أمَا والله لَوْلا أنِّي أخاف أنْ تَلِدِي مِثْل أبِيكِ واخِيك وزَوجِكِ لَاسْتَبْقَيْتُكِ فقالت وأنتَ والله لاتَقْتُل الا نِساء اعالِيها ثُدِيّ وأسافلها دُمِيّ والله ما أدْركْتَ ثارًا ولا مَحَوْتَ عارا وما مَنْ فَعَلْت هذِهِ به بِغافلٍ عنك ومَعَ اليَوْم غَد فَأمَر باحْرَاقِها فَلَمَّا نَظَرَت إلى النار قالت ألَا فَتًى مكان عَجُوز فَذَهَبَتْ مثلا ثم مكثت ساعةً فلم يَفْدِهَا أحَد فقالت هيهات صارَتْ الفِتْيانُ حُمَمًا فَذَهَبت مثلا ثم ألْقِيتْ في النّار ولَبِثَ عمرو

عَامَّة يَوْمِه لا يَقْدِر على أحَدٍ حتى اذا كان في آخر النَهار أقْبَلَ راكب يُسَمَّى عَمَّارا تُوضِعُ به رَاحِلَتُه حتى أنَاخ إليه فقال له عَمْرو مَن أنْتَ قال أنَا رَجُل من البَرَاجِم قال فما جاءَ بِكَ إلَيْنَا قال سطع الدُّخَان وكُنْت طَوَيْتُ مُنْذ أيَّام فَظَنَنْتُه طَعَاما فقال عمرو ان الشَّقيّ وافِدُ البَرَاجِمِ فذهَبَتْ مَثَلا وأمَرَ به فَأُلْقِيَ في النّار فقال بَعْضُهم ما بَلَغنا أنه أصَابَ مِن بَني تَمِيم غَيْرَه وانما أحْرَق النِساءَ والصِبْيَان وفي ذلك يقول جرير

وأخْزاكُم عَمْرو كما قد خَزِيتُمُ وأدْرَك عَمَّارًا شَقِيَّ البرَاجِمِ

ولذلك عُيرت بَنُو تَمِيم بحُبّ الطعام لِمَا لَقِيَ هذا الرجل قال الشاعر

اذا ما مات مَيْتٌ مِن تَمِيم فَسَرَّك أنْ يَعِيش فَجِئْ بِزاَد
بخُبْز أو بَلْحم أم بتَمْرٍ أو الشَئْ المُلَففَّ في البِجَاد
تَرَاه يُنَقّب الآفاق حَوْلا لِيَأكُلْ رَأس لُقْمان بْنِ عَادِ

عند جُهَيْنة الخَبَرُ اليَقِين

قال هِشام بن الكَلْبي كان مِن حَديثه أنّ حُصينَ بنَ عَمْرو بنِ مُعَاوِيَة بن كلَاب خرج ومَعَه رَجُلٌ مِن جُهَيْنَة يقال له الاخنس بن كَعْب وكان الاخنس قد أحَدث في قومه حَدَثا فخرج هاربا فلقيَه الحُصَيْن فقال مَنْ أنْتَ ثَكلَتْكَ أمُّك فقال له الاخنس بَلْ مَنْ أنت ثكلتك أمّك فردّد هذا

القَوْلَ حتى قال الاخنس أنَا الاخنس بن كَعْب فأخْبِرْني مَنْ أنْتَ وإلّا أنْفَذْتُ قَلْبكَ بهذا السِّنَان فقال له الحصين أنا الحصين بن سُبَيْع الغَطَفَانِي فقال له الاخنس فما الذي تريد قال خرجت لِمَا يَخْرجُ له الفِتْيان قال الاخنس وأنَا خَرَجْت لِمثْل ذلك فقال الحصين هَلْ لك أنْ نَتَعاقَدَا أنْ لا نلْقَى أحَدًا من عَشيرتك أو عَشِيرَتِي إلّا سَلَبْنَاه قال نَعَم فتعاقَدَا على ذلك وكِلَاهما فاتكٌ يَحْذَر صاحِبَه فَلَقِيَا رَجُلا فَسَلَبَاه فقال لهما هل لَكُما أن تَرُدّا علىَّ بَعْضَ ما أخَذْتُما منّي وأدُلُّكُما على مَغْنَم قالا نَعَمْ فقال هذا رَجُل مِن لَخْم قد قَدِمَ مِن عندِ بعض الملوك بِمَغْنم كثِير وهو خَلْفِي في موضع كذا وكذا فَرَدَّا عليه بعضَ مالِه وطَلَبا الَّلخْمِيّ فوجَدَنَاه نازِلا في ظِلّ شَجَرة قُدّامَه طَعَام وشَرَاب فَحَيَّيَاهُ و حَيَّاهُما و عَرَض عليهما الطَعَام فكَرِه كلُّ واحد أنْ يَنْزِلْ قَبْلَ صاحِبه فَيَفْتِك به فَنَزَلا جَمِيعا فَأكلا وشَرِبا مَعَ اللّخْمِيّ ثم انّ الاَخنس ذَهَبَ لبَعْض شَأنِه فرجَعَ واللخْمِيُّ يَتَشَحَّط في دَمِه فقال الجُهَنيّ وهو الاَخنس وسَل سيفَه لانّ سيف صَاحِبه كان مَسْلولا ويْحَك فَتَكْتَ بِرَجُل قد تَحَرَّمْنا بطعَامِه وشَرَابه فقال اقْعُدْ يا أخا جُهَينة فلِهَذَا وشِبْهِه خَرَجْنا فَشَربا سَاعة وتَحَدّثا ثم انّ الحُصَين قال يا أخا جُهَينة أتَدْرِي ما صَعْلة وما صَعْل قال الجهني هذا يومُ شُرْب وَأكْل فسكت الحُصَيْن حتى اذا ظنّ أن الجهني قد نسِى ما يُرَاد به قال ياَ أخا جُهَيْنَة هل أنتَ للطَّير زَاجِرٌ قال وما ذَاكَ قال ما تَقولُ هذه العُقَاب الكاسر قال الجهني وأيْنَ تَرَاها قال هِىَ ذِه وتَطَاوَلَ ورفَعَ رَأسه إلى السَمَاء فَوضَعَ الجُهَني بادِرةَ السيف في نَحْره فقال أنَا الزّاجِرُ والنّاحِر واحْتَوَى على مَتَاعِه ومتاع اللخمي وانْصَرَف راجعا إلى قَوْمه فَمَرّ ببَطْنَيْنِ

مِن قَيْس يُقَال لَهُما مَرَاحُ وأنْمَار فاذا هو بامْرَأةٍ تَنْشُد الحُصَين بن سبيع فقال لها مَنْ أنْتِ قالت أنا صَخْرة امرأة الحصين قال أنا قَتَلْتُه فقالت كَذَبْتَ ما مِثْلُك يَقْتُل مِثْلَه أمَا لَوْ لَمْ يكُن الحَيُّ خِلْوًا ما تَكَلَّمْتَ بهذا فانْصَرَف إلى قومه فَأصْلَح أمرهم ثم جاءهم فَوَقَفَ حيث يُسْمِعُهم وقال

وكَمْ مِن ضَيْغَم وَرْدٍ هَمُوسٍ ... أبِي شِبْلَيْن مَسْكَنُه العَرِينُ
عَلَوْتُ بَيَاضَ مَفْرِقِه بَعضْبٍ ... فأضْحَى في الفلاة لَهُ سُكونُ
وأضْحَت عِرْسُه ولَهَا عليه ... بُعَيْدَ هُدُوءِ لَيْلَتِها رَنِينُ
وكَمْمن فارسٍ لا تَزْدَرِيه ... اذا شَخَصَتْ لِمَوْقِعِه العُيُون
كصَخْرة إذْ تُسائِلُ في مَرَاح ... وأنْمَارٍ وعِلْمُهُما ظنُوُنُ
تُسائل عن حُصَين كُلَّ رَكْبٍ ... وعنْد جُهَينةَ الخَبَرُ اليَقِين
فَمَنْ يك سائلا عنه فعِنْدِي ... لِصَاحبه البَيَان المُسْتَبِينُ
جُهَيْنَةُ مَعْشَرِي وهُم مُلوك ... اذا طَلَبُوا المَعَالِي لم يَهُونوا

قال الاَصْمَعِيّ وابن الاَعْرابِي هو جفينة بالفاء وكان عِنْدَه خَبَر رجل مقتول وفيه يقول الشاعر

تُسائلُ عَن أبيها كُلَّ رَكْب ... وعند جُفَيْنَةَ الْخَبَرُ اليَقِينُ

قال فسألُوا جُفَيْنة فأخْبَرَهُم خَبَرَ القَتِيل وقال بعضهم هو حُفَينة بالحاء المهملة يُضْرَب في معرفة الشئ حقيقة

ويُرْوَى كِلَيْهِما أوّل مَن قال ذلك عَمْرو بن حُمْران الجَعْدِي وكان حُمْران رجـلا لَسِنا مَارِدًا وأنّه خَطَـب صَـدُوف وهـى امـرأة كانـت تأْبِـد الكَـلَام وتَـسْجَع فِي المنطِق وكانت ذات مالٍ كثير وقد أتاها قوم كثـير يخطبُونهـا فَـردّتْهم وكانـت تَتَعَنَّت خُطَّابَهَا فِي المسألة وتقول لا أتَزَوّج إِلّا مَنْ يَعْلَم ما أسْألُه عنه ويُجِيبُني بكلامٍ على حَدّه لا يَعْدُوه فلما انتهى إليها حُمْران قام قائما لا يجلـس وكـان لا يأتيها خاطبٌ الَّا جَلَس قبل إذْنِها فقالت مـا يَمْنَعُـك مـن الجلـوس قـال حتـى يُؤْذَنَ لِي قالت وهل عليك أمِير قال رَبّ المَنْـزل أحَـقّ بِفِنائِـه ورَبُّ المـاء أحَـقّ بِسقَائِه وكُلٌّ لَهُ مَا فِي وِعائِه فقالت اجْلِسْ فجلس قالت له ما أرَدْتَ قال حَاجَة ولم آتِكِ لَحَاجَة قالت تُسِرّها أمْ تُعْلِنها قال تُسَرّ وتُعْلَن قالت فما حَاجَتُك قـال قَضَاؤها هَيِّن وأمْرُها بَيِّن وأنْتِ بها أخْبَر وبِنُجْحها أبْصَر قالت فَأخْبِرْنِي بهـا قـال قد عَرَّضْتُ وان شِئْتِ بَيَّنْتُ قالـت مـن أنْـتَ قـال أنَـا بَـشَرٌ وُلِـدْتُ صَـغِيرا ونَشَأْتُ كبيرا ورأيت كثيرا قالت فما اسْمُك قال مَنْ شاء أحْدَث اسمًا وقـال ظُلْمًا ولم يَكُن الاسم عليه حَتْمًا قالت فَمَنْ أبوك قـال والـدِي الـذي وَلَـدَنِي ووَالدُه جَدِّي فلم يَعِشْ بَعْدِي قالت فما مَالـك قـال بَعْـضه ورِثْتُـه وأكْـثَره اكْتَسَبْته قالت فَمِمَّن أنْت قال مِن بَشَرٍ كثـيرٍ عَـدَدُه معـروف وَلَـدُه قَلِيـلٌ صُعُدُه يُغْنِيه أبَـدُه قالـت مـا وَرَّثَـكَ أبُـوك عـن أوَّلِيـه قـال حُـسْن الهِمَـم قالت فأيْنَ تَنْزِل قال على بِساط واسِع فِي بَلَد شاسع قِريبُـه بَعِيـد وبَعِيـده قَرِيب قالت فَمَنْ قَوْمُك قال الذين أنْتَمى إلـيهم وأجْنِـي علـيهم وَوُلِـدت

لَدَيهم قالت فَهَلْ لك امْرأةٌ قال لو كانت لِي لم أطْلُب غَيْرَها ولَمْ أضَيِّعْ خيْرَها قالت كَأَنَّك لَيْسَتْ لك لَيُقَال حَاجَة قال لو لم تكن لِي حاجة لم أُنِخْ بِبَابِك ولم أتَعَرّض لِجَوَابِك وأنَعَلَّق بأسْبابِك قالت انك لَحُمْرَان بن الاقرع الجَعْدي قال ان ذلك لَيُقَال فَزَوَّجَتْه نفسها وفَوَّضَت إليه أمْرَها ثم إنّها وَلَدَتْ له غُلَامًا فسمّاه عَمْرا فَنَشأ مَارِدا مُفَوَّهًا فلما أدْرَك جَعَله أبُوه رَاعيا يرعَى له الاِبل فَبَينا هو يوما اذ رُفِع إليه رجُل قد أضَرّ به العَطَش والسُغُوب و عَمْرٌو قاعد و بَيْنَ يَدَيِه زُبد و تَمْر وتَأمكٌ فدنا منه الرَجُل فقال أطْعِمْنِي من هذا الزُبْد والتامِك فقال عمرو نَعَمْ كِلَاهُمَا وتَمْرًا فأطْعَمَ الرَجُل حتى انْتَهى وسَقَاهُ لَبَنًا حتى رَوِىَ وأقام عنده أيّامًا فذَهَبَتْ كَلِمتُه مَثَلًا ورَفَع كِلَاهما أي لَكَ كلَاهما ونَصَبَ تمرا على معنى وأزِيدُك تمرا ومن رَوَى كِلَيْهما فانما نَصَبَه على معنى أطْعِمُك كليهما وتمرا وقال قَوْمٌ مَنْ رَفَعَ حَكَى انّ الرَجُل قال أنِلْنِي ممّا بَيْنَ يَدَيك فقال عَمْرو أيُّما أحَبّ إليك زُبْدٌ أمْ سَنَام فقال الرجل كلاهما وتمرا أي مطلوبي كلاهما وأزِيد مَعَهما تمرا أو وَ زِدْنِي تمرا

ان المُنْبَتّ لا أرْضًا قَطَع ولا ظهْرًا أبْقَى

المُنْبَتّ المُنْقَطِع عن أصحابه في السَفَر والظَهْرُ الدابّة قاله عليه الصلاة والسلام لرجل اجْتَهَد في العبادة حتى هَجمَتْ عَيْنَاه أي غَارَتَا فلما رآه قال له ان هذا الدِّينَ مَتِين فأوْغِلْ فيه بِرِفْقٍ انّ المُنْبَتّ أي الذي يَجِدُّ في

سَيْره حتى يَنْبَتّ أخيرا سَمّاه بما تَؤُول إليه عَاقِبَتُه كقوله تعالى " انّك مَيّتٌ وإنّهم مَيِّتُون " يُضرَب لمن يُبَالغ في طلب الشئ و يُفْرِط حتى رُبَّما يُفَوِّته على نَفْسه

انّ الدّوَاهي في الآفات تَهْتَرِس

ويُرْوَى تَرْتَهِس وهو قَلْبُ تَهْتَرِس من الهَرْس وهو الدَّقَ يعني أن الآفات يَمُوج بَعْضُها في بعض ويَدُقّ بعضُها بعضا كَثْرَةً يُضْرَب عند اشتداد الزمان واضطراب الفِتَن وأصْلُه أنّ رجلا مَرّ بآخر وهو يقول يا رَبّ إمّا مُهْرَةً أو مُهْرًا فأنكَرَ عليه وقال لا يكون الجَنِين الّامُهْرَة أو مُهْرا فلما ظَهَر الجنين كان مُشَيّأ الخَلْقِ مُخْتَلِفَه فقال الرجل عند ذلك

قد طَرَّقَتْ بِجَنين نصفُه فَرَس ان الدّواهيَ في الآفات تهترس

انّ البَلَاء مُوَكّل بالمَنْطق

قال المُفَضّل يقال انّ أوّلَ مَن قال ذلك أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه فيما ذَكَره ابن عباس قال حَدَّثَنِي علِيّ بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه لَمَّا أُمِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنْ يَعْرِض نَفْسه على قبائل العَرَب خرج وأنا مَعَه فَدَفَعْنا إلى مجلس من مجاس العرب فتقدم أبو بكر وكان نَسَّابَةً فسَلَّم فرَدُّوا عليه السلام فقال ممّن القوم قالوا من رَبيعة

فقال أمِن هَامَتِها أمْ من لَهَازِمها قالوا مِن هَامِتها العُظْمَى أنْتُم قالوا ذُهْل الأكْبَر قال أفمِنكم عَوْف الذي يقال له لاحُرّ بِوَادِي عَوْف قالوا لا قال أفمِنكم بِسْطَام ذو اللِّواء ومُنْتَهى الاَحْيَاء قالوا لا قال أفَمِنكم جَسَّاس بن مُرَّة حَامِي الذِّمَار ومانِع الجَار قالوا لا قال أفمِنكم الحَوْفَزَان قاتِل المُلُوك وسالِبُها أنْفُسَها قالوا لا قال أفمنكم المُزْدلِف صاحب العِمَامة الفَرْدة قالوا لا قال فأنْتُم اخْوَال المُلُوك مِن كِنْدَة قالوا لا قال فَلَسْتُم ذُهْلا الأكْبَر أنْتُم ذُهْل الاَصْغَر فقام إليه غُلَام قد بَقَل وَجْهُه يقال له دَغْفَل فقال

انّ على سائِلنا أنْ نَسْألَهُ العِبْءُ لا تَعْرِفه أو تَحْمِلَهْ

يا هذا انك قَدْ سَألْتَنا فلم نكْتُمْك شيأ فَمنِ الرَجُل أنْتَ قال رجل من قُرَيش قال بَخ بَخْ أهْلُ الشَرَف والرآسة فمِن أيّ قُرَيش أنت قال مِن تَمِيْم ابن مُرَّة قال أمكَنْتَ والله الرامِىَ مِن صَفَا الثُغْرة أفمِنكم قُصيّ بن كِلاب الذي جَمَع القَبائل من فِهْر وكان يُدْعى مُجَمِعّا قال أفمنكم هاشم الذي هشم الثَرِيد لقَومه ورِجال مكّة مُسْنِتُون عِجَافٌ قال لا قال أفمنكم شَيْبَةُ الحَمْدِ مُطْعِمُ طَيْر السَمَاء الذي كأنّ فِي وَجْهِه قَمَرًا يُضِئ لَيْلَ الظلام الداجِي قال لا قال أفَمِن المُفِيضِين بالناس أنت قال لا قال أفمن أهْل النَدْوَة أنت قال لا قال أفمن أهْل الرِفَادة أنت قال لا قال أفمن أهل الحِجَابة أنت قال لا قال أفمن أهل السِقَاية أنت قال لا قال واجْتَذَب أبو بكر زِمَامَ ناقَتِه فَرَجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دَغْفَل صادَفَ دَرْءُ السَّيْل دَرْأ يَصْدَعُه أمَا والله لو ثَبَتَّ لَأخْبَرْتُك أنك من

زَمَعَات قريش أوْ مَا أنَا بدَغْفَل قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليّ قُلْتُ لأبي بكر لقد وَقَعْتَ من الاعرابي على بَاقِعة قال أجَلْ إنّ لِكُلّ طَامَّة طَامَّة وانّ البَلَاء مُوَكَّل بالمَنْطِق وفي قِصَّة المَثَل أمثال قوله (لا حُرَّ بوادي عَوْف) يُتَمثَّلُ به في هضم من يتَعَاظَم بنَواحي من يَقْدِر على قهْره وقوله (انّ عَلَى سائلنا أن نسأله) ومَحَلّ التَمَثّل به ظاهر وقوله (والعِبء لا تَعْرِفه أو تَحْمِلَه) يُتَمَثّل به في طَلَب الاختبار وتَرْكِ الِاكتفاء بما يَبْدو فان الشئ الذي تُرِيد حَمْلَه فيكونُ عِبْأ رُبَّما يكون كبيرا في النَظَر خفيفا في الوَزْن وربما كان ثَقِيل الوَزْن وهو صغِير الحَجْم

انْ تَرد الماءَ بماء أكْيَسُ

يُتمثَّل به عند الأمْر بالِاقتصاد في المعيشة والمحافَظَة على قَلِيلة وان كان واثِقا بحُصُول كثير له في المستقبل وأصْلُه في المسافر عَرَف قُرْبَه من المَنْهَل فأسْرَفَ في استعمال ما حَمَل من الماء

انّما يُعَاتَب الآديم ذو البَشَرَة

المُعاتَبة المُعاوَدَة وبَشَرة الأدِيم ظاهرهُ الذي عليه الشَّعر أي انما يُعاد إلى الدّبَاع من الأديم ما سَلِمتْ بَشَرتُه يُضْرَبُ لمَنْ فيه مُرَاجَعة ومُسْتَعْتَب قال

الآَصْمَعِيّ كُلّ ما كان في الأدِيم مُحْتَمَلٌ ما سَلِمَت البَشَرة فـاذا نَغِلَـت البَـشَرة بَطَل الأدِيم ومِن هُنا أُخِذ العِتَاب بين الاخوان لذكر الهَفَـوات ثـم الاْعتِـذار أو الاْعتِراف والمُسَامحة والعَوْد إلى المُصَافاة فيكون ذلك بمنزلة دَبْـغ الجِلْـد لازالـة فَضَلاته

انّ العَصَا قُرعَت لذي الْحِلْم

قيل ان أوَّلَ مَن قُرِعت له العصا عَمْرو بن مالـك بـن ضُـبَيْعَة أخـو سَـعْد ابـن مالك الكناني وذلـك ان سـعدا أتى الـنعمانَ بـنَ المنـذر ومعـه خَيـل لـه قادَهـا وأخرى عَرّاها فقيل له لِمَ عَرَّيْتَ هذه وقُدْتَ هذه قال لم أقُـدْ هـذه لأمْنَعَهـا ولم أعِرّ هذه لِاَهَبَهَا ثم دخل على النعمان فسأله عن أرضه فقـال أمـا مَطَرُهـا فَغَزير وأما نَبْتُها فكثير فقال له النعمان انّك لَقَوّال وان شئت أتَيْتُـك بمـا تَعْيَـا عن جوابه قال نعـم فَـأمَر وَصـيفا لـه أن يَلْطِمَـه فَلَطَمَـه لَطْمـه فقـال مـا جواب هذه قال سَفِيهٌ مَأْمَورٌ قال الْطِمْه أخْرَى فَلَطَمه قال ما جواب هـذه قال لو أُخِذ بالأُولىَ لم يَعُدْ للأُخْرى وانمـا أرَاد الـنُعمان أن يَتَعَـدّى سَـعْد في المَنْطِق فَقَتْلُه قال الْطِمْه ثالِثَةً فَلَطَمَه قال ما جوابُ هذه قـال رَبُّ يُـؤَدّب عَبْدَة قال الطِمْه أخْرى فَلَطَمَه قال مـا جـواب هـذه قـال مَلكْـتَ فأْسِـجح فَأرْسَلها مـثلا قـال الـنعمان أصَـبْتَ فامكُـث عنـدي وأعْجَبَـه مـا رَأى منـه فمكث عنده ما مَكَثَ ثم بَدَا للـنعمان أن يَبْعَـث رائـدا فبعَـث عَمْـرا أخَـا سَعْد فأبطَأ عليه فأغْضَبَه ذلك فأقـسمَ لـئِن جـاء ذَامًـا للْكَـلأ أو حامـدًا لـه

لَيَقْتُلَنَّه فقدم عمرو وكان سعد عند الملك فقال سعد أتأذَنُ أنْ أُكَلِّمه قال اذَنْ يُقْطَع لِسانُك قال فأُشِيرِ إليه قال اذَنْ تُقْطَع يَدُك قال فأقْرَع له العصا قال فاقْرَعْها فتَنَاول سعد عَصَا جَلِيسه وقَرَعَ بعَصَاه قَرْعَةً واحدة فعَرَفَ أنه يقول له مَكَانَك ثم قرع بالعصا ثلاث قَرَعَات ثم رَفَعَها إلى السماء ومَسَحَ عصاه بالارض فعَرَف أنه يقول له لَمْ أجدْ جَدْبا ثم قرع العصا مِرَارًا ثم رَفَعَها شيأ وأوْمَأ إلى الارض فعَرَف أنه يقول ولا نَبَاتاً ثم قرع العصا قَرْعَة وأقبل نحو المَلِك فعرف أنه يقول كَلِّمْه فأقْبَلَ عَمْرو حتى قام بين يدي الملك فقال له أخْبِرْني هل حَمِدْتَ خصْبًا أو ذَمَمْتَ جَدْبا فقال عمرو لم أذْمُم هُزْلا ولم أحْمَدَ بَقْلا الارضُ مُشْكلة لا خِصبُها يُعْرَف ولا جَدْبُها يُوصَف رَائدُها واقِف ومُنْكِرُها عارِف وآمِنُها خائف قال المَلِك أوْلَى لك فقال سعد بن مَالك يذكر قرع العصا

قَرَعْتُ العصَا حتى تَبَيَّن صاحبي ولم تَكُ لولا ذَاكَ في القَوْم تُقْرَعُ
فقال رَأيْتُ الارض لَيْسَتْ بمُمْحِلٍ ولا سارِح فيها على الرَعْي يَشْبَع
سَوَاء فلا جَدْب فَيُعْرَف جَدْبُها ولا صَابَها غَيْث غزير فتَمْرَع
فَتَحْيَا بها حَوْبَاء نفسٍ كَرِيمَة وقد كادَ لولا ذاك فيهم يُقَطَّع

هذا قول بعضهم وقال آخرون في قولهم ان العصا قُرِعت لذي الحِلْم ان ذَا الحِلم هذا هو عَامِرُ بن الظَرِب العَدْوَاني وكان من حُكماء العرب لا تَعْدل بفَهْمه فَهْمًا ولا بحُكْمه حُكْما فلما طَعَن في السّنّ أنْكَرَ مِن عَقْلِه شيئا فقال لِبَنيه انه قد كَبِرَتْ سِنّي وعَرَض لي سَهْو فاذا رأيتموني خرجت من كلامي وأخذت في غيره فاقْرَعُوا لِي المِجَنَّ بالعَصَا وقيل كانت له

جارية يقال لها خُصَيْلة فقال لها اذا أنا خُولِطْتُّ فاقْرَعي لي بالعصا وأَتِي عامر بخُنْثَى ليَحْكُمَ فيه فلم يَدْر ما الحُكْم فجعل يَنْحَرُ لهم ويُطْعمهم و يُدَافِعهم بالقضاء فقالت خُصَيلة ما شأنُك قد أتْلَفْتَ مالك فخبرّهَا أنّه لا يَدْري ما حُكْم الخُنْثي فقالت أتْبِعْه مَبَالَهُ قال الشَعْبِي فحدَّثني ابن عباس بها قال فلما جاء الله بالاسلام صارت سُنّة فيه وعامر هو الذي يقول

أرَى شَعَراتٍ عَلى حاجِبَيَّ بِيضًا نَبَتْنَ جميعا تُؤَامَا
ظَلِلْت أُهَاهِي بهنّ الكَلا بَ أحْسبهنّ صُوَارًا قِيَامَا
وأحْسِب أنْفِي اذا مَا مَشَيْ تُ شَخْصًا أمَامِي رَآنِي فَقَامَا

يقال انه عاش ثلثمائة سنة وهو الذي يقول

تقول ابْنتي لَمَّا رَأتْنِي كَأنّني سَليمٌ اَفَاع لَيْله غَيْرُ مُودَع
ومَا المَوتُ أفْنَانِي ولكن تَتابَعَتْ عَلَيَّ سِنُونٌ من مَصِيف ومَرْبَع
ثَلَاثُ مئين قد مَرَرْنَ كَوَامِلًا وها أنَا هذا أرْتَجِي مَرَّ أرْبَع
فأصْبَحْت مِثل النَسْر طارت فِراخُه اذا رامَ تَطْيَارًا يُقَال له قَعِ
أُخَبِّر أخْبَارَ القُرُون التي مَضَتْ ولابُدّ يَوْمًا أنْ يُطَارَ بِمَصْرَعي

قال ابن الاعرابي أوّل مَن قُرِعَت له العَصا عامِر بنُ الظرِب العَدْواني وربيعةُ تقول بل هو قَيس بن خالد بن ذي الجَدَّيْن وتَمِيم تقول بل هو ربيعة بن مُخاشِن أحد بني أسِيد ابن عمرو بن تميم واليَمَن تقول بل هو عمرو بن حُمَمَةَ الدَوْسِي قال وكانت حُكّام تميم في الجاهلية أكْثَم بن صَيْفيّ وحاجِب بن زُرَارَةَ والأقْرَع بن حَابِس ورَبِيعة بن مُخَاشِن وضَمْرة ابن ضَمْرة غير أنّ ضَمْرة حَكم فأخذ رِشْوة فغَدَر. وحُكّام قَيس عامر بن

الظَرِب وغَيْلان بن سَلَمة الثَقَفْي وكانت له ثلاثة أيام يَوْم يحكُم فيه بين الناس ويوم يُنْشد فيه شِعْره ويوم ينظر فيه إلى جَمَاله وجاء الاسلام وعنده عَشْر نِسْوة فخيَّره النبي صلى الله عليه وسلم فاختار أرْبَعًا فصارت سنّة. وحُكّام قُرَيش عبد المُطَّلِب وأبو طالب والعاصي بن وَائِل. وحَكِيمات العَرَب صَخْرة بنت لُقْمان وهِند بنْتُ الخُسّ وجُمُعَة بنت حابس وابنة عامر بن الظرب الذي يقال له ذو الحِلْمِ قال المُتَلَمِسّ يُرِيدُه

لِذِي الحِلْم قَبْلَ اليَوْم ما تُقْرع العَصَا   وما عُلِّم الانْسان إلّا لِعَلَمَا

والمَثَل يُضْرب لِمَن اذا نُبّه انْتَبه

أيَّاك أعْني واسْمَعي يا جَارَة

أول من قال ذلك سَهْل بن مالك الفَرَازِيّ وذلك أنه خرج يريد النعمان فمرّ ببعض أحْياء طَيِّئ فسأل عن سيّد الْحَيّ فقيل له حارثة بن لَأم فَأمَّ رَحْلَه فلم يُصِبْه شاهدا فقالت له أُخْتُه انْزِل في الرَّحْب والسَعَة فَنَزَل فأكْرَمَتْه ولاطَفَتْه ثم خَرَجَتْ مِن خِبَائها فَرَأى أجْمَل أهْلِ دَهْرَها وأكْمَلَهم وكانت عَقِيلةَ قَوْمِها وسيّدة نِسائها فوقَعَ في نفسه منها شئ فجعل لا يَدْرِي كيف يُرسِل إليها ولا ما يُوَافِقها من ذلك فَجَلس بِفِناء الخِباء يوما وهى تسمع كلامه فجعل ينشد ويقول

يا أُخْت خَيْر البَدو والحَضَارَةْ   كَيْفَ تَرَيْنَ في فَتَى فَزَارَة

أصْــبَحَ يَهْــوي حُـــرَّة مِعْطَـــارَة   ايّــاكِ أعْنِــي واسْــمعِي يَــا جَــارَة

فلما سمِعت قولَه عَرَفَت أنّه ايّاها يَعْني فقالت ماذا بقَوْل ذِي عَقْل أرِيب ولا رأيٍ مُصِيب ولا أنْفٍ نَجيب فَاقِم مَا أقَمْت مكْرُمَا ثم ارْتَحِل متى شئتَ مُسَلَّما ويقال أجَابَتْه نَظْمًا فقالت

انّي أقـــول يـــا فَتَـــى فَـــزَارَةْ   لا أبْتَغـــي الـــزَوْجَ ولا الـــدّعَارَةْ

ولا فِـــرَاقَ أهـــل هـــذِي الجـــارَةْ   فارْحَـــلْ إلى أهْلِـــك باســـتِخارَةْ

فاسْتَحْيا الفَتَى وقال ما أرَدْت مُنْكَرا واسَوْأتَاه قالت صَدَقْت فكأنها اسْتَحْيا من تَسَرُّعِها إلى تُهَمَته فارْتَحَل فأتى الـنُعمانَ فَحَيّـاه وأكْرَمَـه فلـما رَجَـع نَـزَلَ عـلى أخِيها فَبَيْنَا هو مُقِيم عندهم تَطَلَّعَتْ إليه نفسُها وكان جَمِيلا فأسَلَتْ إليـه أن اخْطُبْني ان كانَ لك إليّ حاجَة يَوْما من الدهْر فانِّي سَريعةٌ إلى ما تُريد فَخَطَبها وتَزَوّجَها وسارَ بها إلى قَوْمِه يُضْرَب لِمَن يَتَكَلَّم بكلام ويُرِيد به شيئا غَيْرَه

انْ كُنْتَ كَذُوبا فَكُنْ ذَكُورًا

يُضْرَب للرَجُل يكذِب ثم يَنْسَى فَيُحَدِّث بخلاف ذلك

يعني اذا اشْتَرَيت فاذكر البَيْع لِتَجْتَنِب العُيُوب

بَلــَغَ السَيْـل الزُّبَى

هى جمع زُبْية وهـى حُفْـرة تُحْفَـر للأَسَـد اذا أرادُوا صَـيْدَه وأصْـلُها الرَّابِيـة لا يَعْلُوها الماءُ فاذا بَلَغَها السّيْل كان جَارِفا مُجْحِفا يُضْرَب لِمن جَـاوَزَ الحَـدّ قـال المُؤَرَّج حدّثني سعيد بن سِمَاك بن حرب عـن أبيـه عـن ابـن المُعْتَمِـر قـال أَتى مَعاذ بن جبل بثلاثة نَفَر قَتَلَهُم أسَد في زُبْيَة فلم يَدْر كيف يُفْتِيهم فسأل عَليًّا رضى الـلـه عنه وهو مُحْتَب بِفِناء الكَعْبة فقال قُصّوا عَلَيّ خَـبَركُم قـالوا صِـدْنا أسدا في زُبْيَة فاجْتَمَعْنا عليـه فتَـدافعَ النـاسُ عليـه فَرَمَـوْا برَجُـل فيهـا فَتَعَلّـق الرجُلُ بآخَرَ فَهَوَوْا فيها ثَلَاثَتُهُم فَقَضَى فيها عَليّ رضى الـلـه عنه أنّ للاوّل رُبَـع الدِّيَة وللثاني النصف وللثالث الديَة كُلّها فأخْبرَ النبيّ صلى الـلــه عليـه وسـلم بقَضَائه فقال لَقَدْ أرْشَدَك الـلـه للحقّ

العَين المُعَايَنَة يُضْرَب لمن تَرَك شيئا يَـرَاه ثـم تَبِـع أثَـرَه بعـد فَـوْت عَيْنِـه قـال البَاهِلي أوّلُ من قال ذلك مَالك بن عمرو العَامِلي وفي كتاب أبي عُبَيد مالك بن عمرو البَاهِليِّ قال وذلك انّ بعض مُلُـوك غَـسَّان كـان يَطْلُـب في عَامِلَـةَ ذَحْـلا فأخَذ منهم رَجُلَين يقال لهما مالِك وسِمَاك ابْنَا عَمْرو فاحْتَبَـسَهُما عنـده زَمَانًـا ثم دَعَاهُما فقال لَهُما انّي قَاتِلٌ أحَدَكُما فأيّكُما أقْتُـل فَجَعَـل كُـلّ واحـدٍ مـنْهُما يقول اقْتُلْني مَكان أخي فلما رَأى ذلك قَتَـل سِـمَاكا وخَـلّى سـبيل مَالِـكٍ فقـال سِمَاك حين ظَنَّ أنه مَقْتُول

أَلَا مَـــنْ شَـــجَتْ لَيْلَـــةٌ عَامِـــدَهْ **كَـــما أبَـــدًا لَيْلَـــةٌ واحـــدَه**
فـــأبْلِغْ قُـــضَاعَةً إن جئْـــتَهُم **وخُـــصَّ سَرَاةَ بَنـــي سَـــاعَدَهْ**
وأبْلِـــغ نِـــزَارا عـــلى نَأيِهـــا **بـــأنّ الرمَـــاح هـــى العَائـــده**
وأقْـــسِمُ لَـــوْ قَتَلُـــوا مالِكـــا **لَكُنْـــتُ لَهُـــمْ حَيَّـــةً رَاصِـــدَه**
بـــرَأس سَـــبيلٍ عـــلى مَرْقَـــبٍ **ويومًـــا عـــلى طُـــرقُ وارِدَه**
فـــأمُّ ســـماكٍ فـــلا تَجْزَعـــي **فَللْمَـــوْت مـــا تَلِـــد الْوَالـــدَه**

وانصرف مالك إلى قومه فلبث فيهم زمانا ثم ان رَكْبـا مَـرُّوا وأحَـدُهُمْ يَتَغَنّـى بهذا البيت

وأَقْـــسم لـــو قَتَلُـــوا مَالِكـــا **لكنـــتُ لهـــم حَيَّـــة راصـــده**

فسمعت بذلك أَمّ سِمَاك فقالت يا مَالِك قَبّح الـلـه الحَياةَ بَعـدَ سِـمَاك اخْـرُجْ في الطَلَب بأخيك فَخَرَج في الطَلَب فَلَقيِ قَاتِلَ أخيه يَـسير في نـاسٍ مـن قومـه فقال مَنْ أحَسّ لِي الجَمَلَ الأحْمَرَ فقالوا لَه وعَرَفوه يا مَالكُ لَكَ مِئَةٌ مِـن الاِبِـل فَكُفّ فقال لا أطْلُب أثَرا بعد عَين فـذهبت مـثلا ثـم حَمَـل عـلى قاتِـل أخيـه فَقَتَله وقال في ذلك

يـــا رَاكبَـــا بَلِّغَـــا ولا تَـــدَعَا ... بَنـــي قُمَـــيْر وانْ هُمُـــوا جَزِعُـــوا
فَلْيَجِـدُوا مثـل مـا وَجَـدْتُ فَقَـدْ ... كُنْـــتُ حَزِينـــا قـــد مَـــسّني وَجَـــعُ
لا أسْـمَعُ الـلـهوَ في الحـديث ولا ... يَنْفَعُنـــي في الفـــراشِ مُـــضْطَجَعُ
لَاوَجْـدَ ثَكْـلى كـما وَجَـدْتُ ولا ... وَجْـــدَ عَجُـــولٍ أضَـــلَّها رُبَـــعُ
ولا كبـــير أضَـــلَّ ناقَتَـــه ... يَـــوْمَ تَـــوافَى الحَجِـــيجُ واجتمعـــوا
يَنْظُـــرُ في أوْجُـــه الرِكَـــاب فـــلا ... يَعْـــرِف شـــيئا والوجْـــهُ مُلْتَمِـــع
جَلَّلْتُـــه صَـــارِمَ الحَديـــدَة كـــالْ ... مِلْـــحِ وفيـــه سَفَاسِـــقٌ(1)[4] لُمَـــعُ
بَـــيْنَ ضُـــمَيْر وبـــاب جِلِّـــق في ... أثوابـــه مـــن دمائـــه بَقَـــعُ
أضْرِبُـــه بَادِيَـــا نَوَاجِـــدُه ... يَـــدْعُو صَـــدَاهُ والـــرَّأس مُنْـــصَدِع
بَنـــي قُمَـــيْر قَتَلْـــتُ سَـــيِّدَكُم ... فـــاليومَ لاَرَنّـــة ولا جَـــزَع
فـاليوم قُمْنـا عـلى الـسَوَاءِ فـانْ ... تَجْـــوَوْا فَـــدَهْري ودَهْـــرُكم جُـــرَع

[4] (1) السفاسق جمع سفسقة بفتحتين أو كسرتين بينهما سكون فرند السيف وهى نقاط تلمع في صفائه

قال يونُس كان رَجُلَانِ يَتَعَشّقَانِ امرأةً وكان أحَدُهما جَمِيلا وَسِيما وكان الآخر دَمِيما تَقْتَحِمه العَين فكان الجَميلُ منهما يقول عَاشِرِينا وانْظُري إلينا وكان الدَميم يقول جَاوِرِينا واخْبُرينا فكانت تُدْنى الجميل فقالت لأَخْتَبِرَنَّهُما فقالت لكل واحد منهما أن ينحر جَزُورًا فَأَتَتْهُما مُتَنكّرة فَبَدَأتْ بالجَميل فَوَجَدَتْه عند القِدْر يَلْحَس الدَسَم ويَأكُلُ الشَحْم ويقول احتفِظوا كُلّ بَيْضَاءَ لِيَهْ يعني الشَحْم فاسْتَطْعَمَتْه فأمَرَ لها بِثِيل الجَزُور فَوُضِع في قَصْعَتها ثم أتَتْ الدَمِيم فاذا هو يَقْسِم لَحْم الجَزُور ويُعْطِي كُلّ مَنْ سأله فَسَأَلَتْه فأمَرَ لها بأطايِب الجَزُور فَوُضِع في قَصْتَها فَرَفَعَت الذي أعْطَاها كُل واحدٍ منهما على حِدَةٍ فلما أصْبحَا غَدَوْا إليها فَوَضَعَتْ بين يَدَيْ كُلِّ واحدٍ منهما ما أعْطَاها وأقْصَت الجَميل وقَرَّبت الدَميم ويقال انها تَزَوَجَته يُضْرَب في القَبيح المَنْظَر الجَميل المَخْبَر

الجَرْعُ أرْوَى والرَشيفُ أنْقَعُ

الرَشْف والرَشيف المَصّ للماء والجَرْع بَلْع والنَقْع تَسْكين الماء للعَطش أي أنّ الشَّراب الذي يُتَرَشّف قليلا قليلا أقْطَعُ للعَطش وأنْجَع وان كان فيه بُطْء وقوله أروى أي أسْرَع رِيًّا وقوله أنْقع أي أثْبَت وأدْوَم رِيًّا من قولهم

سُمٌّ ناقع أي ثابِت يُضْرَبُ لِمَنْ يَقَع في غَنِيمـة فَيُـؤْمَرُ بالمُبَـادَرَة والاقتِطـاعِ لِمَا قَدَر عليه قبل أن يأتِيَه مَن يُنَازِعه وقيل معناه ان الاقتـصاد في المَعِيـشة أبْلَـغ وأدْوَم من الإِسراف فيها

الجَارُ ثُمَّ الدَّارُ

هذا كقولهم الرّفيق قبل الطَرِيق وكلَاهُما يُرْوَى عـن النبـي صلى اللـه عليـه وسلم قال أبو عُبَيد كان فُقَهاء أهل الشام يُحَدِّث بهذا الحديث ويقول معنـاه اذا أرَدْتَ شِراء دارٍ فَسَلْ عن جِوَارِها قبل شِرائها

حَسْبُكَ من شَرّ سَمَاعُه

أي اكْتَـفِ مـن الـشَرّ بـسَمَاعه ولا تُعايِنْـه ويجـوز أن يُريـد يَكْفيـك سـماعُ الشَرّ وان لم تُقْدِم عليه ولم تُنْسَب إليه قال أبو عبيد أخْبَرَني هشَام بن الكَلْبـي أنّ المَثَل لأمّ الرَبيع ابـن زِيَـاد العَبْـسِيّ وذلـك أن ابْنَهـا الرَبيـع كـان أخـذ مـن قيس بن زُهَير بن جَذِيمـة دِرْعـا فَعَـرض قـيس لأمّ الربيـع وهـى عـلى رَاحِلتهـا في مَـسِير لهـا فـأرَادَ أنْ يَـذْهب بهـا لَيرْتَهِنَهـا بالـدّرْع فقالـت لـه أيْـن عَـزَب عَنْكَ عَقْلُك يا قيس أتُرَى بَني زيَاد مُصَالحِيك وقد ذَهَبْت بأمّهم يَمينـا وشـمالا وقال النـاس مـا قـالوا أو شـاؤُا وانّ حَـسْبَك مِـن شَرٍّ سَـمَاعُه فَـذَهَبَتْ كَلِمَتُهـا

مَثَلاً تقول كَفَى بالمَقَالَة عَارًا وان كان باطلا يُضْرَب عند العَارِ والمَقَالة السيّئة وما يُخَاف منها وقال بعض النساء الشواعر

سَائل بِنَا في قَوْمِنا　　　ولْيَكْفِ مِن شَرٍ سَمَاعُهْ

وكان المُفَضّل فيما حُكِي عنه يَذْكُر هذا الحَديث ويُسَمّي أمّ الرَبيع ويقول هى فاطمة بنتُ الخُرْشُب من بني أنْمار بن بَغِيض

حِلْمي أصَمٌّ وأُذْني غَيْرُ صَمَّاءِ

أي أَعْرِض عن الخَنا بحِلْمي وان سَمِعْتُه بأذُني

حَسْبُكَ من غِنىً شِبَعٌ وَرِيّ

أي اقْنَعْ من الغِنى بما يُشْبعك ويُرْوِيك وجُدْ بما فَضَل وهذا المثل لامرئ القيس يَذْكر مِعْزًى كانت له فيقول

اذا ما لم تَكُنْ إِبِلُ فَمِعْزًى　　　كَأنّ قُرُون جلّتها العِصِيُّ

فَتَمْلأُ بَيْتَنا أقِطا وسَمْنا　　　وحَسْبُك مِن غِنًى شِبَع ورِيُّ

قال أبو عبيد وهذا يحتمل معنيين أحدهما يقول أعطْ كلَّ ما كان لك وراءَ الشِبع والرِيّ والآخَرُ القَنَاعة باليسير يقول اكتف به ولا تَطْلُب ما سِوَى ذلك والاوّل الوَجْه لقوله في شِعْر له آخَرَ وهو

ولو أنّما أسْعَى لأدْنَى مَعيشة كفاني ولم أطْلُبْ قليلٌ من المال
ولكنّما أسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّل وقد يُدْرِك المَجْدَ المُؤَثَّلَ أمْثَالي
وما المَرْء مادامَتْ حُشَاشَة نَفْسه بمُدْرِك أطْرَاف الخُطوبِ وَلَا آلِ

الحَدِيثُ ذُو شُجُون

أي ذو طُرُق الواحد شَجْن بسكون الجيم والشَوَاجِن أوْدِيَةٌ كثيرة الشجَر الواحدة شَاجِنة وأصْل هذه الكلمة الاتصال والالتفاف ومنه الشجنة والشِجْنة الشَجَرة المُلْتَفّة الاَغْصان يُضرب هذا المثل في الحديث يُتَذَكَّر غَيْرُه وقد نظم الشيخ أبو بكر علي بن الحسين القِهِستاني هذا المَثَل ومَثَلا آخَرَ في بيت واحد وأحسَنَ ما شاء وهو

تَذَكَّرَ نَجْدًا والحَديث شُجُون فَجَنّ اشتياقا والجُنُون فُنُون

وأوّل مَن قال هذا المثل ضَبّة بن أدٍّ بن طابِخَة بن اليْاس بن مُضَرَ وكان له ابْنَانِ يُقال لأحَدِهما سَعْد وللآخَر سُعيد فَنَفَرت إبِل لِضَبّة تحت الليل فوجّه ابْنَيه في طَلَبها فتَفَرّقا فَوَجَدَها سَعْد فَرَدَّها ومَضَى سُعَيد في طَلَبِها فلَقِيَه الحارث بن كَعْب وكان على الغلام بُرِدْانِ فسأله الحارث إيّاها فأبَى

عليه فَقَتَله وأخذ بُرْدَيْه فكان ضَبّة اذا أمسى فَرأى تَحْت الليل سوادًا قال أسَعْد أمْ سُعَيد فذهب قوله مثلا يُضْرب في النَجَاح والخَيْبة فمكَثَ ضَبَّة بذلك ما شاء الله أن يَمْكُث ثم انه حَجَّ فَوَافَى عُكَاظَ فَلَقِىَ بها الحارثَ بن كَعْب ورَأى عليه بُرْدَى ابْنِه سُعَيد فَعَرَفَهُما فقال له هل أنْتَ مُخْبِري ما هذان البُرْدَانِ اللَّذان عليك قال بَلَى لَقِيتُ غُلَاما وهُمَا عليه فسألتُه ايَّاهُما فأبَى عَلَىّ فَقَتَلْتُه وأخَذْت بُرْدَيه هذين فقال ضَبّة بسَيِفك هذا قال نعم فقال فأعْطِنِيه أنْظُر إليه فاني أظُنُّه صارِما فأعطاه الحارث سيفَه فلما أخَذَه من يَده هَزّه وقال الحديث ذُو شُجون ثم ضَرَبه به حتى قَتَله فقيل له يا ضَبّة أفِي الشَهْر الحرام فقال سَبَق السّيفُ العَذَل فهو أول من سارت عنه هذه الامثال الثلاثة قال الفرزدق

لا تأمَنَنَّ الحَرْبَ انّ اسْتعارَها كَضَبّة اذْ قال الحديث شُجُون

خطبة أبي بكر الصديق رضى الله عنه يوم السَّقِيفة

حمد الله وأثننى عليه ثم قال

أيُّها الناس نحنُ المهاجرون أولُ الناس اسلاما وأكْرَمُهم أحْسابا وأوْسَطُهم دَارًا وأحْسَنُهُم وُجُوها وأكْثَر الناس وِلادَةً في العَرَب وأمَسُّهم رَحِما برسول الله صلى الله عليه وسلم أسْلَمْنا قَبْلكم وقُدّمنا في القرآن عليكم فقال تبارك وتعالى والسابِقون الاوّلون من المهاجرين والأنْصار الذين

اتَّبَعُوهم باحسان فنحن المهاجرون وأنتم الانصار اخْوانُنا في الـدّين وشُرَكَاؤُنـا في الْفَيء وأنْصَارُنا على العَدُوّ آويْتُمْ ووَاسَيْتُمْ فجزاكم الـلـه خيرا فنحن الأُمَرَاء وأنتم الـوُزَرَاء لا تَـدِين العَـرَب الّا لهـذا الحَـيّ مـن قـريش فـلا تَنْفَـسُوا عـلى اخوانكم المهاجرين ما منحهم الـلـه من فضله

خطبة أبي بكر الصديق رضى الـلـه عنه عند وفاة النبي صلى الـلـه عليه وسلم

أيُّها الناسُ من كان يَعْبُد محمدا فان محمدا قد مـات ومـن كـان يعبـدُ الـلــه فان الـلـه حَيٌّ لا يموت وان الـلـه قد تَقَدّم إلـيكم في أمْـرِه فـلا تَـدَعوه جَزَعـا وان الـلـه قد اختار لنبيه ما عنده على عندكم وقَبَضه إلى ثوابه وخَلّـف فـيكم كِتَابَه وسُنَّةَ نبيه فَمَنْ أخَذَ بِها عُرِف ومَن فَرّق بينهما أنكْر يأيُّهـا الـذين آمنـوا كُونُوا قَوَّامِين بالقِسْط ولا يَشْغَلَنّكُم الشَيطانُ بِمَـوْتِ نبـيَكم ولا يَفْتِنَّـنكم عـن دِينكم فعاجِلُوه بالذي تُعْجزونه ولا تَسْتَنْظِروه فيلحق بكم

عهد أبي بكر رضى الـلـه عنه موته

مما رُوِى عنه رضى الـلـه عنه حيث عَهِد عند موته وهو بـسم الـلــه الـرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمـد رسـول الـلــه صـلى الـلــه عليـه

وسلم عند آخِر عَهْده بالدُّنْيا وأوَّل عهده بالآخرة في الحال التي يُؤْمِن فيها الكافر ويَتَّقِي فيها الفَاجِر اني اسْتَعْمَلْتُ عليكم عُمَر بنَ الخطاب فان بَرَّ وعَدَلَ فذلك عِلْمِي به ورَأْيِي فيه وانْ جارَ وبَدَّل فلا عِلْم لي بالغَيْب والخَيْرَ أرَدْتُ ولِكُلّ امْرِئٍ ما اكْتَسَب وسَيَعْلَمُ الذين ظَلَمُوا أي مُنْقَلَب يَنْقَلِبُون

ومما يُؤْثر من هذه الآداب ويُقَدَّمُ قولُ عُمَر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه في أول خُطْبَةٍ خَطَبَها قال العُتْبِي لم أر أقلَّ منها في اللفظ ولا أكثر في المعنى حَمِدَ الله وأثْنَى عليه بما هو أهله وصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أيُّها الناس انّه والله ما فيكم أحَدٌ أقْوَى عِندي من الضَعِيف حتى آخُذَ الحَقّ له ولا أضْعَفُ عندي من القَوِيّ حتى آخُذَ الحق منه ثم نَزَل

قال أبو الحَسَن قد رَوَينا هذه الخطبة التي عَزَاها إلى عمر بن الخطاب عن أبي بكر رضى الله عنهما وهو الصحيح قال أبو العَبّاس ومِن ذلك رسالَتُه في القَضَاء إلى أبي موسى الأشْعَرِيّ وهى التي جَمَع فيها جُمَل الاحكام واخْتَصَرها بأجْوَد الكلام وجعل الناسُ بعدَه يَتَّخِذونها إماما ولا يَجِدُ مُحِقٌّ عنها مَعْدِلا ولا ظالِمٌ عن حدودِها مَحِيصا

بسم الـلـه الرحمن الرحيم من عبد الـلـه عُمَر بن الخطـاب أمـير المـؤمنين إلى عبد الـلـه بن قيس سلامٌ عليك أما بعـد فـانّ القـضاء فريـضة مُحكّمـة وسُـنّة مُتَّبَعة فافْهَمْ اذا أُدْلَي إليك فانّه لا يَنْفَع تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لا نَفاذَ لـه آسِ بـين النـاس في وَجْهك وعَدْلك ومَجْلِسك حتى لا يَطْمَع شَريف في حَيْفك ولا يَيْأس ضَعِيف مِن عَدْلك البَيِّنةْ على مـن ادّعـى واليمـين عـلى مَـن أنكـر والـصُلْحُ جـائز بـين المسلمين الّا صُلْحًا أحَـلّ حرامـا أو حَـرَّم حـلالا لأيَمْنَعَنَّـك قـضاءٌ قَـضَيْتَه اليـومَ فَرَاجَعْت فيه عقلَك و هُدِيت فيه لرُشْدك ان تَرْجِع إلى الحَقّ فان الحَقّ قَـدِيم ومُراجَعةُ الحق خيرٌ من التَمادِي في الباطل الفَهْمَ الفَهْمَ فيما تَلَجْلَج في صَـدْرك مما ليس في كِتاب ولا سُنَّة ثم اعْرِف الأشْياء والاَمْثال فَقس الامُـور عنـد ذلـك واعْمِد إلى أقْرَبِها إلى الـلـه وأشْبَهها بالحَقّ واجْعل لمن ادَّعى حَقّا غائِبا أو بَيّنَة أمَدًا يَنتهي إليه فان أحْضَر بَيّنَتَه أخَذْت له بحَقّه والّا اسْتَحْلَلْتَ عليـه القَـضِيّةَ فانه أنْفَى للشَكّ وأجْلى للعَمَى المسلمون عُدُّل بعضُهم على بعـض الّا مَجْلُـودا في حَدّ أو مُجَرَّبا عليه شَهادةٌ زُور أو ظَنِينا في وَلاءٍ أو نَـسَب فـان الـلــه تَـوَلَّى منكم السَرائر ودَرأ بالبَيِّنات والاَيْمان وإياك والغَلَق والضَجَر والتَأذِّي بالخُـصُوم والتَنَكُّر عند الخُصُومات فانّ الحَـقّ في مَـواطِن الحَـقّ يُعْظِـم الـلــه بـه الأجْـر ويُحْسن به الذُّخْر فمن صَحَّت نيَّتُه وأقْبَل على نَفْسِه كفاهُ الـلـه ما بَيْنَه وبـين الناس ومن تَخَلَّق للناس بما يَعْلم الـلـه أنَّه ليس مِـن نَفْـسه شـانَه الـلــه فـما ظنُّك بثَوابِ غير الـلـه عز وجل في عاجِل رِزْقه وخَزائن رَحْمَتِه والسلام

تحدثَ ابنُ عائشة في اسنادٍ ذَكَره أنّ عليا رضى اللـه عنه انتهى إليـه أنَ خَـيْلا لمُعاوِية وَرَدَت الأنْبَار فَقَتَلوا عامِلًا له يقال له حَسَّان بن حـسّان مُغْـضَبا يَجُـرّ ثَوْبَه حتى أَتَى النُخَيْلَةَ واتَّبَعَه الناسُ فَرَقِى رَباوَةً من الارض فحمِد اللـه وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى اللـه عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الجِهـادَ بـابٌ من أبواب الجنة فمن تَركَـه رَغْبَـةً عنـه ألْبَـسَه اللــه الـذُّلّ وسِـيماءَ الخَـسْف ودُيِّث بالصّغار وقد دَعَوْتُكم إلى حَرْب هؤلاء القَـوم لـيلا ونهـارا وسِرّا واعلانـا وقلت لكم اغْزوهم مِن قَبْل أن يَغْزُوكم فو الذي نَفْسي بيده ما غُزِي قومٌ قَطُّ في عُقْـر دارِهِـمْ الَّا ذَلُّـوا فَتَخَـاذَلْتُمْ وتَـوَاكَلْتُم وثَقُـل علـيكم قَـوْلِي واتَّخَـذْتُمُوه وراءكُم ظِهْرِيا حتى شُنَّت عليكم الغـارات هـذا أخـو غامـد قـد ورَدَت خَيْلـه الأنْبَار وقَتَلُوا حَسّان ابن حَسّان ورجَالا منهم كثيرا ونساء والـذي نَفْـسي بيـده لقد بَلَغَني انه كان يُدْخَل عـلى المـرأة المـسلمة والمُعاهَـدة فتُنْتَـزَع أحْجـالهُما ورِعاثُهُما ثم انْصَرَفوا مَوْفُورينَ لم يُكْلَمْ أحَـدٌ مـنهم كَلْـمًا فلـو أنّ امْـرَأً مـسلما مات من دُون هذا أسَفًا ما كان عندِي فيه مَلُوما بل كان به عنـدي جَـدِيرا يـا عَجَبَا كُلّ العَجَب عَجَبٌ يُميت القَلْب ويَشْغَل الفَهْم ويُكْثِر الأحْزَانَ مِن تَـضَافُر هؤلاء القوم على باطِلِهم وفَشَلِكُمْ عن حَقّكم حتى أصْبَحْتُم غَرَضًـا تُرْمَـوْن ولا تَرْمُون ويُغار عليكم ولا تَغِيرون ويُعْصَى اللــه عـز وجـل فـيكم وتَرْضَـوْن اذا قلـت لكـم اغْـزُوهُمْ في الـشِّتاء قُلْـتُم هـذا أوان قَـرٍّ وصِرّ وان قلـت لكـم

اغزوهم في الصَيف قلتم هذا حَمَارَّة القَيظ أنْظِرْنا يَنْصَرِم الحَرُّ عَنَّا فاذا كنـتم من الحَرّ والبَرْدْ تَفِرُّون فأنتم والـلـه من السَّيْف أفَرّ يا أشْباهَ الرّجال ولا رجـال ويا طَغَام الاَحْلام ويا عُقُول رَبّـات الحِجـال والـلــه لقـد أفْـسَدْتم عَـلَىّ رأيِـي بالعصْيان ولقد مَلَأْتُم جَوْفِي غَيْظا حتى قالت قريش ابن أبي طالب رجلٌ شجاع ولكن لا رَأْىَ له في الحَرْب لله دَرُّهُم ومن ذا يكون أعلم بها مِنّـي أو أشَـدّ لهـا مِراسا فو الـلـه لقد نَهَضْت فيها وما بَلَغْت العشرين ولقـد نَيّفْـت اليـومَ عـلى السِّتِّين ولكن لا رَأْىَ لمن لا يُطاع يقولها ثلاثـا فقـام إليـه رجُـل ومعـه أخـوه (الرجل وأخوه يُعْرَفان بابْنَيْ عَفيف مـن الانـصار) فقـال يـا أمـيرَ المـؤمنين أنَـا وأخِي هذا كما قال الـلـه تعالى رب إِنِّي لا أمْلِك الّا نَفْسي وأخِـي فَمُرْنـا بـأمْرِك فو الـلـه لَنَنْتَهِيَنّ إليه ولو حال بَيْنَنا وبينـه جَمْـرُ الغَـضَى وشَـوْك القَتـاد فـدعا لهما بخير ثم قال لهما وأيْنَ تَقَعان مما أريد ثم نَزَل

تواضع عمر بن الخطاب رضى الـلـه عنه

بَلَغ عُمَـر بـنَ الخطـاب رضى الـلــه عنـه أنّ قَوْمًـا يُفَـضِّلُونه عـلى أبي بكـر الصديق رضى الـلـه عنه فوَثَبَ مُغْضبا حتى صعِد المِنْبر فحمد الـلـه وأثْنَى عليه وصـلى عـلى نبيـه صـلى الـلــه عليـه وسـلم ثـم قـال أيُّهـا النـاس انِّي سَأُخْبرِكم عَنّي وعن أبي بكر انه لما تُوُفِّي رسولُ الـلـه صلى الـلـه عليه وسلم ارْتَدّت العَرَب ومَنَعَتْ شاتَها وبَعِيرهَـا وأجْمَـع رَأْيُنـا كُلُّنـا أصـحاب محمـد

صلى الـلـه عليه وسلم أن قُلْنا له يا خَلِيفة رسول الـلـه ان رسول الـلــه صـلى الـلـه عليه وسلم كان يُقَاتِل العَرَب بـالوَحْي والملائكـة يُمِـدُّه الـلــه بهـم وقـد انْقَطَع ذلك اليومَ فالْزَم بَيْتَك ومَسْجِدَك فانه لا طاقةَ لك بقتـال العَـرب فقـال أبو بكر الصديق أوَكُلّكم رأيُه على هذا فقلنا نَعَم فقـال والـلــه لَأن أخِـرّ مـن السماء فَتَخَطَّفَني الطيرُ أحَبُّ إليّ من أن يكون هذا رأيي ثم صعِد المنبرَ فحمِد الـلـه وكَبَّرَه وصَلَّي على نبيّه صلى الـلـه عليه وسلم ثم أقْبَل على النـاس فقـال أيُّها الناس مَن كان يعبدُ محمدا فان محمدا قد مـات ومـن كـان يعبُـدُ الـلــه فان الـلــه حَـيٌّ لا يمـوت أيهـا النـاس أإنْ كَـثُر أعـداؤُكم وقَـلَّ عـددُكم رِكـبَ الشيطان منكم هذا المَرْكَب والـلـه لَيُظْهِرنّ الـلـه هذا الدينَ على الأدْيان كلِّها ولو كَرِه المشركون قولُه الحقُّ ووعْدُه الصِدْق بـل نَقْـذِفُ بـالحق عـلى الباطـل فَيَدْمَغُه فاذا هو زاهِقٌ وكَمْ مِن فئةٍ قليلة غلَبَت فئةً كثيرةً باذن الـلـه والـلــه مع الصابرين والـلـه أيها الناس لو أُفْرِدْتُ من جمـيعكم لجاهَـدْتُهم في الـلــه حَقَّ جِهادِه حتى أُبْلِي بنَفْسي عُذْرًا أو أُقْتَلَ قَتْلًا والـلـه أيها النـاس لـو مَنَعـوني عقالا لجَاهَدْتُهم عليه واسْتَعَنْتُ عليهم الـلـه وهو خيرُ مُعِين ثم نَـزَل فجاهـد في الـلـه حق جهاده حتى أذْعَنَت العَرب بالحق

وكتب أبو عُبَيْدة بن الجَرَّاح ومُعاذ بن جَيل إلى أمير المؤْمنين

عمر بن الخطاب يَنْصَحانه رضى اللـه تعالى عنهم

بسم اللـه الرحمن الرحيم

من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب سلام عليك فانّا نَحْمَد إليك اللـه الذي لا اله هو (أما بعد) فانّـا عَهِـدناك وأمـرْ نفـسِك لـك مُهِمّ فأصْبَحْتَ وقد وَلِيتَ أمْرَ هذه الأمّة أحْمَرِها وأسْودِها يَجْلِس بـين يـديك الصَديق والعَدوّ والشريف والوضيع ولكلٍّ حصَّةٌ من العدل فانْظُر كيـف أنـت ياعمر عند ذلك وانا نُحَذِّرُك يومًا تَعْنُو فيه الوجوه وتَجِب له القلوب وتَنْقَطِـع فيه الحُجَج بحُجَّة مَلِكٍ قَهَرَهم بجَبَرُوته والخَلْـقُ داخِـرون لـه يَرْجُـون رَحْمَتَـه ويخافون عِقابَه وانّا كنّا نتحدّث انّ أمرْ هـذه الأمّـة يرجـع في آخـر زمانِهـا أن يكون إخْوان العَلانِية أعداءَ السَريرة وانّـا نَعُـوذ باللــه أنْ تُنْـزِل كِتابَنـا سـوى المَنْزِل الذي نَزَل من قلوبنا فانّا انما كَتَبْنا إليك نصيحةً لك والسلام فكتب إليها

بسم اللـه الرحمن الرحيم

مـن عمـر بـن الخطـاب إلى أبي عبيـدة عـامر بـن الجـراح ومعـاذ بـن جبـل سلام عليكما أحمد إليكما اللـه الذي لا اله الا هـو (أمـا بعـد) فقـد جـاءني كتـابُكما تَـزْعُمان أنـه بَلَغَكـما أنّي وَلِيـتُ أمـر هـذه الأمّـة أحْمَرِهـا وأسْـوَدِها

يجلس بين يديّ الصديقُ والعدُوّ والشريف والوضيع وكتبتما أن انْظُر كيف أنتَ ياعُمَر عند ذلك وانه لا حول ولا قوة لِعُمر عند ذلك الا بالله كتبتُما تُحَذِّراني ما حُذِّرَت به الأُمَمُ قَبْلَنا وقديما كان اختلافُ الليل والنهار بآجال الناس يُقَرِّبانِ كلَّ بعيدٍ و يُبْلِيَان كلَّ جديد ويأتِيان بكلِّ موعود حتى يَصير الناسُ إلى منازِلِهم من الجنة أو النار ثم تُوَفَّى كلُّ نَفْس بما كسبت ان الله سريع الحساب كَتَبْتُما تَزْعُمان أنَّ أمْرَ هذه الأمّة يَرْجع في آخر زَمانِها أن يكون إخْوان العَلانِيَة أعْداءَ السَريرة ولَسْتم بذاك وليس هذا ذلك الزمان ولكن زمانُ ذلك حين تَظْهَر الرَغْبة والرَهْبة وكَتَبْتُما تَعُوذان بالله أن أنْزِل كتابكَما مِنّي سِوى المَنْزِل الذي نَزَل مِن قلوبكما وانما كَتَبْتُما نصيحة لِي وقد صَدَقْتُما فَتَعَهَّد اني منكما بكتاب ولا غِنًى بِي عنكما والسلام عليكما

خطبة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه

انّ لكلْ شئ آفة وان لكل نعمة عاهة وان آفة هذه الأمّة وعاهة هذه النعمة عَيَّابُون طَنَّانون يُظْهِرون لكم ما تُحِبُّون ويُسِرّون ما تَكْرَهون يقولون لكم وتقولون طَغام مِثْل النَعام يَتْبَعون أوَلَ ناعِق أحبّ مَوَارِدِهم إليهم النازح لقد أقْرَرْتم لابن الخطاب بأكثَرَ مما نَقَمْتُم عَلَيَّ ولكن وَقَمَكم وقَمَعكُم وزَجَرَكم زَجْرَ النَّعام المُخَزَّمة والله انِّي لَأقَرب ناصِرًا وأعَزّ نَفَرًا

وأقْمَن ان قُلْتُ هَلُمّ أن تُجاب دَعْوَتي مِن عمرَ هل تَفْقِدون مِن حُقُوقكم شيئا

فما لِي لا أفْعَل في الحَق ما أشاء اذاً فَلِمَ كُنْتُ إماما

ومن كلام سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام في التحريض

على الحرب كان يقوله لاصحابه في بعض أيام صفّين

معاشرَ المسلمين استشعِروا الخَشْية وتَجَلْبَبوا السَكينة وعَضُّوا على النَواجِذ فانه أنْبَى للسُّيُوف عن الهَامِ وأكْملُوا اللّأْمّة وقَلْقِلُوا السيوف في أغْمادها قَبْلَ سَلّها والحَظُوا الخَزْر واطْعَنُوا الشَزْر ونافِحُوا بالظُبا وصِلُوا السُيوف بالخُطَا واعملوا أنكم بعَين الله ومع ابن عَمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَعاوِدُوا الكَرّ واسْتَحْيُوا من الفَرّ فانه عارٌ في الاَعْقاب ونارٌ يومَ الحساب وطِيبُوا عن أنْفسُكم نَفْسا وامْشُوا إلى المَوْت مَشْيا سُجُحًا وعليكم بهذا السَواد الاَعْظم والرِواق المُطَنَّب فاضربُوا بثجَبَه فانّ الشيطان كامِنٌ في كِسْرِه قد قَدَّمَ للْوَثْبة يَدًا وأخَّر للنُّكُوص رِجْلا فصَمْدًا صَمْدًا حتى يَنْجَلي لكم عَمُود الحَقّ وأنْتُمُ الاَعْلَوْن والله مَعَكم ولن يَترَكُمْ أعْمَالَكُمْ

ومن كلام له عليه السلام

وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال نَهَيْتَنا عن الحكومة ثم أمَرْتَنا بها فلم نَدْرِ أيّ الاَمْرَين أرْشَدَ فَصَفَق عليه السلام أحْدَى يَدَيْه على الاُخْرَى ثم قال هذا جَزَاءُ مَن تَرَك العُقْدة أمَا والله لَوْ أنّي حين أمَرْتُكُمْ بِما أمرتكم به حَمَلْتُكم على المَكْرُوه الذي يَجْعل الله فيه خَيْرا فان اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتكُم وان اعْوَجَجْتُم قَوَّمْتُكم وان أبَيْتُم تَدارَكْتُكُمْ لكانت الوُثْقَى ولكن بِمن وإلى من أُرِيد أنْ أداوِيَ بكم وأنتم دائي كناقِش الشوكّة بالشوكة وهو يعلم أنّ ضِلَعَها معها اللهم قد مَلَّتْ أطِبّاء هذا الداء الدَّوِي وكَلَّتْ النَزَعَةُ بأشطان الرّكِّي أينَ القومُ الذين دُعُوا إلى الاسلام فَقَبِلوه وقرؤا القرآن فأحْكَموه وهِيجُوا إلى القتال فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقاح إلى أوْلادها وسَلَبُوا السيوفَ أغْمادَها وأخَذوا بأطراف الارض زَحْفًا زَحْفًا وصَفًّا صَفًّا بَعْضٌ هَلَكَ وبَعْضٌ نَجَا لايُبَشَّرُون بالاَحْياء ولا يُعَزَّوْن بالمَوْتَى مُرْهُ العيون من البُكاء خُمْص البُطون من الصِيام ذُبْل الشِفاه من الدُّعاء صُفْرُ الاَلْوان من السَهَر على وجُوههم غَبَرَة الخَاشِعين أولئك اخْواني الذاهُبون فَحقّ لنا أنْ نَظْمَأ إليهم ونَعَضّ الاَيْدي على فِراقهم انّ الشيطانَ يُسَنّى لكم طُرُقَه ويُريد أن يَحُلّ دِينكَم عُقْدَةً عقدة ويُعْطيَكم بالجماعة الفُرْقة فاصْدِفُوا عن نَزَغاته ونَفَثاته واقْبَلوا النصيحة ممن أهْداها إليكم واعْقوها على أنْفُسِكم

ومن كلام له عليه السلام لعُمَرَ بن الخطاب

وقد استشاره في غَزْوة الفُرْس بنَفْسه

انّ هذا الأمر لم يكن نَصْرُه ولا خِذْلانُه بكَثْرةٍ ولا قِلّة وهو دين الله الذي أظْهَرَه وجُنْدُه الذي أعَدّه وأمَدّه حتى بلغ ما بلغ وطَلَع حَيْثُما طَلَعَ ونحن على مَوْعود مِن الله والله مُنْجِزٌ وَعْدَه وناصِرٌ جُنْدَه ومكانُ القَيّم بالامر مكانُ النِظام مِنَ الخَرَز يَجْمعُه ويَضُمّه فاذا انْقَطع النِظام تَفَرّق الخَرَز وذهب ثم لم يَجْتَمع بِحَذافِيره أبَدًا والعَرَبُ اليومَ وان كانوا قَليلا فَهُمْ كثيرون بالاسلام عَزِيزُون بالاجتِماع فكن قُطْبًا واسْتَدِر الرَّحَى بالعَرَب وأصْلِهِمْ دُونَك نارَ الحَرْب فانك ان شَخصْتَ من هذه الارض انْتَقَضَتْ عليك العَرَب من أطْرافِها وأقْطارِها حتى يكون ما تَدَع وراءَك من العَوْرات أهَمّ إليك مما بين يَدَيك انّ الاعاجم انْ يَنْظُروا إليك غَدًا يقولوا هذا أصل العرب فاذا قَطَعْتُمُوه اسْتَرَحْتُم فيكون ذلك أشدّ لِكَلَبهم عليك وطَمَعِهِم فيك فأمّا ما ذَكَرْت من مَسِير القوم إلى قتال المسلمين فانّ الله سُبحانه هو أكْرَه لِمَسِيرِهِم منك وهو أقْدَر على تَغْيير ما يَكْرَه وأمّا ماذَكَرْت من عَدَدِهم فانّا لم نكن نُقاتِل فيما مضى بالكثْرَة وانّما كُنّا نُقاتِل بالنَصْر والمَعُونة

أما بعد فقد جَعَل الـلـه لي عليكم حَقّا بولايَة أمْرِكم ولكم عَلَيّ من الحق مثـل الـذي لِي علـيكم فـالحَقّ أوسَـع الاشـياء في التَواصُـف وأضْـيَقُها في التَناصُـف لايَجْرِي لأحدٍ الا جَرَى عليه ولا يَجْـرِي عليـه الّا جَـرَى لـه ولـو كـان لأحـد أنْ يَجْـرِي عليـه لكـان ذلـك خالـصا لله سـبحانه دون خَلْقـه لقُدْرتـه عـلى عبـاده ولعَدْلِه في كل ما جَرَت عليه صُرُوفُ قَضائه ولكنه جَعَلَ حَقّـه عـلى العبـاد أن يُطيعوه وجَعَل جزاءَهم عليه مُضاعَفة الثَواب تَفَضُّلا منه وتَوَسُّعا بما هـو مـن المَزِيد أهْله ثم جَعَل سبحانه من حُقوقه حُقُوقـا افْتَرَضَـها لـبعض النـاس عـلى بَعْض فَجَعَلها تَتَكافأ في وُجُوهها ويُوجِب بعضُها بعضا ولا يُسْتَوجَب بعضُها الّا ببعْض وأعْظُم ما اُفتَرَض سبحانه من تلك الحُقُوق حقّ الوالِي على الرّعِيّـة عـلى الوالي فريضة فرضها سبحانه لكلٍّ على كُلٍّ فَجَعَلها نِظاما لأُلْفَتِهم وعِزًّا لـدينهم فليـست تَـصْلُح الرّعيـة الّا بـصَلاح الـوُلاة ولا تَـصْلح الـوُلاة الّا باسـتقامة الرَعيّة فاذا أدَت الرّعيّة إلى الوالِي حَقَّه وأدَّى الوالي إليها حَقّها عَزَّ الحَقَّ بيـنهم وقامت مناهج الدّين واعْتَدَلَتْ معالِمُ العَدْل وجَرَت على أذْلالِها السُّنَنُ فَصَلَح بـذلك الزمـان وطُمِـع في بقـاء الدولـة ويَئِـسَتْ مَطـامعُ الأعْـداء واذا غَلَبَـت الرّعيّةُ وإليها وأجْحَف الوالي برَعِيّته اخْتَلَفَتْ هنالك الكَلمـة وظَهَـرَت مَعـالِمُ الجوْر وكَثُر الاِدْغال في الـدين وتُرِكَـت مَحـاجّ الـسُّنَن فعُمِـل بـالهَوى وعُطِّلـت الأحكام وكثُرت عِلَـل النُّفـوس فـلا يُـسْتَوْحَش لِعظـيم حـقّ عُطِّـل ولا لِعظـيم باطـل فُعِـل فهنالـك تَـذلُّ الأبْـرار وتَعِـزّ الأشْرار وتَعْظُـم تَبِعـاتُ الـلـه

عند العباد فعليكم بالتَناصُح في ذلك وحُسْن التعاوُن عليه فليس أحد وان اشْتَدّ على رضاءِ الله حِرْصُه وطال في العمل اجتهادُه ببالغ حقيقة ما الله أهلُه من الطَاعة ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جُهْدهم والتعاوُن على اقامة الحق بينهم وليس امْرُؤٌ وان عَظُمَت في الحق مَنْزلَتُه وتقدَّمت في الدِين فضيلته بِفَوْقَ أن يُعانَ على ما حَمَّله الله من حَقّه ولا امْرُؤ وان صَغّرَتْه النُّفوس واقْتَحَمَتْه العُيون بدون أن يُعِينَ على ذلك أوْ يُعانَ عليه

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يُكْثِر فيه الثَناءَ عليه ويَذْكر سَمْعه وطاعتَه فقال عليه السلام انّ مِن حق مَن عَظُم جلالُ الله في نفسه وجَلَّ موضِعهُ من قَلْبِه أن يَصْغُر عنده لِعِظَم ذلك كلُّ ماسواه وانّ أحَقّ مَن كان كذلك لَمَنْ عَظُمَتْ نِعمةُ الله عليه ولَطُفَ احسانُه إليه فانه لم تَعْظُم نعمةُ الله على أحد الا ازْداد حقُّ الله عليه عِظَما وان من أسْخَف حالاتِ الوُلاة عند صالح الناس أن يُظَنّ بهم حُبُّ الفخر ويُوضَعَ أمْرُهم على الكِبْر وقد كَرِهْتُ أن يكون جالَ في ظَنّكم أنّي أُحِبّ الِاطْراء واستماعَ الثَناء ولَسْتُ بحَمْد الله كذلك ولو كنتُ أُحِبّ أن يقال ذلك لتركْتُه انْحِطاطا لله سبحانه عن تَناوُل ما هو أحَق به من العَظمة والكبرياء وربما اسْتَحْلَى الناسُ الثناءَ بعد البَلاء فلا تُثْنُوا علىّ بجميل ثَناءٍ لِاِخْراجي نفسي إلى الله وإليكم من التَّقِيّة في حقوقٍ لم أفْرُغْ مِن أدائها وفرائضَ لابُدّ من إمْضائِها فلا تُكَلِّمُوني بما تُكَلَّم به الجَبابرة ولا تتحفَّظوا منّي بما يُتَحَفَّظ به عند أهل البادرة ولا تُخالِطوني بالمُصانعة ولا تَظُنُّوا بِي استثقالا في حقٍّ قيل لي ولا الْتِماس إعْظامٍ لنفسي فانه مَن اسْتَثْقَل الحقّ أن يقال له أو

العَدلَ أن يُعْرَض عليه كان العمل بهما أثقل عليه فلا تَكُفّوا عن مقالةٍ بحق أو مَشُورة بعَدْل فانّي لَسْت في نفسي بفَوْقَ أنْ أُخْطِئ ولا آمَنُ ذلك مِن فِعلي الّا أن يَكفِيَ الله مِن نفسي ما هو أمْلَك به مني فانما أنا وأنتم عبيدٌ مملوكون لَربٍّ لارَبَّ غيره يَملِك مِنّا مالا نملَك من أنفسِنا وأخْرَجَنا مِمّا كُنّا فيه إلى ما صَلَحْنا عليه فأبْدَلَنا بعد الضلالة بالهُدى وأعطانا البصيرة

ومن وصية له عليه السلام وصَّى بها

جيشا بعثه إلى العدوّ

فاذا نَزَلْتم بعَدُوٍ أو نزَل بِكُم فليكُن مُعَسْكَرُكُم في قَبيل الأشْراف وسفاح الجبال أو أثْناء الاَنْهار كَيْما يكون لكم رِدْءا ودونَكُم مَرَدًّا ولْتَكُنْ مُقاتَلَتكُم من وجهٍ واحدٍ أو اثنين واجعلوا لكم رُقَباء في صَياصي الجبال ومنَاكب الهِضاب لئلا يأتِيَكم العدوّ من مكانِ مخافةٍ أو أمْنٍ واعلموا أنّ مُقدّمة القوم عيونُهم وعيونُ المقدّمة طَلائعُهم وايّاكم والتَفَرُّق فاذا نَزَلتم فانزِلوا جميعا واذا ارْتَحلْتم جميعا واذا غَشِيَكم الليلُ فاجعلوا الرماح كَفّة ولا تَذُوقوا النَوْم الَّا غِرارًا أو مَضْمضة

ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكَرْنا هنا جُمَلا منها ليُعْلَم بها انه كان يقيم عِماد الحق ويَشْرَع أمثلةَ العدل في صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها

انْطَلق على تَقْوَى الـلـه وحده لا شريك له ولا تَرُوعَنّ مسلما ولا تَجْتازَنّ عليـه كارِها ولا تَأخُذَنّ منه أكثَر من حق الـلـه في مالِه فاذا قَدِمْتَ على الحيِّ فـانْزِلْ بمائهم من غير أن تُخالِطَ أبياتَهم ثم امْضِ إليهم بالسكينة الوَقـار حتـى تقـومَ بينهم فتسَلّم عليهم ولا تَخْـدِج بالتحيـة لهـم ثـم تقـول عبـادَ الـلــه أرْسَـلَني إليكم وليُّ الـلـه وخليفتُه لِآخُذَ منكم حق الـلـه في أموالكم فهـل لله أمـوالكم من حق فَتُؤَدُّوه إلى وَليّه فان قـال قائـل لا فـلا تُراجعْـه وان أنْعَـمَ لـك مُـنْعِمٌ فانْطَلِق معه من غير أن تُخيفَه وتُوعِدَه أو تَعْسِفه أو تُرْهِقه فَخُذْ مـا أعْطالـك من ذهبٍ أو فضة فان كان له ماشِية أو إبِل فلا تَدْخُلْها الا باذنـه فـانّ أكْثَرَهـا له فاذا أتَيْتَها فلا تَدْخُل عليها دُخولَ مُتَـسَلِّطٍ عليـه ولا عَنيـف بـه ولا تُنَفِّـرَنّ بهيمة ولا تُفْزِعَنَّها ولا تَسوءنّ صاحبَها فيها واصْدَع البـاقي صَـدْعَين ثـم خَـيِّره فاذا اخْتار فلا تَعَرَّضَنّ لما اختارَه ثم اصْدَع الباقي صَدْعين ثم خَيِّره فـاذا اختـار فلا تَعَرَّضَنّ لما اخْتاره فلا تَزال بذلك حتى يبْقَـى مـا فيـه وَفـاءٌ لحـق الـلــه في مالِه فاقبِضْ حق الـلـه منه فان اسْتَقالَك فأقِلْـه ثـم اخْلِطْهـما ثـم اصْـنع مِثْـل الذي صَنعْت أوّلا حتى تأخذ حق الـلـه في مالِـه ولا تأخُـذَنّ عَـوْدا ولا هَرِمـة ولا مكسورةً ولا مَهْلوسة ولا ذاتَ عَوارٍ ولا تَأمَنَنَّ عليها الَّا مَن تَثِق بِدينِه رافِقا بمـال المسلمين حتى يُوَصِّله إلى وَليِّهِم فَيقْسمه بيـنهم ولا تُوَكِّـلْ بهـا إلّا ناصِـحا شـفيقا وأمينا حفيظا غيرَ مُعَنّف ولا مُجْحف ولا مُلْغِـب ولا مُتْعِـب ثـم احْـدُه إلينـا مـا اجْتَمَع عندك نُصَيّرْه حيثُ أمَرَ الـلـه فاذا أخَذَها أمينُك فـأوْعِزْ إليـه أن لا يَحُـول بيْن ناقةٍ وبين فَصيلها ولا يَمْصُر لَبَنهَا فَيَضُرّ ذلك بوَلَدِها ولا يَجْهَدَنَّها ركُوبًا ولْيَعْدِل بيْن صَـواحِباتها في ذلـك وبينَهـا وليُرفّـه عـلى اللاغِـب ولْيَـسْتَأْنِ بالنَّقِـب والظـالِع

ولْيُورِدْها ما تَمُرُّ به من الغُدُر ولا يَعْدِل بها عن نَبْـت الارض إلى جَـوَادّ الطُـرُق ولْيَروِّحْها فِي الساعات ولْيِمْهلها عند النِطاف والأعْشاب حتى تأتينَا باذن الـلــه بُدْنا مُنْقِياتٍ غير مُتْعَبَاتٍ ولا مجهودات لنَقْسِمَها على كتاب الـلـه وسُنّة نبيـه صلى الـلـه عليه وآله فان ذلك أعظم لِأجْرك وأقْرَب لرُشْدك ان شاء الـلـه

وقال عليه السلام وقد سمع رجلا يذم الدنيا أيُّها الذّامُّ للدُّنْيا المُغْـتَرّ بغَرُورهـا المَخْدوع بأبَاطِيلِها ثم تَذُمّها أتَغْتَرّ بالدُّنْيا ثم تَذُمّها أنْـتَ المُتَجَـرِّم عليهـا متـى اسْتَهْوَتْكَ أمْ متى غَرَّتْك أبِمَصَارع آبائـك مـن الـبِلَى أم بِمَـضَاجِع أمَّهاتِـك تَحْـتَ الثَّرَى كم عَلَّلْت بكَفَّيْك وكم مَرَّضْتَ بِيَدَيْك تَبْغِي لهم الشِفَاء وتَسْتَوْصِف لهم الأطِباء لم يَنْفَع أحَدَهم إشْفَاقُك ولم تُسْعَف بطَلِبتَك ولم تَدْفَع عنه بقُوَّتك قـد مَثَّلَت لك به الدُّنْيا نَفْسَك وبِمَصْرَعه مَصْرَعَك انّ الدُّنْيا دَارُ صِدْق لِمَـن صَـدَقها ودارُ عافِيَةٍ لمَن فَهِم عنها ودارُ غِنًى لمن تَزَوَّدَ منها ودارُ مَوْعِظَةٍ لمن اتَّعَظَ بهـا مَسْجِد أحِبّاء الـلـه ومُصَلّى ملائكة الـلـه ومَهْـبَط وَحْـي الـلــه ومَتْجَـرُ أوليـاء الـلـه اكْتَسَبُوا فيها الرَحْمة ورَبِحوا فيها الجَنّة فَمنْ ذا يذَمُّهُا وقد آذَنَتْ بِبَيْنِهـا ونادَتْ بفراقهـا ونَعَـتْ نَفْـسَهَا وأهْلَهـا فَمَثَّلـتْ لهـم بِبَلائِهـا الـبَلاء وشَـوّقَتْهم بسُرُورِها إلى السُّرور راحَـتْ بِعَافِية وابْتَكَرَتْ بفَجيعة تَرْغِيبا وتَرْهِيبا وتَخْوِيفـا وتَحذيرا فَذَمَّها رِجالٌ غَـدَاةَ النَدَامَـة وحَمِـدها آخَـرون يـوم القيامـة ذَكَّـرَتْهم الدُّنْيا فَتَذَكَّروا وحَدَّثَتْهم فَصَدَّقوا ووَعَظَتْهم فاتَّعَظُوا

عهد أمير المؤمنين الامام علي كرم الـلـه وجهه

ورضى عنه للاشْتَر النَّخَعي

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

هذا ما أمَرَ به عبد الـلـه على أمير المؤمنين مالك بن الحارِث الاشْـتَر في عَهْـده حين ولَّاه مِصْر جِبايَةَ خَرَاجِها عَدُوِّها وإصْلاحَ أهْلِها وعِمارَة بلادها أمَرَه بتَقْوَى الـلـه وايثَار طاعَته واتِّباع ما أمَر به في كتابه مِن فرائضه وسُنَنه التي لا يَـسْعَد الاّ باتّباعها ولا يَشْقَى الا مع جُحُودها واضَاعَتِها أنْ يَنْصُر الـلـه سبحانه بِيَـدِه وقَلْبه ولسَانه فانه جلّ اسْمُه قد تَكَفَّل بنَصْر مَن نَصَره وإعْزازِ مَن أعَزّه وأمَـرَه أن يَكْسِر من نفسه عند الشَهَوات ويَزَعَها عنـد الجَمحَـات فـانّ الـنَفْسَ أمّـارَةٌ بالسُوء إلّا ما رَحِم الـلـه ثم اعْلَمْ يا مالُك أنِّي قـد وَجَّهْتُـك إلى بـلاد قـد جَـرَتْ عليها دُوَلٌ قبلك من عَدْلٍ وجَوْرٍ وأن النـاس يَنْظُـرون مـن أمُـورِك في مُثْـل مـا كُنْتَ تنظر فيه من أمور الوُلَاة قبلك ويقولون فيك كما كُنْتَ تقول فيهم وانمـا يُسْتَدَلّ على الصالحين بما يُجْري الـلــه لهم عـلى ألْـسِنَة عبـاده فَلْـيَكُنْ أحَـبّ الذَخائِر إليك ذَخيرة العَمَل الصالح فامْلِك هَوَاك وشُحّ بنفسك عَمّا لا يَحِلّ لك فانّ الشُّحّ بالنفس الانصاف منها فيما أحَبَّتْ أو كَرِهَتْ وأشْـعِر قلبَـك الرَّحْمَـة للرَّعِيّة والمَحَبّة لهم واللُّطْف بهم ولا تكونَنّ عليهم سَبُعًا ضارِيًا تَغْتَـنِمُ أكْلَهـم فانهم صِنْفانِ إمّاً أخٌ لك في الدِّين وإمّا نظيرٌ لك في الخَلْق يَفْـرُط مـنهم الزَّلَـل وتَعْرِض لهم العِلَل ويُؤْتَى على أيديهم في العَمْد والخَطَـأ فـأعْطهم مـن عفْـوك

وصَفْحك مِثْل الذي تُحِبّ وتَرْضَى أن يُعْطيَك الـلـه مـن عفْـوه وصَـفْحه فانـك فَوْقَهم ووَالِي الاَمْرِ فَوْقَك والـلـه فوق مَن ولّاك وقد اسْتَكْفَاك أمْرَهُم وابْـتَلاك بهم ولا تَنْصِبَنّ نَفْسَك لحَرْب الـلـه فانه لايَدَىْ لـك بنقْمته ولا غِنًـى بـك عـن عفوه ورحمته ولا تَنْدَمَنّ على عفو ولا تَبَجَّحَنّ بعُقوبـه ولا تُـسْرِعَنّ إلى بـادِرَة وجَدْت عنها مَنْدوحـة ولا تقـولَنّ اني مُـؤَمَّرٌ آمـر فأُطـاع فـان ذلـك إدغـال في القلب ومَنْهَكة للدِّين وتَقَـرُّبٌ مـن الغـيرَ واذا أحْـدَث لـك مـا أنـتَ فيـه مـن سُلْطانك أبَّهَةً أو مَخِيَلةً فانظر إلى عِظَم مُلْك الـلـه فَوْقك وقُدْرته منك على مـا لا تَقْدِر عليه من نفسك فان ذلك يُطامِن إليك من طِماحك ويكُفّ عنك مـن غَرْبك ويُفئ إليك بما عَزَب عنك من عَقْلك وايّـاك ومُـسَاماة الـلــه في عَظَمتـه والتَشَبُّه به في جَبَرُوته فان الـلـه يُذِلّ كُلّ جَبّار ويُهين كّلّ مُخْتال أنْصِفِ الـلــه وأنصف الناسَ من نفسك ومن خاصّة أهلك ومَن لـك فيـه هَـوًى مـن رَعيَّتـك فانك ان لا تَفْعَلْ تَظْلِمْ ومن ظَلَم عبادَ الـلـه كـان الـلــه خَـصْمه دون عبَـاده ومن خاصَمَه الـلـه أدْحَضَ حُجَّتَه وكان لله حَرْبا حتى يَنْزِع ويَتُوب وليس شئ أدْعَى إلى تغيير نعمة الـلـه وتعجيل نقْمتـه مـن اقامـة عـلى ظُلْـم فـان الـلــه سَميعٌ دعـوةَ المظلـومين وهـو للظـالمين بالمِرْصـاد ولْـيَكُنْ أحَـبَّ الامـور إليـك أوْسَطها في الحق وأعَمّها في العَدْل وأجْمَعها لرِضَـا الرعيَّـة فـان سُـخْط العامّـة يُجْحِف برِضا الخاصّة وانّ سُخْط الخاصّة يُغْتَفَر مع رِضَا العامّة وليس أحَدٌ من الرعية أثْقَل على الوالي مَؤُنَةً في الرَخاء وأقَلّ مَعُونَة في الـبَلاءْ وأكْـرَه للأنْـصاف وأسْأل بالالْحاف وأقَلّ شُكْرا عند الإعْطَاء وأبْطأَ عُذْرا عنـد المَنْـع وأخَـفّ صَـبْرا عنـد مُلِـمّات الـدَهْر مـن أهْـل الخاصَّـة وانمـا عِـمَاد الـدين وجـماع المـسلمين

والعُدّةُ للأعْدَاء العامّةُ من الأمّة فليكُن صَفْوُك لهم ومَيْلُك معهم ولْيَكُن أبْعَدَ رَعيّتك منك وأشْنأَهم عندك أطْلَبهم لِمَعايب الناس فانّ في الناس عُيُوبا الوالي أحَقّ مَن سَتَرها فلا تَكْشِفن عما غاب عنك منها فانما عليك تَطْهير ما ظهر لك والله يَحْكُم على ما غاب عنك فاسْتُر العَوْرَة ما اسْتَطَعْتَ يَسْتُر الله منك ما تُحِبّ سَتْرَهُ من رعيّتك أطْلقِ عن الناس عُقْدَة كُلّ حِقْدٍ واقْطَع عنك سببَ كِلَ وَتْر وتَغَابَ عن كل مالا يَصحُّ لك ولا تَعْجَلَنّ إلى تصديقِ ساع فان الساعي غاشّ وان تَشَبَّه بالنَّاصحين ولا تُدْخِلَنّ في مَشُورَتِك بَخيلا يَعْدِل بك عن الفضل ويَعِدُك الفَقْر ولاجَبانًا يُضْعِفك عن الامور ولا حَريصا يُزَيّن لك الشَرَةَ بالجَوْر فانّ البُخْل والجُبْن والحرْص غَرَائُز شَتَّى يَجْمَعُهما سوءُ الظّنّ بالله انّ شَرّ وُزَرَائك مَن كان قبلَك للأشْرَار وَزيرا ومن شَرِكَهُمْ في الآثام فلا يكونَنّ لك بِطانة فانهم أعْوان الأثَمَة واخْوان الظَلَمة وأنت واجِدٌ منهم خَيْر الخَلَف ممن له مِثْل آرائهم ونَفَاذهم وليس عليه مِثْل آصارِهِم وأوْزَارِهِم ممن لا يُعاوِن ظالِما على ظُلْمه ولا آثما على اثْمه أولئك أخَفّ عليك مَؤُونَةً وأحْسَنُ لك مَعُونة وأحْنَى عليك عَطْفا وأقَلّ لغيرك إلْفا فاتَّخِذْ أولئك خاصَّةً لِخَلَواتِك وحَفَلَاتك ثم ليْكُن آثَرَهُم عندك أقْوَلُهم لك بِمُرِّ الحَقّ وأقَلُّهم مساعدة فيما يكون منك مما كَرِه الله لأوْلِيائه واقِعًا ذلك من هَواك حيث وَقَعَ والْصَقْ بأهل الورعَ والِصّدْق ثم رُضْهُمْ على أن لا يُطْرُوك ولا يُبَجّحوك بباطل لم تَفْعَله فان كَثْرة الاِطْراء تُحْدِث الزَهْو وتُدْني من العِزَّة ولا يكونَنّ المُحسِن والمُسِئ عندك بمَنْزلة سَواء فانّ في ذلك تَزْهيدا لأهْل الاحسان في الاحسان وتَدْريبا لأهل الاساءة على الاساءة وألْزِم كُلاًّ

منهم ما أَلْزَم نفسه واعْلَمْ أنه ليس شئ بأدْعَى إلى حُسْن ظنّ وَالٍ برَعيّته من احْسانِه إليهم وتَخْفيفه المؤُونات عليهم وتَرْك استِكْرَاهِه إيَّاهُم على ما ليس له قِبَلَهم فَلْيَكُنْ منك في ذلك أمْر يَجْمَع لك حُسْن الظَنّ بِرَعيّتك فانّ حُسْن الظَنّ يَقْطَع عنك نَصَبا طويلا وانّ أحَقّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّك به لمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُك عنده وانّ أحَقّ من ساءَ ظَنُّك به لمَنْ ساءَ بلاؤك عنده ولا تَنْقُضْ سُنَّةً صالِحة عَمل بها صُدُور هذه الأُمّة واجْتَمَعَتْ بها الأُلْفة وصَلَحَتْ عليها الرعية ولا تُحْدِثَنّ سُنَّة تَضُرّ بشئ مما مضى من تلك السُّنَن فيكون الأجْرُ لِمَن سَنَّها والوِزْر عليك بما نَقَضْتَ منها وأكْثِر مُدَارسة العُلَماء ومناقشة الحُكماء في تَثْبيت ما صَلَح عليه أمْر بلادك واقامة ما اسْتَقام به الناس قَبْلك واعْلَم أنّ الرعية طبقات لا يصلُح بعضُها الّا ببعض ولا غنًى ببعضها عن بعض فمنها جُنودُ الله ومنها كتَّاب العامّة والخاصة ومنها قُضَاةُ العدل ومنها عُمّال الانصاف والرِفْق ومنها أهلُ الجزْية والخَرَاج من أهل الذمّة ومُسْلِمة الناس ومنها التجّار وأهلُ الصِناعات ومنها الطَبَقة السُفْلَى من ذَوى الحاجة والمَسْكَنة وكُلًّا قد سَمَّى الله سَهْمَه ووضَع على حَدّه فريضةً في كتابه أو سُنَّة نبيه صلى الله عليه وآله عَهْدًا منه عندنا محفوظا فالجُنود باذن الله حُصُون الرعية وزَيْن الوُلاة وعِزّ الدين وسُبلُ الأمْن وليس تَقوم الرعية الّا بهم ثم لاقِوامَ للجُنود الّا بما يُخْرِج الله تعالى لهم من الخَرَاج الذي يَقْوَوْن به في جِهاد عَدُوِّهم ويعتمدون عليه فيما يُصْلِحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قِوامَ لهَذيْن الصِنفين الا بالصِّنْف الثالث من القُضَاة والعُمّال والكتَّاب لمَا يُحْكِمون من المَعَاقِد ويَجْمَعون من المنافع ويُؤْتَمَنون عليه من خَواصّ الامور

وعَوَامّها ولا قِوامَ لهم جميعا الا بالتّجّار وذَوي الصّناعات فيما يجتمعون عليه من مَرَافِقهم ويُقيمونه من أسْواقهم ويكْفُونهم من التَّرَفّق بأيْديهم ما لا يَبْلُغ رفْق غيرهم ثم الكبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يَحُقُّ رِفْدُهم ومَعُونتهم وفي الله لكُلٍّ سَعَةٌ ولكُلٍّ على الوالي حَق بِقَدْر ما يُصْلِحه وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألْزَمه الله من ذلك الّا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نَفْسه على لزومه الحقّ والصبر عليه فيما خَفّ عليه أو ثَقُل فَوَلِّ من جُنُودك أنْصَحَهم في نَفْسك لله ولرسوله ولامامِك وأطْهَرَهُمْ جَيْبًا وأفْضَلَهم حِلْما ممن يُبْطئ عن الغضب ويَسْتَريح إلى العُذْر ويَرْأفُ بالضُعَفاء ويَنْبُو على الاَقْوِياء ممن لا يُثِيره العُنْف ولا يَقْعُد به الضّعْف ثم الْصَقْ بذوِي الْمُرُآت والاَحْساب وأهل البُيوتات الصالحة والسوابق الحَسَنة ثم أهل النَجْدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جِماعٌ من الكَرَم وشُعَب من العُرْف ثم تَفقّد من أمورهم ما يتَفَقّده الوالِدانِ من ولدهما ولا يتَفَاقَمَنّ في نفسك شئ قَوّيْتَهم به ولا تَحْقِرَنّ لُطْفا تتعاهَدهُم به وان قَلَّ فانّه داعِيةٌ إلى بَذْل النَصيحة لك وحُسْن الظَنّ بك ولا تَدَع تَفقُّد لطيف أمورهم اتّكالا على جَسِيمها فلن لليَسير مِن لُطْفك مَوْضِعا يَنْتَفِعُون به وللْجَسِيم مَوْقِعًا لا يَسْتَغْنُون عنه وليكن آثَرَ رؤوس جُنْدِك عندك مَن وَاساهُمْ في مَعُونته وأفْضَل عليهم مِن جِدَتِه بما يَسَعُهم ويَسَع من وراءهم مِن خُلُوف أهْلِهم حتى يكون هَمُّهم هَمًّا واحدا في جِهاد العدوّ فان عَطْفَك عليهم يُعَطّف قُلُوبَهم عليك وان أفْضَل قُرّة عين الوُلاة اسْتِقامة العَدْل في البلاد وظُهُورا مَوَدّة الرَّعيّة وانه لا تَظْهر مَوَدّتُهم الا بسلامة صدروهم ولا تَصِحّ نصيحتهم الا بِحِيطتهم

على وُلاة أمورهم وقِلّة استِثقال دُوَلِهم وتَرْك استِبطاء انقطاع مُـدّتهم فافْسَحْ في آمالهم وواصِل في حَسْن الثَنَاء عليهم وتَعْديد ما أبْلَى ذوو البلاء منهم فـانّ كَثْرَةَ الذِكر لِحُسْن فعَالِهم تَهُزّ الشّجاع وتُحَرِّضُ الناكِلَ ان شاء الـلـه تعـالى ثـم اعْرِف لِكُلّ امْرِئ منه ما أبْلَى ولا تُـضيفَنّ بـلاءَ امـرِئ إلى غـيره ولا تُقَـصّرَنّ بـه دون غاية بلائه ولا يَدْعُونّك شَرَفُ امرئ إلى أن تُعَظِّم من بَلائه ما كـان صـغيرا ولا ضَعَةُ امرئ أنْ تَسْتَصْغِر من بَلائه ما كان عظيما وارْدُدْ إلى الـلـه ورسوله ما يُضْلِعك من الخُطوب ويَشْتَبِه عليك من الأمور فقد قال سبحانه لِقَـوْم أحَـبَّ ارْشادَهم (يأيها الذين آمنوا أطِيعوا الـلـه وأطِيعوا الرسولَ وأُولِي الأمْـر مـنكم فان تَنَازَعْتُمْ في شئ فَرُدُّوهُ إلى الـلـه والرسول) فالرَّدُّ إلى الـلــه الأخـذ بمُحْكَـم كتابه والرَّدُ إلى الرسول الأخْذ بسُنَّته الجامعية غيَر المُفَرَّقه ثم اخْتَرْ للْحُكْـم بـين الناس أفْضَل رَعيّتك في نَفْسك ممَّن لا تَضِيق به الامور ولا تُمَحِّكُه الخُـصُوم ولا يَتَمادى في الزَّلـة ولا يَحْـصَر عـن الفَـئْ إلى الحَـقّ اذا عَرَفـه ولا تُـشْرِف نَفْـسُه على طَمَع ولا يَكْتَفِي بأدْنَى فَهْـم دون أقـصاه أوْقَفَهـم في الـشُبُهات وآخَـذَهم بالحُجَج وأقَلَّهم تَبَرُّما بمراجعة الخَصْم وأصْبَرَهم على تَكْشيف الأُمور وأصْرَمَهم عند اتّضاح الحُكم ممـن لا يَزْدَهِيـه إطـرَاء ولا يَـسْتَمِيله اغْـراء وأولئـك قَلِيـل ثم أكْثِرْ تَعاهُد قَضائه وافْسَح له في البَذْلِ ما يُزيح علَّتَه وتَقلّ معه حاجَتُه إلى الناس وأعْطه مـن المنزلـة لـدَيكَ مـالا يَطْمَـع فيـه غـيرُه مـن خاصـتِك لتـأمن بذلك اغتِيال الرِجال له عِندَك فانْظُر في ذلك نَظَرا بَلِيغـا فـانّ هـذا الـدِّين قـد كان أسيرا في أيْـدي الاشْرار يُعْمـل فيـه بـالهَوى وتُطْلـب بـه الـدُّنيا. ثـم انْظُـرْ في أمُــور عُمَّالِــك فاســتَعْمِلْهُم اختبــارًا ولا تُــوَلِّهم مُحابــاةً وأثَــرَةً فــانهم

جِماعُ من شُعَب الجَوْر والخِيانة وتَوَخَّ منهم أهل التَجْربـة والحَيـاء مـن أهـل البيُوتات الصالحة والقِدَم في الاسْلام فانهم أكْرَمُ أخْلاقا وأصَحّ أعْراضـا وأقَـلّ في المطامع اشرَافًا وأبلغُ في عواقِب الأمور نَظَرًا ثم أَسْبغ عليهم الأرزاق فان ذلـك قوّةٌ لهم على اسْتِصْلاح أنْفُسِهم وغِنًى لهم عن تَناوُلِ ما تحت أيْـديهم وحُجّـة عليهم ان خالَفُوا أمْرَك أو خانُوا أمانَتَك ثم تَفَقَّدْ أعمالَهم وابْعَث العُيُـون مـن أهل الصِدقْ والوفاء عليهم فانّ تَعاهُدك في الـسّر لأمـورهم حَـدْوةٌ لهـم عـلى اسْتعمال الامَانة والرِفْق بالرَّعِيّة وتَحَفّظ من الاعوان فانْ أحدٌ منهم بَسَط يَدَه إلى خِيانـة اجْتَمَعَـتْ بهـا عليـه عنـدك أخْبـار عُيُونِـك اكْتَفَيْـتَ بـذلك شـاهدًا فَبَسَطْتَ عليه العُقُوبة في بَدَنه وأخَذْتَه بما أصابَ من عملِـه ثـم نَـصَبْتَه بمقـام المَذلّة ووَسَمْته بالخِيانة وقَلَّدتَه عارَ التُّهَمَة. وتَفَقَد أمر الخَرَاج بما يُصْلح أهلَـه فان في صلاحه وصلاحهم صلاحًا لمن سِواهم ولا صَلاحَ لمن سِواهم الّا بهـم لان الناس كُلّهم عيالٌ على الخَرَاج وأهْلِه وليكن نظـرُك في عـمارة الارض أبْلَـغَ مـن نَظَرك في اسْتجْلاب الخَراج لأن ذلك لا يُدْرَك الّا بالعمارة ومَن طلـبَ الخـرَاج بغير عمارة أخْرَب البلادَ وأهلك العِباد ولم يَسْتَقم أمْـرُه الّا قَلـيلا فـانْ شَـكَوْا ثِقَلًا أو عِلّة أو انْقطاع شِرْبٍ أو بالَّةً أو احالةَ أرض اغْتَمَرها غَـرَقٌ أو أحْجَـف بها عَطَشٌ خَفَّفْتَ عنهم بما تَرْجو أن يَصْلُح به أمْرُهم ولا يَـثْقُلَن عليـك شـئٌ خَفَّفْت بـه المؤونـة عـنهم فانـه ذُخءر يَعُـودون بـه عليـك في عِـمارة بَلَـدِك وتَـزْيين ولايَتِـك مـع اسـتجلابك حُـسْنَ ثنـائهم وتَبَجُّحـك باستفاضـة العَـدْل فيهم مُعْتمدًا فَضْلَ قُـوَّتهم بمـا ذَخَـرْت عنـدهم مـن اجْمامِـك لهـم والثِقـة منهم بما عَوّدْتَهم من عَدْلك عليهم في رِفْقـك بهـم فربمـا حَـدَث مـن الأمـور

ما اذا عُوِّلَ فيه عليهم من بَعْدُ احْتَمَلُوه طَيِّبَة أنْفُسُهُم به فان العُمْران يَحْتمِل ما حَمَّلْتَه وانما يأتي خَراب الارض من اعْواز أهْلِها وانما يُعوْز أهْلُها لإشْراف أنْفُس الوُلاة على الجمع وسُوء ظَنِّهم بالبَقاء وقلّة انتِفاعِهِم بالعِبرَ. ثم انْظُر في حال كُتَّابك فَوَلِّ على أمُورِك خَيْرَهم واخْصُصْ رَسائلَك التي تُدْخل فيها مكائدَك وأسرارَك بأجمعِهم لوُجوه صالح الاخْلاق ممن لا تُبْطره الكَرامة فَيَجْتَرِئ بها عليك في خِلافٍ لك بحَضْرة مَلأ ولا تُقَصِّر به الغَفْلة عن ايراد مكاتَبات عُمّالِك عليك واصدار جَواباتِها على الصَواب عنك فيما بأخُذُ لك ويُعْطى منك ولا يُضْعِف عَقْدًا اعْتَقَده لك ولا يَعْجِز عن اطلاق ما عُقد عليك ولا يَجْهَل مَبْلَغ قَدْر نفسه في الأمور فان الجاهل بقَدْر نفْسه يكون بقدر غيره أجْهلَ ثم لا يكن اختيارُك ايّاهم على فِراستك واستنامتك وحُسْن الظن منك فانّ الرجال يَتَعَرَّفون لِفراسات الوُلاة بتصَنُّعِهم وحُسن خِدمِتهم وليس وراءَ ذلك من النصيحة والأمانة شئ ولكن اخْتَبِرْهم بما وَلُوا للصالحين قَبْلك فاعْمد لِأحْسنِهم في العامّة أثَرًا وأعْرَفِهم بالآمانة وَجْهًا فان ذلك دليلٌ على نصيحتك لله ولمن وَليتَ أمْرَه واجعل لرأس كلٍّ من أمورك رأسا منهم لا يَقْهَره كبيرُها ولا يَتَشتَّت عليه صغيرُها ومهما كان في كُتّابك من عَيب فَتَغابَيْتَ عنه الْزِمْتَه. ثم اسْتَوْص بالتجّار وذَوي الصناعات وأوْصِ بهم خيرا المُقيم منهم والمُضْطرِب بمالِه والمُتَرَفِّق ببَدنه فانهم مَوادّ المنافع وأسباب المَرافق وجُلّابُها من المَباعِد والمَطارِح في بَرِّك وبَحْرِك وسَهْلك وجَبَلك وحيث لا يَلْتَئم الناسُ لمواضعِها ولا يَجْتَرؤون عليها فانهم سِلْمٌ لا تُخَافُ بائقَتُه وصُلْحٌ لا تُخْشَى غائلُته وتَفَقَّدْ أمورَهم بحضْرتك وفي

حَواشي بلادك واعْلَم مع ذلك انّ في كثير منهم ضِيقا فاحشًا وشُحًّا قبيحًا واحتكارا للمنافع وتَحَكُّما في البِياعات وذلك بابُ مَضَرّةٍ للعامّة وعَيبٌ على الوُلاة فامْنَع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله مَنَع منه وليكن البيع بيعا سمْحا بموازين عَدْلٍ وأسْعارٍ لا تُجْحِف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارَف حُكْرَةً بعد نَهْيِك إيّاه فَنِكّلْ به وعاقِب في غير إسْرافٍ ثم الله الله في الطَبَقة السُّفلَى من الذين لا حيلةَ لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البُؤْسَ والزَّمْنَي فان في هذه الطبقة قانِعًا ومُعْترًّا واحْفَظ لله ما اسْتَحْفَظَك من حَقّه فيهم واجعل لهم قِسْما من بَيْت مالِك وقِسْما من غَلّات صَوافِي الاسلام في كل بلد فان للاَقْصى منهم مِثل الذي للاَدْنَى وكُلٌّ قد اسْتُرْعِيتَ حقَّه فلا يَشْغَلَنَّك عنهم بَطَرٌ فانك لا تُعْذَر بتَضْييعك التافِهَ لِاحْكامِك الكثيرَ المُهِمّ فلا تُشْخِصْ هَمّك عنهم ولا تُصَعِّر خَدَّك لهم وتَفَقَّد أمورَ مَن لا يَصِلُ إليك منهم ممن تَقْتَحِمه العيون وتَحْتَقرهُ الرجال ففَرِّغ لأولئك ثِقَتَك من أهل الخَشْية والتواضُع فلْيَرْفَع إليك أمورَهم ثم اعْمَل فيهم بالاعْذار إلى الله سبحانه يوم تَلْقاه فان هؤلاء من بين الرَعيّة أحْوَجُ إلى الانْصاف من غيرهم فاعْذِرْ إلى الله في تأدِية حقه إليه وتَعَهَّد أهلَ اليتُمْ وذَوى الرِّقَّة في السّنّ ممن لا حِيلَة له ولا يَنْصِب للمسألة نَفْسه وذلك على الوُلاة ثَقيل والحَقّ كُلُّه ثَقيل وقد يُخَفِّفه الله على أقوام طَلَبوا العاقبَة فَصَبَّرُوا أنْفُسَهم ووَثِقوا بصدق مَوعُود الله لهم واجْعَلْ لِذَوي الحاجات منك قَسْما تُفَرِّغُ لهم فيه شَخْصك وتَجْلِس لهم مَجْلِسا عامّاً فتتواضَع فيه لله الذي خَلَقَك وتُقْعد عنهم جُنْدَك وأعوانَك من أحْرَاسك وشُرِطَك حتى يُكَلِّمك متكلِّمُهم غيْرَ مُتَتَعْتِع فانِّي سمِعتُ

رسولَ الـلـه صلى الـلـه عليه وآلـه يقـول في غـيرِ مَـوْطِن (لـن تُقَـدَّس أمَـةٌ لا يُؤْخَذ للضعيف فيها حقُّه من القَوِيّ غير مُتَتَعْتـع) ثـم احْتَمِـل الخُـرْق مـنهم والعِيّ وسَنِّح عنهم الضِيق والأنَفَ يَبْسُط الـلـه عليـك بـذلك أكْنـافَ رحمتـه ويُوجِبْ لك ثوابَ طاعِته وأعِط ما أعْطَيْتَ هنيأ وامْنعْ في إجْمالٍ وإعْـذارٍ. ثـم أمورٌ من أمُورك لابُدَّ لك من مُباشَرتِها منها إجابةُ عُمَّالك بما يَعْيَـأ عنـه كُتَّابـك ومنها اصْدارُ حاجات الناس يومَ وُرودِها عليك مما تَحْرَج بـه صـدورُ أعوانـك وأمْض لكل يوم عَمَلَه فان لكل يوم ما فيه واجعـل لنفـسك فـيما بينـك وبـين الـلـه تعالى أفضل تلك المواقيت وأجْـزَلَ تلـك الأقـسام وان كانـت كُلّهـا لله اذا صَلَحَتْ فيها النِيّة وسَلَمَت منها الرِعيّة وليكن في خاصّة ما تُخْلِص لله به دِينَك إقامةٌ فرائِضة التي هى له خاصة فأعْطِ الـلـه من بَدَنِك في لَيْلِك ونَهـارِك ووَفِّ ما تَقَرِّبْتَ به إلى الـلـه سبحانه من ذلك كاملا غيرَ مَثْلُوم ولا منقوص بالِغا مِن بَدَنِك ما بَلَغ واذا قُمْتَ في صلاتك للناس فلا تكوننّ مُنَفِّـرا ولا مُـضَيِّعا فـان في الناس من به العِلّة وله الحاجة وقد سألتُ رسول الـلـه صلى الـلـه عليـه وآلـه حين وَجَّهَني اليَمَن كيف أصَلّي بهم فقـال (صَـلِّ بهـم كـصلاة أضْـعَفِهِم وكُـنْ بالمؤمنين رحيما) وأمّا بعدُ فـلا تُطَـوِّلَنَّ احتِجابَـك عـن رَعيَّتـك فـانّ احتجـابَ الوُلاة عن الرعية شُعْبة من الضيق وقِلّة عِلْمٍ بالأمور والاحتجاب منهم يَقْطَـع عنهم عِلْمَ ما احتَجَبوا دونـه فيَـصْغُر عنـدهم الكبـير ويَعْظُـم الـصغير ويَقْـبُح الحَسَن ويَحْسُن القبيح ويُشاب الحق بالباطل وانما الـوالي بَـشَرٌ لا يَعْـرِف مـا تَـوارَى عنـه النـاسُ بـه مـن الأمـور وليـست عـلى الحـق سِـماتٌ تُعْـرَف بهـا ضُروب الصِق من الكذب وانما أنتَ أحد رَجُلين إمّا امْرُؤٌ سَخَت نفسك بالبَـذْل

في الحق ففيمَ احتجابُك مِن واجِب حقٍ تُعْطيه أو فِعْل كريم تُسْدِيه أو مُبْتَلِي بالمَنْع فما أسْرَع كَفّ الناس عن مَسألِتك اذا أيِسُوا من بَذْلِك مع أنّ أكثر حاجات الناس إليك مما لا مَؤُنة فيه عليك من شَكاةِ مَظْلَمة أو طَلَب انصاف في مُعامَلة. ثم انّ لِلوالي خاصةً وبِطانة فيهم اسْتِئْثار وتَطاوُلٌ وقلة إِنْصافٍ في معُاملة فاحْسِم مادة أولئك بقَطع أسباب تلك الاحوال ولا تُقْطِعَنّ لأحدٍ من حاشِيَتِك وخاصَّتِك قطيعة ولا يَطْمَعَنّ منك في اعتقادِ عُقْدةٍ تَضُرُّ بمن يَليها من الناس في شِرْبٍ أو عَمَل مشتَرَكٍ يَحْمِلون مَؤونَتَه على غيرهم فيكون مَهْنَأً ذلك لهم دونك وعيبُه عليك في الدنيا والآخرة وألْزِم الحقّ من لَزِمه من القريب والبعيد وكُن في ذلك صابِرًا محتسبا واقِعا ذلك من قَرابتك وخاصَّتك حيثُ وَقَع وابْتَغ عاقِبَتَه بما يَثْقُل عليك منه فانذ مغبّة ذلك محمودة وان ظَنَّت الرعية بك حَيفْا فأصْحِرْ لهم بُعذْرِك واعْدِلْ عنك ظُنُونَهم بِاصْحارك فانّ في ذلك رِياضَةً منك لنفسك ورِفْقًا برعيتك وإعْذَارًا تَبْلُغ به حاجَتَك من تَقْويمِهم على الحقّ ولا تَدْفَعَنّ صُلْحا دَعَاك إليه عَدُوّك ولله فيه رِضًا فانّ في الصُّلْح دَعَةً لجُنُودك وراحةً من هُمُومك وأمنًا لبلادك ولكن الحَذَر كلَّ الحَذَر من عَدُوّك بعد صُلْحه فانّ العَدُوّ رُبَّما قارَبَ لِيَتَغَفَّل فخذ بالحَزْم واتّهِم في ذلك حُسْن الظَّنّ وان عَقَدْتَ بَيْنك وبين عَدُوّك عُقْدة أو ألْبَسْته منك ذِمّة فَحُطْ عهدَك بالوَفاء وارْعَ ذِمّتَك بالأمانة واجعل نفسك جُنَّة دون ما أعطيتَ فانه ليس من فرائض اللـه شيٌّ الناسُ أشَدُّ عليه اجتماعا مع تَفَرُّق أهْوَائِهِم وتَشَتُّت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعُهود وقد لَزِم ذلك المُشْرِكون فيما بيْنَهم دونَ المسلمين لِمَا اسْتَوْبَلُوا من عَوَاقب الغَدْر فلا تَغْدِرَنّ بِذمّتك

ولا تَخِيسَنّ بعَهدك ولا تَخْتِلَنّ عَدُوّك فانه لا يَجْتَرِئ على الله الا جاهِل شقِي وقد جعل الله عَهْدَه وذِمّتَه أمْنًا أفْضَاه بين العباد برحمته وحَرِيما يَسْكُنُون إلى مَنَعَتِه ويَسْتَفِيضون إلى جِوَارِه فلا إدْغال ولا مُدَالَسَة ولا خِدَاع فيه ولا تَعْقِدْ عَقْدًا تَجوز فيه العِلَلُ ولا تُعَوِلَنّ على لَحْن قَوْلٍ بعد التأكيد والتَوْثِقَة ولا يَدْعُوَنّك ضِيق أمْرٍ لَزِمَك فيه عَهْدُ الله إلى طلب انْفِسَاخه بغير الحقّ فانّ صَبْرَك على ضيق أمرٍ تَرْجُو انْفِراجَه وفَضْلَ عاقِبَتِه خَيْرٌ من غَدْر تَخَاف تَبِعَتَه وأن تُحيط بك فيه من اللخ طَلَبِةٌ فلا تَسْتَقِيل فيها دُنْياك ولا آخِرَتك إيّاك والدّماءَ وسَفْكَها بغير حِلِّها فانه ليس شئ أدْعى لِنِقْمَةٍ ولا أعْظَمَ لِتَبِعَةٍ ولا أحْرَى بزَوَال نِعْمة وانقطاع مُدة من سَفْك الدِّماء بغير حَقّها والله سبحانه يَتَوَلّى الحُكْم بين العباد فيما تَسَافَكوا من الدِّماء يومَ القيامة فلا تُقَوِّيَنّ سُلْطَانَك بسَفْك دَم حَرَام فانّ ذلك مما يُضْعِفُه ويُوهِنُه بل يُزيلُه ويَنْقلُه ولا عُذْرَ لك عند الله ولا عندي في قَتْل العَمْد لأنّ فيه قَوَدَ البَدَن وان ابْتُلِيت بخَطأ وأفْرَط عليك سَوْطُك أو سيفُك أو يدُك بعُقُوبة فانّ في الوَكْزَة فما فوقها مَقْتَلة فلا تَطْمَحَنّ بك نَخْوَة سُلْطانِك عن أن تُؤَدِّي إلى أولياء المَقْتول حَقَّهم وايّاك والاعْجَاب بنفسك والثِقَةَ بما يُعْجبك منها وحُبَّ الاطْراء فانّ ذلك من أوْثق فُرَص الشَيطان في نفسه ليَمْحَقَ مايكون من احسان المحسنين وايّاك والمَنَّ على رَعِيَّتِك باحسانك أو التَزَيُّد فيما كان من فِعْلِك أو أن تَعِدهُم فَتُتْبِع مَوْعِدَك بِخُلْفِك فانّ المَنّ يُبْطِل الاحسانَ والتَزَيُّد يَذْهب بنور الحق والخُلْفَ يوجب المَقْت عند الله والناس قال الله سبحانه (كَبُرَ مَقْتًا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) وإيّاك والعَجَلة بالأمور قبلَ أوانِها أو التَسَقُّط

فيها عند إمكانها أو اللّجاجَة فيها اذا تَنَكَّرَتْ أو الوَهْنَ عنها اذا اسْتَوْضَحَتْ فَضَعْ كُلَّ أمْرٍ مَوْضِعَه وأوْقِعْ كُلَّ عَمَل مَوْقِعَه وايّاك والاستئْثار بما الناسُ فيه أسْوَةٌ والتَّغَابِي عما يُعْنَى به مما قد وضَحَ للعُيُون فانه مأخوذٌ منك لغَيرك وعما قَليلٍ تَنْكشف عنك أغْطِيَةُ الأمور ويُنْتَصَف منك للمظلوم إمْلِكْ حَمِيَّةَ أنْفِك وسَوْرةَ حَدِّك وسَطْوَةَ يَدِك وغَرْب لسانِك واحْتَرِس من كل ذلك بكَفّ البادِرة وتأخير السَطْوة حتى يسكُن غَضَبُك فَتَمْلِكَ الاخْتيارَ ولَن تَحْكُم ذلك من نفسك حتى تَكثُرَ هُمُومُك بذكْر المَعَاد إلى رَبّك والواجبُ عليك أن تَتَذَكَّر مامضى لِمَن تَقَدَّمك من حكومةٍ عادلةٍ أو سُنَّةٍ فاضِلة أو أثَرٍ عن نَبِيّنا صلى الله عليه وآله أو فريضة في كتاب الله فَتَقْتَدِي بما شاهَدْت مما عَمِلْنا به فيها وتَجْتَهِد لنفسك في اتّباع ما عَهِدْت إليك في عَهْدي هذا واسْتَوْثَقْتُ به من الحُجَّة لنفسي عليك لكَيْلا يكونَ لك عِلّة عند تَسَرُّع نفسك إلى هَواها وأنا اسأل الله بسعَة رَحْمته وعَظيم قُدْرته على إعْطاء كُلّ رَغْبة أن يُوَفِّقَني وايّاك لِمَا فيه رِضاهُ من الاقامة على العُذْر الواضِح إليه وإلى خلْقه مع حُسْن الثَنَاء في العباد وجميل الأثَر في البلاد وتمام النّعمة وتَضْعيف الكرامة وأن يَخْتِمَ لي ولك بالسَعَادة والشَهَادَة إنا إلى الله راغبون والسلامُ على رسول الله صلى الله عليه وآله الطّيّبين الطّاهرين ومن ظريف أخبار ابن أبي عَتيق أن عثمان بن حيّان المُرّي لما دخل المدينة والِياً عليها اجْتَمع الأشْراف عليه من قريش والانصار فقالوا له انك لا تعمَل عملا أجْدى ولا أولى من تحريم الغِناء والرثاء ففعل وأجَّلهم ثلاثا فقِدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة فَحَطّ رَحْلَه بباب سَلامة الزَرْقاء وقال لها بَدَأتُ بِك قبل

أن أصير إلى مَنْزلي فقالت أو ما تَدْرِي ما حَدَث وأخْبَرَتْه الخَبَر فقال أقيمي إلى السَحَر حتى ألْقاه فقالت إنّا نَخاف أن لا تُغْنِيَ شيئا ونُنْكَظ (أي نُعْجَل) فقال انه لا بأس عليك ثم مضى إلى عثمان فاستأذَنَ عليه فأخْبَرَه أن أخَذَ ما أقْدَمه عليه حُبّ التسليم عليه وقال له انّ من أفْضَل ما عَلِمت به تحريمَ الغِناء والرِثاء فقال ان أهْلَك أشارُوا عليّ بذلك قال فانك قد وُفِّقْت ولكني رسول امرأةٍ إليك تقول قد كانت هذه صناعتي فَتُبْتُ إلى الله منها وأنا أسألُك أيُّها الامير أن لا تَحُول بينها وبين مُجَاورَة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان إذَنْ أدَعها لك قال إذَنْ لا يدَعَها الناس ولكن تَدْعو بها فَتَنْظُر إليها فان كانت ممن يُتْرَك تَرَكْتها قال فادْعُ بها قال فأمَرَها ابن أبي عتيق فَتَقَشَّفَتْ وأخَذَتْ سُبْحَة في يَدها وصارت إليه وحدَّثَتْه عن مآثر آبائه ففَكِه لها فقال لها ابن أبي عتيق اقْرَئي للامير فَفَعَلَتْ فأعْجِبَ بذلك فقال لها فاحْدي للامير فحرّكه حُدَاؤها ثم قال لها غيّري للامير فجعل يُعْجب بذلك عثمان فقال له ابن أبي عتيق فكيف لو سَمِعتها في صِناعتها فقال له قُلْ لها فَلْتَقُلْ فأمَرَها فَتَغَنَّتْ

سَدَدْنَ خَصَاصَ الخَيْمِ لَمّا دَخَلْنَه بكُلِّ لَبَانٍ واضح وجَبين

فنزل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديها ثم قال لا والله ما مِثْلُك يُخْرَجُ عن المدينة فقال له ابن أبي عتيق اذًا يقول الناسُ أذِنَ لسَلامة في المُقام ومَنع غيْرهَا فقال له عثمان قد أذِنْتُ لهم جميعا

قال التَّوَّزِي بَيْنما نحن في المسجد الجامع بالكوفة وأهلُ الكوفة يومئذ ذَوُو حال حَسَنَة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه اذ أتى آتٍ فقال هذا الحجاج قد قدِم أميرا على العِراق فاذا به قد دخل المسجد مُعْتَما بعمامة قد غَطّى بها أكْثَر وَجْهه متقلِّدا سيفا متَنكّبا قَوسا يَؤُم المِنبر فقام الناس نَحْوَه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بني أمَيْة حيث تستعمِل مثلَ هذا على العِراق حتى قال عُمَير بن ضابئ البُرْجُمِيُّ ألَا أحْصِبُه لكم فقالوا أمْهِلْ حتى نَنْظر فلما رأى عيونَ الناس إليه حَسَرَ اللثام عن فيه ونَهَض فقال

أنا ابْنُ جَلَا وطَلّاع الثَّنايا ... متى أضع العِمامة تعِرفوني

ثم قال يأهل الكوفة إنّي لأرى رُؤوساء قد أيْنَعَتْ وحان قطافُها وانّي لَصاحِبُها وكأنّي انْظُر إلى الدِّماء بين العمائم واللِّحَى ثم قال

هذا أوان الشَدّ فاشتَدِّي زِيَمْ ... قد لَفَّها الليل بسَوّاق حُطَمْ
ليس براعي اِبلٍ ولا غنم ... ولا بجَزّار على ظَهْرِ وضَمْ

ثم قال

قد لَفّها الليلُ بعَصْلَبِيّ ... أرْوَعَ خَرّاج من الدّوِّيّ

" مُهاجِر ليس بأعْرابِّي "

وقال

قـد شَـمَّرَتْ عـن سـاقها فـشُدّوا وجَــــدّت الحَــــرْبُ بكـــم فَجِـــدّوا
والقَـــوْس فيهـــا وتَـــرٌ عُـــرُدّ مِثْـــــلُ ذراع البَكْـــــر أو أشَـــــدّ

لابُدّ مما ليس مِنه بُدّ

إنّي والـلـه يأهْل العِراق ما يُقَعْقَع لي بالـشِنان ولايُغْمِـز جـانِبي كَـتَغْمازَ التِـين ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء وفُتِّشْت عن تَجْربة وان أمير المؤمنين أطال الـلــه بقـاءه نَثَر كِنانَتَه بين يديه فَعجَم عِيدانَها فَوَجَدني أمَرَّها عُـودًا وأصْـلَبَها مَكْـسَرا فرَمـا كم بِي لأنّكم طالَ ما أوْضَعْتُم في الفتنة واضطجعتم في مراقـد الـضلال والـلــه لأحْزِمَنَّكم حَزْم السَلَمَة ولأضْرِبَنَّكم ضَرْبَ غرائـب الإِبِـل فـانكم لَكَأهْـل قَريـة كانت آمِنة مُطْمئنة يأتيها رزقُهـا رَغَـدًا مـن كـل مكـان فكَفَـرَت بـأنْعُم الـلــه فأذاقَها الـلـه لِباسَ الجوع والخوف بما كانو يصنعون وانّي والـلــه مـا أقـول الّا وَفّيـت ولا أهُـمّ الّا أمْـضَيت ولا أخْلُـق الّا فَرَيـتُ وان أمـير المـؤمنين أمَـرَني باعطائكم أعْطِياتكم وأنْ أُوَجِّهكم لمحاربة عدوّكم مـع المُهَلّـب بـن أبي صُـفْرة واني أقسم بالـلـه لا أجد رجلا تخلّف بعد أخْذ عطائه بثلاثـة أيـام الا ضربـت عُنُقَه يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ

بـسم الـلــه الـرحمن الـرحيم مـن عبـد الـلــه عبـد الملـك أمـير المـؤمنين إلى مَن بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يَقُل أحد منهم شيئا فقال الحجاج اكفُف يا غلام ثـم أقبـلَ عـلى النـاس فقـال أسَـلَّم عـليكم أمـير المـؤمنين فلـم

تَرُدُّوا عليه شيئا هذا أدَب ابن نهِيْة أمَا والـلـه لأُؤَدِّبَـنّكم غـيرَ هـذا الأدب أو لتَسْتَقيمُنّ اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلـغ إلى قولـه سـلام علـيكم لم يَبْق في المسجد أحَد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام

(زَعَم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشُرْطة بالبـصرة قَبْـل الحَجّـاج) ثم نزل فوضع للناس أعطياتِهم فجلعوا يأخذون حتى أتـاه شـيخ يَـرْعَش كِـبَرا فقال أيُّها الأمير انّي من الضَعْف على ما ترى ولِي ابْنٌ هـو اقْـوَى عـلى الأسْـفار مِنّي فقال له الحجاج نَفْعَل أيها الشيخ فلما وَلّى قال له قائل أتَدْرِي مَـن هـذا أيها الأمير قال لا قال هذا عُمَير بن ضابئ البُرْجُمِي الذي يقول أبوه

هَمَمْتُ ولم أفْعَـل وكـدتُ وَلَيْتَنـي تَركــتُ عــلى عــثمان تــبكِي حَلائلُــهْ

ودخل هذا الشيخ على عثمان مَقْتُولا فوطِئ بَطْنَه فكسر ضِـلعَيْن مـن أضـلاعه فقال رُدُّوه فلما رُدّ قال له الحَجّاج أيُّها هَلّا بَعَثْتَ إلى أمير المؤمنين عثمان بَدَلًا يومَ الدار انّ في قَتْلِك أيها الـشيخ لَـصَلاحا للمـسلمين يـا حَـرَسِيُّ اضْرِبـا عُنُقَـه فَجَعَل الرجل يَضِيق عليه أمْرُه فَيَرْتَحِل ويأمُرُ وَلّيه أنْ يَلْحَقَه بزادِه ففـي ذلـك يقول عبد الـلـه بن الزَّبِير الآسَدي

نَجَهَّـز فامّـا أنْ تَـزُور ابـنَ ضـابئ عُمَــيراً وإمّــا أنْ تَــزُورَ المُهَلَّبَــا
هــما خُطَّتَـا خَـسْفٍ نَجـاؤُك منهـا رُكُوبُــك حَوْلِيًّــا مــن الــثَلْج أشْــهَبَا
فأصْحَى ولـو كانـت خُرَاسـانُ دونَـه رآهـا مكـانَ الـسوق أو هـى أقْرَبَـا

لَمَّا بَلَغ طارقًا دُنُوّ لَذَرِيق قام في أصحابه فحمد اللـه وأثنى عليه بما هو أهلـه ثم حثّ المسلمين على الجهاد ورغّبهم ثم قال أيها الناس أين المَفَرّ البَحْـرُ مـن ورائكم والعدوّ أمَامكم وليس لكم واللـه الا الصدق والصبر واعلموا أنكـم في هذه الجزيرة أضْيَع من الأيتام في مَأدُبة اللئام وقد استَقْبَلَكم عَـدُوّكم بجيـشه وأسْلِحته وأقْواتُـه مَوْفُـورة وأنْـتُمْ لا وَزَر لكـم الا سُـيُوفكم ولا أقْـوات الّا مـا تستخلِصونه من أيدي عدوّكم وان امتدّت بكم الايام على افتقاركم ولم تُنْجزوا لكم أمْرًا ذهب رِيحُكم وتعوّضـت القلـوبُ مـن رُعْبهـا عـنكم الجُـرْأَةَ علـيكم فادفعوا عن أنفسكم خِذْلان هذه العاقبة من أمركم بمُناجرة هذا الطاغية فقد ألقَت به إليكم مَدينَتُه الحصينة وان انتهاز الفرصـة فيـه لَمُمكْـنِ ان سَـمَحْتم لانفسِكم بالموت وانّي لم أحَذِّركَم أمْرًا أنا عنه بَنْجـوةٍ ولا حَمَلْـتكم عـلى خُطّـة أرْخَصُ متاع فيها النفوسُ أبْدَأ بنفْسي واعلموا انكم ان صَبَرتم على الاشَقّ قليلا اسْتَمْتَعتم بالأرْفَه الألَذّ طويلا فلا تَرْغَبوا بأنفسكم عن نفسي فما حَظُّكـم فيـه بأوْفَرَ من حَظّى وقد بَلَغكم ما أنشأتْ هـذه الجزيـرة مـن الخـيرات العميمـة وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين مـن الابطـال عربانـا ورضـيَكُم لمُلوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثِقَةً منـه بارتيـاحكم للطعـان واسـتماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حَظُّه (منكم ثوابَ اللـه عـلى اعلاء كلمتـه واظهار دِينه بهذه الجزيـرة) وليكـون مغْنَمهـا خالـصة لكـم مـن دونـه ومـن دون المؤمنين سِواكم واللــه تعـالى ولُّى إنْجـادكم عـلى مـا يكـون لكـم ذِكـرًا

في الـدارين واعلمـوا أنّي أوّل مُجيـب إلى مـا دَعَـوْتكم إليـه واني عنـد مُلْتَقَـى الجَمْعين حامِلٌ بنفسي على طاغِية القوم لَـذَريق فقاتِلُـه ان شـاء اللـــه تعـالى فاحمِلوا معي فان هَلَكْـتُ بعـده فقـد كُفيـتم أمْـرَه ولم يُعْـوِزْكم بَطَـل عاقـل تُسْنِدون أمورَكم إليه وان هلكتُ قبل وصولي إليه فاخلُفوني في عزيمتـي هـذه واحمِلوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهمّ من فتح هذه الجزيرة بقتله

صفة الامام العادل

كتب عمر بن عبد العزيز رضى اللـه عنه لما وَلِيَ الخلافـة إلى الحـسن ابـن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الامام العادل فكتب إليه الحـسن رحمـة اللـه

اعلم يا أمير المؤمنين ان اللـه جعل الامام العادل قِوامَ كـل مائـل وقَـصْد كـل جائر وصَلاح كل فاسِد وقوّة كل ضعيف ونَـصَفَة كـل مظلـوم ومَفْـزَع كـل ملهوف والامام العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الـشفيق عـلى إبِلـه الرفيـق الذي يَرْتاد لها أطيبَ المَرْعَى ويَـذُودُها عـن مَرائـع المَهْلكـة ويَحْميهـا مـن السِباع ويكْنُفُها من أذَى الحرّ والقَرّ والامام العدل يا أمير المـؤمنين كـالأب الحاني على ولده يسعى لهم صغارا ويعلِّمهم كبـارا يكتـسب لهـم في حياتـه ويَدَّخرلهم بعد مماته والامام العدل يا أمير المـؤمنين كـالأم الـشفيقة الـبَرّة الرفيقة بولـدها حَمَلتْـه كُرْهـا ووضـعته كرهـا ورَبَّتْـه طِفـلا تـسهَر بـسَهَرِه وتَـسْكُن بـسكونه تُرْضِـعُه تـارةً وتَفْطِمُـه أخْـرَى وتفـرح بعافيتـه وتَغْـتَمّ

بِشكايِته والامام العدل يا أمير المـؤمنين وصِيّ اليتـامى وخـازن المـساكين يُـرَبِّي صغيرَهم ويمُون كبيرهم والامام العدل يا أمير المـؤمنين كالقلـب بـين الجَـوانح تَصْلح الجوانح بصلاحه وتفسُد بفساده والامـام العـدل يـا أمـير المـؤمنين هـو القائم بين الـلـه وبين عباده يَـسْمع كـلام الـلــه ويُـسْمعهم ويَنظـر إلى الـلــه ويُريهم وينقاد إلى الـلـه ويقودهم فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما مَلّكك الـلــه كعبدٍ ائْتَمنه سيِّده واسْتَحْفَظَه مالَـه وعيالَـه فَبَـدّد المـالَ وشَرّد العيـال فـأفقَرَ أهلَه وفَرَّق مالَه واعلم يا أمير المؤمنين ان الـلــه أنـزل الحُـدودَ ليَزْجربهـا عـن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها مَن يَليها وان الـلـه أنـزل القـصاص حيـاةً لعباده فكيف اذا قَتَلَهُم من يَقْتَصّ لهم واذكر يا أمير المؤمنين الموتَ وما بعده وقلة أشْياعِك عنده وأنصارك عليه فَتَزَوَّدْ له ولِما بَعْدَه من الفَزَع الاكبر واعلم يا أمير المؤمنين ان لك منـزلا غـيرَ منزلـك الـذي أنـت فيـه يطـول فيـه ثَـواؤُك ويُفارِقك أحبَّاؤُك يُسْلِمونك في قَعْرِه فريدا وحيدا فتَزَوُّدّ لـه مـا يَـصْحَبك يـومَ يَفِرُّ المَرْءُ من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبَنيه واذكر يا أمـير المـؤمنين اذا بُعْـثِر مافي القُبور وحُصِّل مافي الصدور فالأسْرَار ظاهرة والكتاب لا يُغادِر صـغيرةً ولا كبيرة الَّا أحْصاها فالآن يـا أمـير المـؤمنين في عبـاد الـلــه بحُكـم الجـاهلين ولا تَسْلُك بهم سبيل الظالمين ولا تُـسَلِّط المـستكبرين عـلى المستـضعَفين فـانهم لا يَرْقُبون في مؤمِنٍ إلَّا ولا ذِمَةً فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمـل أثقالـك وأثْقالًا مع أثقالك ولا يَغُرَّنَّك الذين يتَنَعَّمون بما فيه بُؤْسُك ويأكلون الطيبـات في دُنياهم بِإذهاب طيّباتِك في آخرتِك لا تَنْظُر إلى قُدْرِتك اليـومَ ولكـن انظـر إلى قدرتك غدًا وأنتَ مأسورٌ في حبائل الموت وموقوف بين يدي الـلـه في مَجْمَع من

الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عَنَت الوجوه للحيّ القيُّوم انّى يا أمـير المـؤمنين وان لم أبْلُغْ بِعظتِي ما بَلَغَه أولو النُّهَي من قَبْلِي فَلَمْ آلُكَ شفقةً ونصحًا فـأنْزِل كتابي إليك كمُداوي حبيبه يَسْقيه الأدْوية الكريهة لِـمَا يَرْجُـو لـه في ذلـك مـن العافية والصحة والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الـلـه وبركاته

وللفرزدق في وصف الامام زين العابدين

رضى الـلـه تعالى عنه

هـذا الـذي تَعْـرِف البَطْحـاءُ وطْأتَـه	**والبيـــتُ يعرفـــه والحِـــلّ والحَـــرَمُ**
هـذا ابـن خـير عبـاد الـلـه كلهـم	**هـــذا الَّقِّـــى النَّقِـــيّ الطـاهر العَلُـم**
اذا رأتـــه قـــريش قـــال قائلهـــا	**إلى مكـــارم هـــذا ينتهـــي الكـــرم**
يُنْمـىَ إلى ذِرْوة العِـزّ التـي قَـصُرت	**عـــن نَيْلهـــا عَـــرَب الاســـلام والعجـــم**
يَكـــاد يُمْـــسكه عرفـــانَ راحتـــه	**رُكْـــنُ الحَطـــيم اذا مـــا جـــاء يَـــسْتِلم**
في كفِّـــه خَـــيْزُرانٌ ريحُـــه عبِـــقٌ	**مـــن كَـــفّ أرْوَع في عِرْنِيـــه شَـــمٌم**
يُغـضِي حَيـاءً ويُغْـضَى مـن مَهابِتَـه	**فـــما يُكَلَّـــم إلَّا حـــين يَبْتَـــسم**
يَنْـشَقُّ نـور الهُـدَى مـن نُـور غُرَّتـه	**كالـشمس يَنْجـاب عـن إشْراقهـا القَـتَم**
مُـشْتَقَّة مـن كِـرامِ القـوم نَبْعَتُـه	**طابَـــت عَنـــاصِره والخِـــيمُ والـــشِيَمُ**
هـذا ابـن فاطمـةٍ ان كنـتَ جاهِلَـة	**بجَـــدِّه أنْبِيـــاءُ الـلـــه قـــد خُتِمـــوا**
الـلـــه شَرَّفَـــه قَـــدْرًا وعَظّمّـــه	**جَـــرَى بـــذك لـــه في لَوْحِـــه القَلَـــمُ**

ولـيس قَوْلُـك مَـن هــذا بـضائرِه العُـرْب تَعْـرف مَـن أنكـرتَ والعَجَـم
كلْتـا يَديـه غِيـاثٌ عَـمَّ نَفْعُهُـما يُـــسْتَوْكَفَانِ ولا يَعْـــرُوهما عَـــدَم
سَــهْل الخَلِيقــة لاتُخْــشَى بَـوَادِرُه يَزينــه اثنــان حُـسْن الخَلْـق والـشِيمَ
حَـمْال أثْقـال أقْـوامٍ اذا افْتَرَضـوا حُلْــو الــشَمَائل يَحْلــو عنــده نَعَـمٌ
مــا قــال لا قـطُّ الّا في تَـشَهُّده لـــولا التَـــشَهُّد كانـــت لاؤه نَعَـــم
عَـمَّ البَريّـة بالاحـسان فانْقَـشَعَتْ عنهــا الغَياهِـب والِأمْــلاق والعَــدَم
مـن معـشرٍ حُـبُّهم ديـنٌ وبُغْـضُهُمُ كُفْـــرٌ وقُـــرْبُهُم مَنْجًـــى ومُعْتَـــصَم
ان عُـدَّ أهـلُ التُقـى كـانوا أئمـتَهم أو قيل مَـن خَـيْرُ أهـلِ الأرض قيـل هُـمُ
لا يَـسْتَطيع جوابـا بعـد غـايتهم ولا يُـــدانيهِم قـــومٌ وان كَرُمُـــوا
هُـمُ الغُيـوثُ اذا مـا أزْمَـةٌ أزَمَـتْ والأَسْـدُ أَسْـدُ الـشَرَى والبَـأْسٌ مُحْتَـدِم
لا يَنْقُصُ العُـسْرُ بَـسْطًا مـن أكُفِّهـم سِـيَّانِ ذلــك إن أثْــرَوْا وان عَــدِموا
مُقَــدَّمٌ بعـد ذكْـر اللــه ذكْـرُهُمُ في كُــلِّ بَــدْءٍ ومَخْتــوم بــه الكَلِـم
يَـأْبَى لَهُـمْ أنْ يَحُـلَّ الـذَّمُّ سـاحَتَهُمْ خُلْــقٌ كَـريمٌ وأيِــدْ بالنَــدَى هُــضُم
أيُّ الخلائـــق ليـــست في رِقــابِهِم لأوّليَّـــــة هـــــذا أوْلَـــــهُ نِعَـــــمُ
مـن يَعْـرِف اللــه يَعْـرِف أوّليّـة ذا فالــدِّين مــن بيـتِ هــذا نالَـهُ الامـم

وخَطَب واصل بن عطاء وكان أَلْثَغَ بالراء

فكان لذلك يَتَجَنُّبُها في كلامه

الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية الذي عَلَا في دُنُوّه ودَنا في عُلُوّه فلا يَحْويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يَؤُودُه حِفْظُ ما خَلَق ولم يَخْلُقْه على مِثالٍ سَبَق بل أنْشَأه ابتداعا وعَدَّلَه اصطِناعا فأحْسَنَ كُلَّ شئ خَلَقَه وتَمَّم مَشيئَتَه وأوضح حِكْمَتَه فَدَلّ على ألوهِيّته فسبحانه لا مُعقّبَ لحُكْمه ولا دافِع لقضائه تواضَع كُلُّ شئ لعَظَمته وذَلّ كلُّ شئ لسلطانه ووسِعَ كلَّ شئ فَضْلُه لا يَعْزُب عنه مِثْقال حبَّة وهو السميع العليم وأشهد أن لا اله الا الله وحده الها تقدَّسَت أسماؤه وعَظُمت آلاؤه عَلَا عن صفات كلّ مخلوق وتَنَزّهَ عن شَبيه كل مصنوع فلا تَبْلُغه الأوهام ولا تُحيط به العقول ولا الافهام يُعصَى فَيَحْلُم ويُدْعَى فَيَسْمَع ويَقْبَل التوبة من عباده ويَعْفُو عن السيآت ويَعْلَم ما يفعلون وأشْهَدُ شهادةَ حَقٍّ وقَوْلَ صِدق باخلاص نِيّة وصِحّة طوِيّة أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه وخالِصَته وصَفِيّه ابْتَعَثَه إلى خَلْقه بالبَيِّنة والهُدَى ودين الحقِّ فَبَلَغ مَأْلُكَتَه ونَصَحَ لأمّته وجاهَدَ في سبيل الله لا تأْخُذه في الله لَومةُ لائم ولا يَصُدُّه عنه زَعْمُ زاعم ماضِيا على سُنَّته مُوفِيا على قَصْده حتى أتاه اليَقين فصلى الله على محمد وعلى آل محمد أفضلَ وأزكى وأتم وأنمى وأجلّ وأعلى صلاةٍ صلّاها على صَفْوَة أنْبِيائه وخالِصة ملائكتِهِ وأضْعافَ ذلك انه حميد مجيد أُوصيكم عبادَ الله مع نفسي بتقوى الله والعَمَل بطاعته والمُجَانبة

لمعصيته وأحُضّكم على ما يُدْنيكم منه ويُزْلِفكم لَدَيْه فان تقوى اللـــه أفـضلُ زاد وأحسن عاقبة في مَعَاد ولا تُلْهِيَنّكم الحياةُ الدنيا بزِينَتِها وخَـدْعها وفَـوَاتِن لذَّاتِها وشَهَوات آمالِها فانها متاعٌ قليل ومُدَّةٌ إلى حين وكلُّ شئ منها يَزُول فكم عايَنْتُم من أعاجيبها وكم نَصَبَتْ لكم من حَبَائلها وأهْلَكَـتْ ممـن جَـنَح إليهـا واعْتَمَدَ عليها أذاقتُهم حُلْوا ومَزَجَت لهم سُمّا أين الملـوك الـذين بَنُـوا المَـدَائن وشَيّدوا المصانع وأوثَقُوا الأبواب وكاثفوا الحِجَاب وأعَدُّوا الجِيادَ ومَلكـوا الـبلاد واسْـتَخْدَموا الـتِلاد قَبَـضَتْهُم بمَجْمَلِهـا وطَحَنَـتْهُم بكَلْكَلهـا وعَـضَّتهم بأنيابِهـا وعاضَتْهُم من السَعة ضيقا ومن العِزّة ذُلا ومـن الحَيـاة فَنَـاء فَـسَكَنُوا اللّحُـود وأكَلَهُم الدُّود وأصْبَحُوا لا تَرىَ الّا مَـسَاكنهم ولا تجـد الّا مَعَـالِمَهم ولا تُحِـسّ منهم من أحد ولا تَسْمَع لهم نَبْسا فَتَـزَوَّدُوا عافـاكم اللـــه فـانّ أفْـضَلَ الـزَاد التَقْوىَ واتقوا اللـه يا أولي الألباب لعلكم تفلحون جَعَلَنا اللـه وايّـاكم ممـن يَنْتَفِع بمَوَاعِظِه ويَعْمَل لَحظِّه وسَعَادَته وممن يَـسْتَمِع القـولَ فَيَـتَّبِع أحْـسَنَه أولئك الذين هَداهُم اللـه وأولئك هم أولو الألباب انّ أحْسن قَصَص المؤمنين وأبْلَغ مَوَاعِظ المُتَّقين كتابُ اللـه الزَّكيّة آياتُه الواضِحة بيّناته فاذا تُـلِى علـيكم فَأنْصِتُوا له واسْمَعُوا لعلكم تفلحون أعوذ باللـه القَوِيّ مـن الـشيطان الغَـوِيّ انّ اللـه هو السميع العليم قل هو اللـه أحَد اللـــه الـصَمَد لم يَلـدْ ولم يُولَـدْ ولم يكن له كفوا أحد ثم قال - نَفَعنا اللـه واياكم بالكتـاب الحكـيم والـوَحْي المُبين وأعاذَنَا واياكم من العذاب الأليم وأدْخَلنَا واياكم جنّات النعيم

كتاب عبد اللـه بن معاوية بن عبد اللـه بن جعفر

إلى بعض اخوانه يعاتِبه

بسم اللـه الرحمن الرحيم

أما بعد فقد عاقَني الشَكّ في أمْرِك عن عَزيمة الرأي فيك وذلك أنك ابْتَدَأتَني بلُطْفٍ عن غير خِبْرة ثم أعْقَبْتَني جَفَاءً عن غير جَريرة فأطْعَمَني أوَّلُك في اخائك وأيأْسَني آخِرُك عن وَفَائك فَلَا أنا في اليَوْم مُجْمِع لك اطّراحا ولا أنا في غَدٍ وانتظاره منك على ثِقَة فسبحان مَن لو شاء كَشَفَ بايضاح الرّأي في أمْرِك عن عَزيمة الشّكّ فيك فاجْتَمَعْنا على ائْتِلاف أو افْتَرَقْنا على اختلاف والسلام

وكتب وهو في السجن إلى أبي مسلم

صاحب الدعوة يَسْتَعْطفه

بسم اللـه الرحمن الرحيم

من الأسِير في يَدَيه بِلا ذَنْبٍ إليه ولا خِلافٍ عليه (أما بعد) فآتاك اللـه حِفْظَ الوَصِيّة ومَنَحك نَصيحةَ الرَّعِيّة وألْهَمَك عَدْل القَضِيّة فانك مُسْتَوْدَع الوَدائع ومُولِي الصَنائع فاحفظْ ودائعَك بحسن صَنائعك

فالودائع عارِيَّة والصانع مَرْعِيّة وما النِّعَمُ عليك وعلينا فيك بِمَنْزُورٍ نَـدَاها ولا بِمَبْلُوغ مَدَاها فَنَبِّه للتّفْكير قلبَك واتَّق الـلـه رَبّك واعْـطِ مِـنْ نفـسك مَـن هـو تَحْتَك ما تُحِبّ أن يُعْطيَـك مـن هـو فوْقَـك مـن العَـدْل والرّأفـة والأمْـن مـن المخافة فقد أنعم الـلـه عليك بأن فوّض أمْرَنا إليك فاعْرِفْ لنا لِينَ شُكْر المَـوَدَّة واغتِفار مَسّ الشِّدّة والرضا بما رَضِيتَ والقناعة بما هَوِيتَ فان علينا مِن سَمْك الحدِيد وثِقْله أذى شـدِيداً مـع مُعالجـة الأغْـلال وقلّـة رحمـة العُـمال الـذين تَسْهيلُهم الغِلْظة وتَيْسيرهُم الفظاظة وايرادُهم علينا الغُموم وتَـوْجيهُهُم إلينـا الهموم زِيـارتُهم الحِراسـة وبِـشارَتُهم الإِياسـة فإليـك بعـد الـلـه نَرْفَـع كُرْبَـةَ الشَكْوَى ونَشْكو شدّة البَلْوى فَمَتَى تَمِـلْ إلينـا طَرْفًـا وتُؤَلِنـا منـك عَطْفًـا تجـد عندنا نُصْحا صَريحا ووُدًّا صحيحا لا يُضَيّع مثلُـك مثلَـه ولا يَنْفِـي مثلـك أهلَـه فارْعَ حُرْمة مَن أدْرَكْتَ بحُرْمته واعْرِف حُجّة من فَلَجْت بحُجّته فان الناسَ مِن حَوْضِك رِوَاء ونَحْن مِنه ظِماء يمشون في الابـراد ونحـن نَحْجِـل في الأقْيـاد بعـد الخير والسَعة والخَفْض والدَّعة والـلـه المُستعانُ وعليه التُّكْلان صَرِيح الأخبـار مَنْجي الأبْرار الناسُ من دَوْلَتنا في رَخاء ونحن منها في بَلاء حين أمِـن الخـائفون ورَجَع الهارِبُون رَزَقنا الـلـه منك التَّحَنُّن وظاهَرَ علينا من التَمَـنُّن فانـك أمِـينٌ مُسْتَوْدع ورائدٌ مُصْطَنَع والسلام ورحمة الـلـه

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حَفِظكم الله يأهل صِناعة الكتابة وحاطَكم ووفَّقكم وأرشدكم فان الله عز وجل جعلَ الناسَ بعد الانبياء والمرسلين صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين ومِن بَعْد الملوك المكرَّمين أصْنافا وان كانوا في الحقيقة سواءً وصَرَّفَهم في صُنُوف الصِناعات وضُروب المحاولات إلى أسباب معاشِهم وأبواب أرزاقهم فجعلهم معشَر الكُتّاب في أشْرَف الجهات أهل الأدَب والمُرُوات والعِلْم والرَزانة بكم تنتظِم للخلافة مَحاسنُها وتستقيم أمورها وبنصائحكم يُصْلِحُ الله للخلق سلطانهم وتَعْمُر بلْدانُهم لا يَسْتَغْني المَلِك عنكم ولا يُوجَد كافٍ الّا مِنكم فَمَوْقِعكُم من المُلوك مَوْقعُ أسْماعِهم التي بها يَسْمَعون وأبْصارهم التي بها يُبْصِرون وألْسِنَتِهم التي بها يَنطقون وأيديهم التي بها يَبْطِشون فأمْتَعَكُم الله بما خَصّكم من فَضْل صِناعَتكم ولا نَزَعَ عنكم ما أضْفاه من النّعْمَة عليكم وليس أحدٌ من أهل الصِناعات كلّ أحْوَجَ إلى اجتماع خِلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيّها الكتاب اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صِفَتكم فان الكاتب يَحْتاج في نفسه ويَحْتاج منه صاحِبُه الذي يثِق به في مُهِمّات أمُوره أن يكون حليما في موضع الحِلْم فهيما في موضع الاِحْجام مُؤْثِرًا للعَفاف والعَدْل والانصاف كَتُوم للَاسْرار وفِيًّا عند الشدائد عالِما بما يأتي من النوازل يَضَع الأُمُور مواضِعَها والطَوارِق في أمَاكنها قد نَظَر

في كل فَنّ من فُنون العِلْم فأحْكَمَه وان لم يُحْكِمْه أخَذ منه بمقدار ما يكْتَفِي به يَعْرِف بغريزة عَقْله وحُسْن أدَبه وفَضْل تَجْرِبَته ما يَرد عليه قبلَ ورُوده وعاقبَةَ ما يَصْدُر عنه قبلَ صُدُوره فيُعِدّ لِكل أمْرٍ عُدّته وعَتادَه ويُهَيّئ لكل وجهٍ هيئتَه وعادَته فتَنَافسُوا يا معشر الكتاب في صُنوف الآذاب وتَفَهَّموا في الدِين وابدؤُا بِعلْم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العَرَبِية فانها نفَاق ألْسِنَتكم ثم أجِيدُوا الخَطَّ فانه حِلْيَة كُتُبِكم وارْوُوا الاشْعار واعرِفوا غَرِيبَها ومَعانِيها وأيّام العَرَب والعَجَم وأحادِيثَها وسِيَرَها فان ذلك مُعِين لكم على ما تسْمُو إليه هَمِمُكم ولا تُضَيِّعوا النَظَر في الحِساب فانه قوام كُتّاب الخَراج وارْغَبُوا بأنْفُسكم عن المَطامع سَنِّيها ودَنِّيها وسَفْساف الامور ومَحاقرها فانها مَذَلّة للرِّقاب مَفْسَدة للكُتّاب ونَزِّهوا صِناعَتكم عن الدَناءة وارْبَؤُا بأنْفُسكم عن السِعايَة والنَميمة وما فيه أهل الجَهالات وايّاكم والكْبر والسُخْف والعَظَمة فانها عَداوة مُجْتَلَبة من غير إحْنَةٍ وتَحابُّوا في الله عز وجل في صناعتكم وتَوَاصَوْا عليها بالذي هو ألْيَق لأهل الفضل والعدل والنُبْل مِن سَلَفكم وإنْ نَبَا الزمانُ برجُل منكم فاعْطِفُوا عليه وواسُوه حتى يرجع إليه حالُه ويَثُوب إليه أمْرُه وان أقْعَد أحدًا منكم الكِبَر عن مَكْسَبه ولِقاءِ اخْوانِه فَزُوروه وعظِّموه وشاوِروُه واسْتَظْهروا بفَضْل تَجْرِبَتِه وقَديم مَعْرِفَتِه ولْيَكُن الرجُل منكم على مَن اصْطَنَعَه واسْتَظْهر به لِيَوْمِ حاجَتِه إليه أحْوَطَ منه على وَلَدِه وأخِيه فان عَرَضَت في الشُغْل مَحْمَدَةٌ فلا يَصْرِفْها الّا إلى صاحبه وان عَرَضَتْ مَذَمّة فَلْيَحْمِلْها هو مِن دونه ولْيَحْذَر السَقْطة والزّلّة والمَلَل عند تغيُّر الحال فان العَيب إليكم مَعشر الكتاب أسْرَعُ منه إلى القُرّاء وهو

لكم أفْسَد منه لها فقد علمتم أن الرجل منكم اذا صَحِبَه مَن يَبْذُل له من نَفْسه ما يَجِب له عليه من حَقّه فواجبٌ عليه أن يعقد له من وفائه وشُكْره واحتماله ونصيحته وكتمان سرّه وتدبير أمره ما هو جزاءٌ لِحَقّه ويصدّق ذلك فِعْلُه عند الحاجة إليه والاضطرار إلى ما لديه فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم في حالة الرَخاء والشدّة والحِرْمان والمُواساة والاحسان والسَّراء والضَّراء فنِعْمَت الشِيمة هذه لمن وُسِم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة واذا وَلِيَ الرجلُ منكم أو صُيِّر إليه من أمْر خَلْق الله وعِيالِه أمْرٌ فليُراقب الله عز وجل وليُؤْثِرْ طاعته وليكُن على الضعيف رفيقا وللمظلوم مُنْصفا فانّ الخَلْقَ عِيالُ الله وأحبُّهم إليه أرفقُهم بعياله ثم ليكُنْ بالعَدْل حاكما وللأشْراف مُكْرِمًا وللْفَئ مُوَفِّرا وللبلاد عامِرا وللرَعيّة مُتأَلِفًا وعن أذاهم متخلفا وليكن في مجلسه متواضعا حليما وفي سجلات خراجه واستقضاء حقوقه دقيقا واذا صَحِبَ أحدُكم رجلا فَلْيَخْتَبِرْ خَلائقَه فاذا عَرَف حَسَنَها وقبيحَها أعانه على ما يوافقه من الحَسَن واحتال على صَرْفه عَمّا يَهْواه من القبيح بألطف حيلة وأجمل وسيلة وقد علمتم أن سائس البَهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التَمَس معرفةَ أخْلاقها فان كانت رَمُوحا لم يَهِجْها اذا رَكِبَها وان كانت شَبوبا اتّقاها من بين يديها وان خاف منها شُرودا تَوَقّاها من ناحية رأسِها وان كانت حَرُونا قَمَع برِفْقٍ هَواها في طُرُقها فان استمرت عَطَفَها يسيرا فيَسْلِس له قِيادُها وفي هذا الوصف من السياسة دلائلُ لِمَن ساسَ الناسَ وعامَلَهم وجَرّبهم وداخَلَهم والكاتِب لفَضْل أدَبِهِ وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس ويناظره ويَفْهم عنه أو يَخاف سَطْوتَه

أوْلَى بالرِّفْق لصاحبه ومُداراته وتقويم أوَدِه مِن سائس البهيمة التي لا تُحِير جوابا ولا تَعْرف صوابا ولا تَفْهم خطابا الّا بقدر ما يُصَيِّرُها إليه صاحبُها الراكب عليها ألا فارْفُقوا رحمكم الله في النظر وأعْمِلوا ما أمكنكم فيه من الرَّوِيّة والفِكر تَأْمَنُوا باذْن الله ممَّن صَحِبْتُموه النَبْوَةَ والاستثقال والجَفْوة ويصير منكم إلى الموافقة وتصيروا منه إلى المُؤاخاة والشفقه ان شاء الله ولا يُجاوِزَنَّ الرجلُ مِنكم في هيئة مجلِسه ومَلْبَسِه ومَرْكَبِه ومَطْعَمه ومَشْربِه وخَدَمِه وغير ذلك من فنون أمْرِه قدر حقّه فانكم مع ما فضَّلكم الله به من شَرف صَنْعَتكم خَدَمة لا تُحْمَلون في خِدْمتكم على التقصير وحفَظَةٌ لا تُحْتَمَلُ منكم أفعالُ التَضييع والتبذير واستعينوا على أفعالكم بالقَصْد في كل ما ذَكَرْتُهُ لكم وقَصَصِتْهُ عليكم واحذَروا مَتالِف السَرَف وسوءَ عاقبة التَرفَ فانهما يُعْقبان الفقر ويُذِلَّان الرِّقابَ ويَفْضَحان أهْلَهُما ولا سيما الكُتّاب وأرباب الآداب وللأُمور أشباه وبعضُها دليل على بعض فاسْتَدِلّوا على مُؤْتَنَف أعمالكم بما سبقت إليه تَجْرِبَتُكم ثم اسْلُكُوا مِن مَسالِك التدبير أوْضَحَها مَحَجّة وأصدَقها حُجّة وأحْمَدها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفةً مُتْلفة وهو الوَصْف الشاغِل لصاحبه عن إنْفاذ عِلْمه ورَوِيَّته فليَقْصد الرجل منكم في مجلِسه قَصْد الكافي في مَنْطِقه ولْيُوجِزْ في ابتدائه وجوابِه ولْيأخُذ بمَجامع حُجَة فأن ذلك مصلحة لِفِعْلِه ومَدْفَعة للشاغل من إكْثاره ولْيَضْرَع إلى الله في صِلة توفيقه وامْدادِه بتسديده مَخافة وقُوعه في الغَلَط المُضِرّ ببدنه وعَقْله وأدَبه فانه إنْ ظَنَّ منكم ظانٌّ أو قال قائل إنّ الذي بَرَز من جميل صَنْعته وقوّة حركته انما هو بفَضْل حيلته وحُسْن تدبيره فقد تَعَرَّض بحُسْن ظنّه أو مَقالته إلى ان

يَكِلَه الـلـه عز وجل إلى نفسه فيصير منها إلى غير كافٍ وذلك على مَـن تأمّلـه غيرُ خاف ولا يَقُلْ أحَدٌ منكم إنه أبْصَر بالأمور أحْمَل لِأعْباء التدبير من مُرافِقة في صِناعته ومُصاحبه في خدمته فانّ أعْقل الرجُلين عند ذَوي الألباب مَن رَمَـى بالعُجْب وراءَ ظهره ورأى انّ أصحابَه أعْقَلُ مِنه وأجْمَلُ في طريقته وعـلى كـل واحد من الفريقين أن يَعْرف فضْلَ نِعَم الـلـه جلّ ثناؤه من غـير اغـترار برأيِـه ولا تزْكِية لنفسه ولا يُكاثِر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعَشيره وحمـدُ الـلـه واجَبٌ على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلُّل لِعزَّته والتَحَـدّث بنعمتِـه وأنا أقول في كتابي هذا ما سَبق به المَثَل مَن تَلْزَمه النصيحة يَلْزَمه العَمَل وهـو جوهر هذا الكتاب وغُرَّة كلامه بعد الذي فيه مِـن ذِكْـر الـلــه عـز وجـل عـز وجل فلذلك جعلْتُه آخِـرَه وتَمَّمتْـهُ بـه تولّانـا الـلــه وايّـاكم يـا معـشر الطَلَبـة والكَتَبَة بما يَتَوَلَّى به مَن سَبَق عِلْمُه بِاسْعاده وإرْشـاده فـان ذلـك إليـه وبيـده والسلام عليكم ورحمة الـلـه وبركاته

مُشاورة المَهْدي لاهل بيته في حَرْب خُراسان

قال ابن عبد ربه في العِقد الفريد

هـذا مـا تَرَاجَـع فيـه المهـدي ووزراؤُه ومـا بيـنَهم مـن تـدبير الـرأي في حـرب خراسان أيّام تَحَامَلَـت علـيهم العُـمّال وأعْنَفَـت فَحَمَلْـتهم الدالّـة ومـا تقـدّم لهـم مـن المَكانـة عـلى أنْ نَكَثـوا بيعَـتَهم ونَقَـضوا مَـوْثِقَهُم وطَـرَدُوا العُـمّال والْتَـوَوْا بمـا علـيهم مـن الخـراج وحَمَـل المَهْـدِي مـا يُحِـبَّ مـن مـصلحتِهم

ويكْرَهَ من عَنَتِهِم على أن أقال عَثْرَتَهَم واغْتَفَر زَلَّـتَهم واحتَمَـل دالَّـتَهم تَطَـوُّلًا بالفضل واتِّساعا بالعفو وأخْـذًا بالحُجَّـة ورِفْقـا بالـسياسة ولـذلك لم يَـزَل مُـذْ حَمَلَه الـلـه أعْباءَ الخلافة وقَلَّدَه أمورَ الرَّعيَّة رفيقا بمَدار سلطانه بـصيرا بأهـل زَمانه باسِطا للمَعْدَلة في رِعيِّته تَسْكن إلى كَنَفـه وَتـأنَس بعَفـوه وتَثِـق بحِلْمـه فاذا وَقَعت الأقْضِية اللازمة والحقوق الواجبة فليس عنـده هَـوادة ولا إغْـضاء ولا مُداهنة أثَرَةً للحق وقياما بالعدل وأخْذًا بالحَزْم فدَعَا أهلَ خُراسان الاغتِرارُ بحِلْمِه والثِقة بعفوه أن كَسَّرُوا الخَراج وطَرَدُوا العُمّال وسألوا ما ليس لهم من الحق ثم خَلَطوا احتجاجا باعتذار وخُصومة باقرار وتَنَصُّلا باعتِلال فلـما انتهـى ذلك إلى المهدي خرج إلى مجلس خَلائـه وبَعَـث إلى نَفَـرٍ مـن لُحْمتـه ووُزرائـه فأعْلَمَهم الحال واستفهم للرعية ثـم أمَـرَ المَـوالِيَ بالابتـداء وقـال للعبـاس بـن محمد أي عَمّ تَعَقَّبْ قوْلَنا وكُنْ حَكَما بَيْنَنا وأرْسَل إلى وَلَدَيْـه مُـوسَى وهـارُون فأحْضَرَهما الامْر وشارَكَهما في الرأي وأمَرَ محمد بن اللَّيـث بحفْـظ مُـراجَعَتهم واثبات مَقَّالتهم في كتاب فقال سلّام صاحب المَظَالم

أيُّهـا المهـدي ان في كـل أمـر غايـة ولكـل قـوم صـتاعة اسْـتفْرَغَت رأيَهـم واسْتَغْرَقَتْ أشغالَهم واسْتَنْفَدَتْ أعمارَهم وذَهَبُوا بها وذَهَبَت بهم وعُرِفـوا بها وعُرِفت بهم ولهذه الأمـور التـي جَعَلْتَنـا فيهـا غايـة وطَلَبْـتَ مَعُونتنـا علِيها أقوام من أبناء الحَرْب وساسِة الأمور وقادَة الجُنود وفُرسان الهَزَاهِـز واخوان التَجَارِب وأبطال الوقائع الذين رشَّـحَتْهُم سِـجَالُها وفيّـأَتْهم ظِلالُهـا وعَضَّتْهم شَدَائدُها وقَرَمَتْهُم نَوَاجِذُها فلو عَجَمْتَ مـا قَـبِلَهم وكَـشَفْتَ مـا عندهم لَوَجَدْتَ نَظَائِر تُؤَيِّدأمْرَك وتَجَارِبَ تُوَافِـق نظَـرَك وأحاديـث تُقَـوِّي

قَلْبَك فأمّا نَحْن مَعاشِرَ عُمّالِـك وأصْحَاب دَوَاوِينـك فحـسَنٌ بِنَـا وكثـيرٌ مِنّـا أن نقوم بِثقْل ما حَمَّلْتنَا من عَمَلك واسْتَوْدَعْتنا من أمانَتِك وشَغَلْتَنا به من امْضاء عَدْلك وانفاذ حُكمكَ واظْهار حَقّك فأجابَه المهدي انّ في كلّ قَوْمٍ حِكَمة ولكُـلّ زمانٍ سِياسة وفي كُلّ حال تَدْبيرا يُبْطِل الآخِرُ الأوّلَ ونحن أعلم بزماننـا وتـدبير سلطاننا قال نَعَمْ أيُّها المهدي أنْتَ مُتَّبَع الرَأي وثيق العُقْـدة قَـوى المُنّـة بليـغ الفِطْنَة مَعْـصُوم النِّيّـة مَحْـضُور الرّويّـة مُؤَيَّـد البَديهـة مُوَفَّـق العَزِيمـة مُعَـان بالظَفَر مَهْدِيّ إلى الخَـيْران هَمَمْـتَ ففـي عَزْمـك مَوَاقـع الظّـنّ وان اجْتَمَعْـت صَدَع فِعْلُك مُلْتَبِس الشّكّ فاعْزِم يَهْدِ الـلـه الصواب قَلْبَـك وقُـل يُنْطـق الـلـه بالحقّ لِسانَك فان جُنُودك جَمّة وخَزَائنك عامِرة ونفـسك سَـخِيّة وأمْـرُك نافِـذ فاجابه المهدي انّ المُشاورة والمُناظرة بَابَا رَحْمة ومِفْتاحَا برَكَة لا يَهْلـك علـيهما رأيٌ ولا يَتَغَيَّل مَعَهُما حَزْم فأشيروا برَأيكم وقولوا بِما يَحْضُرُكم فاني من ورائكم وتوفيقُ الـلـه من وراء ذلك

قـال الربيـع أيُّهـا المَهْـدي انّ تـصاريف وُجُـوه الـرَأْي كثـيرة وان الاشـارة بـبعض مَعَاريض القول يسيرة ولكن خراسان أرضٌ بَعيدة المسافة مُتَراخِية الشُّقَّةُ مُتَفَاوِتة السَبيل فاذا ارْتَأيْتَ من مُحْكَم التَـدْبير ومُـبْرَم التقـدير ولُبـاب الـصواب رَأيَـا قـد أحْكَمَه نَظَرُك وقَلَّبه تَدْبيرك فليس وراءَه مَذْهَب طاعن ولا دُونه مَعْلَّق لخُـصومه عائب ثم أجَبْتَ البُرُد بِهِ وانطـوت الرسـل عليـه كـان بـالحَرَي أن لا يـصل إلـيهم مُحْكَمه إلا وقد حدث منهم ما ينقضه فما أيْسَرَ أن ترجع إليك الرسل وتردّ عليك الكتب بحقائق أخبارهم وشـوارد آثـارهم ومـصادر أمـورهم فتُحْـدث رأيـا غـيره وتبتدع تدبيرا سواه وقد انفرجت الحلقَ وتحللت العُقَد واسترخى الِحقَاب وامتـد

الزمان ثم لعلما موقع الآخرة كمصدر الاولى ولكن الرأي لك أيها المهدي وفقك الله ان تصرف اجالة النظر وتقليب الفِكَر جَمَعتْنا واستشرتنا فيه من التدبير لحَرْبهم والحِيَل في أمْرهم إلى الطَلَب لرَجُلٍ ذي دين فاضل وعقل كامل ووَرَع واسع ليس موصوفا بهوًى في سواك ولا مُتَّهَما في أثَرة عليك ولا ظَنِينا على دُخْلةٍ مكروهة ولا مَنْسوبا إلى بِدْعة مَحْذورة فيَقْدَح في مُلْكك ويُربض الأمورَ لغَيرك ثم تُسْند إليه أمورَهم وتفوّض إليه حَرْبَهم وتأمره في عهدك ووصيتك ايّاه بلزوم أمرك ما لَزِمه الحَزم وخلاف نَهْيك اذا خالفه الرّأي عند استحالة الأمور واشتداد الأحوال التي يَنْقَضّ أمْرُ الغائب عنها ويَثْبُتُ رأيُ الشاهد لها فانه اذا فعل ذلك فواثَبَ أمْرَهم من قريب وسَقَط عنه ما يأتي من بعيد تمّت الحيلة وقَوِيَت المَكيدة ونَفَذَ العَمَل وأُحِدّ النظر ان شاء الله

قال الفضل بن العباس أيُّها المهديّ ان وليّ الامور وسائس الحروب رُبّما نَحيّ جُنودَه وفرّق اموالَه في غير ما ضِيقِ أمْر حَزَبَه ولا ضَغْطةِ حالٍ اضْطَرَّتْه فَيَقْعد عند الحاجة إليها وبعد التفرقة لها عَدِيما منها فاقدا لها لا يثِق بقوّة ولا يَصُول بُعدّة ولا يَفْزَع إلى ثِقَة فالرأي لك أيها المهدي وفقك الله أن تُعْفي خَزَائنَك من الانفاق للاموال وجُنودَك من مُكابدة الاسفار ومُقارعة لما يسألون فيَفْسُد عليك أدَبُهم وتُجَرِّئ من رَعِيّتك غَيْرَهم ولكن اغْزُهم بالحيلة وقاتِلْهم بالمكيدة وصارِعْهم باللّين وخاتِلْهم بالرفْق وأبْرِقْ لهم بالقول وأرْعِدْ نحوَهم بالفِعل وابْعَث البُعُوث وجَنِّد الجنود وكَتِّب الكتائب واعقد الألْوِيِة وانصِب الرَايات وأظْهِر أنك مُوَجِّه إليهم الجُيوش مع أحْنَق قُوّادك عليهم وأسْوَئِهم أثَرًا فيهم ثم ادسُس الرُسُل

وابْثُث الكُتُب وضَعْ بَعْضَهم على طَمَع من وَعْدك وبَعْضًا على خَوفٍ من وَعيدك وأوْقد بذلك وأشْباهِه نيران التَحَاسُد فيهم واغرِس أشجار التَنَافُس بينهم حتى تملَا القلوب من الوَحشة وتَنْطوي الصدور على البِغْضة ويَدخل كُلًا من كُلِّ الحَذَر والهَيْبَة فانّ مَرَام الظَفَر بالغِيلة والقتال بالحيلة والمُناصبة بالكتب والمُكايَدة بالرُسُل والمُقَارَعة بالكلام اللطيف المُدْخَل في القلوب القَوِيّ المَوْقع من النفوس المَعقود بالحُجَج المَوْصول بالحِيَل المَبْني على اللين الذي يستميل القلوب ويسترقّ العقول والآراء ويستميل الَهْواء ويستدعي المُواتاة أنْفَذُ من القتال بظُبَات السُيوف وأسِنَّة الرِّماح كما أنّ الوالِي الذي يستنزل طاعة رعيته بالحِيَل ويُرَّق كلمةَ عَدُوّه بالمُكايدة أحْكَم عَمَلًا وألطَف مَنْظَرا وأحْسَنُ سِياسةً من الذي لا يَنَال ذلك الّا بالقتال والاتْلاف للاموال والتَغرير والخِطَار ولْيَعلَم المهدي أنه ان وَجَّه لِقتالهم رَجُلا لم يَسِرْ لقتالهم الّا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة وتُقْدِم على أسفار ضيّقة وأموالٍ متفرقة وقُوّاد غَشَشَة ان ائْتَمَنَهُمْ اسْتَنْفَدُوا مالَه وان اسْتَنْصَحَهم كانوا عليه لا لَهُ

قال المهدي هذا رأيٌ قد أسفر نُورُه وأبرق ضَوْءُه وتَمَثَّل صوابُه للعيون ومَجُد حَقُّه في القلوب ولكن فوق كل ذي علم عليم ثم نظر إلى ابنه عليّ فقال ما تقول قال عليّ أيها المهدي ان أهل خراسان لم يَخْلَعوا عن طاعتك ولم يَنْصِبوا من دونِك أحدًا يقدَح في تغيير ملكك ويُريض الأمورَ لفساد دولتك ولو فَعَلُوا لكان الخَطْبُ أيْسر والشأن أصْغَر والحالُ أذَلّ لأن الله مع حقّه الذي لا يَخْذُله وعند موعِده الذي لا يُخْلِفه ولكنهم قوم من رعيتك وطائفة من شِيعتك الذين جعلك الله عليهم واليا وجعل

العدل بينك وبينهم حاكما طَلبوا حَقّا وسألوا انصافا فان أجبتَ الذين دعوتهم ونَفَّستَ عنهم قبل أن يَتَلاحَم منهم حال أو يَحْدُث مِن عندِهم فَتْق أطَعْتَ أمرَ الرَّبّ وأطْفَأْتَ ثائرةَ الحَرْب ووَفّرتَ خزائن المال وطَرَحْتَ تَغْرير القتال وحَمَل الناسُ مَحْمَل ذلك على طبيعة جودك وسجيّة حِلْمِك واسْجاح خَلِيقتك ومَعْدَلة نَظَرك فأمنْتَ أنْ تُنْسَبَ إلى ضُعْف وان يكون ذلك فيما بقي دُرْبَةً وان مَنَعْتَهم ما طلبوا ولم تُجِبْهُم إلى ما سألوا اعْتدلَتْ بك وبهم الحال وساوَيْتَهم في ميدان الخطاب فما أرَبُ المهدي أن يَعْمِد إلى طائفةٍ من رعيته مُقَرِّين بِمَمْلكته مُذْعنين بطاعته لا يُخرجون أنفسهم عن قدرته ولا يُبَرّؤنها من عبوديته فَيُمَلِّكَهُم أنْفُسَهم ويَخْلَع نفسه عنهم ويَقِف على الحِيَل معهم ثم يجازِيهم السوءَ في حَدّ المُنازعة ومِضْمار المُخاطرة أيُريد المهدي وفّقه الله الأموالَ فلَعمْري لا يَنالُها ولا يَظْفَر بها الا بانفاق أكثر منها مما يَطْلُب منهم أضْعاف ما يَدَّعِي قِبَلَهم ولو نالهَا فَحُمِلَتْ إليه أو وُضِعت بخَرائِطها بين يديه ثم تجَافَى لهم عنها وطال عليهم بها لكان مما إليه يُنْسَب وبه يُعْرَف من الجود الذي طَبَعه الله عليه وجَعَل قُرّةَ عينه ونَهْمَة نفسه فيه فان قال المهدي هذا رأيٌ مستقيم سديد في أهل الخَراج الذين شَكَوْا ظُلْمَ عُمّالنا وتحامُلَ وُلَاتنا فأمّا الجنود الذين نَقضوا مواثيقَ العهود وأنْطَقوا لسان الإرجاف وفَتَحُوا بابَ المَعْصِية وكَسَّروا قَيْد الفِتْنَة فقد ينبغي لهم أن أجْعَلَهم نَكلالا لغيرهم وعِظَةً لِسواهم فيعلم المهدي انه لو أُتِي بهم مَغْلولِين في الحديد مُقَرَّنِين في الاصْفاد ثم اتَّسَع لِحَقْن دِمائِهم عَفْوُه ولِإقالَةِ عَثْرَتِهم صَفْحُه واسْتَبْاهم لما هم فيه من حِزْبه أو لمن بازائهم من عَدُوِّه لما كان بِدْعا من رَأْيِه ولا

مُسْتَنْكرًا من نظره لقد عَلِمت العَرَب انه أعْظَمُ الخُلَفاء والمُلوك عَفْوًا وأشَدُّها وَقْعا وأصْدَقها صَوْلة وأنه لا يتعاظمُه عَفْو ولا يتكاءَدُه صَفْح وانْ عَظُم الذَنْب وجلّ الخطب فالرّأْيُ للمهدي وفّقه اللـه تعالى أن يَحُلّ عُقْدَة الغيظ بالرجاء لِحُسْن ثواب اللـه في العَفْو عنهم وأن يَذْكُر أُولىَ حالاتهم وضَيْعَة عِيالاتهم بِرًّا بهم وتَوَسُّعا لهم فانهم اخوان دَوْلته وأركان دَعْوته وأساس حَقّه الذين بِعِزَّتهم يَصُول وبحُجَّتهم يقول وانما مثلُهم فيما دَخَلوا فيه من مساخِطِه وتعرَّضوا له من معاصيه وانْطَوَوْا فيه عن اجابته ومَثَلُه في قلّة ما غَيَّر ذلك من رأيه فيهم أو نُقِل من حاله لهم أو تَغَيَّر من نعمته بهم كَمَثَل رجلين أخَوَين مُتَناصِرَين مُتوازِرَيْن أصابَ أحدَهما خَبْلٌ عارض ولهوٌ حادِث فَنَهَض أخيه بالاذى وتحامَلَ عليه بالمكروه فلم يَزْدَد أخُوه إلّا رِقَةً له ولُطْفا به واحتِيالا لِمُداواة مَرَضه ومراجعة حاله عَطْفا عليه وبِرًّا به ومَرْحَمَة له فقال المهدي أمّا عَلِيّ فقد كَوَى سمت اللَّبان وفَضّ القُلُوب في أهل خراسان ولِكلّ نَبأ مُسْتَقَر فقال ما تَرَى يا أبا محمد يعني موسى ابْنَه

فقال موسى أيها المهدي لا تَسْكُنْ إلى حَلاوة ما يَجْرِي من القول على ألْسِنَتهم وأنت تَرَى الدِّماء تَسِيل من خَلَل فِعْلهم الحالُ من القوم يُنادِي بِمَضْمَرة شَرّ وخَفِيّة حِقْد قد جعلوا المَعاذِير عليها سِتْرا واتَخذُوا العِلَل من دونها حِجَابا رَجاء أن يُدافعوا الايام بالتأخير والامورَ بالتَطويل فَيَكْسِروا حِيَل المهدي فيهم ويُفْنُوا جُنودَه عنهم حتى يتلاحم أمْرُهم وتتلاحق مادَّتُهم وتَسْتَفْحل حَرْبُهم وتستمرّ الامور بهم والمهديّ من قولهم في حال غرّة ولباس أمَنَة قد فَتَر لها وأنِس بها وسَكَن إليها ولولا ما اجْتَمَعَتْ به

قلوبهم وبَرَدَتْ عليه جُلُودهم من المُنَاصبة بالقتال والاضمار للقراع عن داعية ضلال أو شيطان فساد لَرُهِبوا عَوَاقِب أخْبار الوُلَاة وغِبّ سكون الأمور فَلْيَشدْد المهدي وفقه الله أزْرَه لهم ويُكَتّبْ كتَائبه نحوَهم وليْضَع الامر على أشَدّ ما يَحْضَره فيهم وليُوقن أنه لا يُعْطيهم خُطَّةً يريد بها صَلَاحَهم الا كانت دُرْبة إلى فَسادهم وقُوّةً على مَعْصيَتهم وداعيةً إلى عَوْدَتهم وسَبَبًا لفَساد مَن بحَضْرته من الجنود ومَن ببابه من الوُفود الذين أقَرّهم وتلك العادة وأجْرَاهم على ذلك الأرَب ولم يَبْرَح في فَتْق حادِث وخلاف حاضر لا يَصلُح عليه دين ولا تستقيم به دُنْيا وان طَلَب تغييرَه بعد استحكام العادة واستمرار الدُرْبَة لم يَصل إلى ذلك الا بالعُقوبة المُفْرطة والمَؤُنة الشديدة والرأيُ للمهدي وفقه الله أن لا يُقِيل عَثْرَتَهم ولا يَقْبَل مَعْذِرتهم حتى تَطَأَهم الجُيوش وتأخُذَهم السيوف ويَسْتَحِرّ بهم القَتْل ويُحْدق بهم المَوْت ويُحيط بهم البَلاء ويُطْبق عليهم الذّل فان فَعَل المهدي بهم ذلك كان مَقْطَعَةً لكل عادة سوء فيهم وهزيمةً لكل بادرة شرٍّ فيهم واحتمالُ المهدي في مَؤُونة غزوتِهم هذه تَضَع عنه غزَواتٍ كثيرة ونَفَقات عظيمة

قال المهدي قد قال القوم فاحكُم يا أبا الفضل

فقال العباس بن محمد أيها المهدي أما (المَوالِي) فاَخَذوا بفُروع الرأيِ وسَلَكوا جَنَبات الصَواب وتَعَدّوا أمُورًا قَصَّر بنَظَرهم عنها أنه لم تأت تَجارِبُهم عليها وأما (الفضل) فأشار بالاموال أن لا تُنْفق والجنود أن لا تُفَرَّق وبأن لا يعطَي القومُ ما طَلَبُوا ولا يُبْذَل لهم ما سألوا وجاء بأمرٍ بيْن

ذلك استصغارًا لامْرهم واستِهانةً بحَرْبهم وانما يَهيج جَسيماتِ الأمور صِغارُها وأما (عليّ) فأشار باللِّين وإفْراط الرِفْق واذا جَرّد الوالي لمن غَمِط أمْرَه وسَفِه حقَّه اللينَ بَحْتًا والخَيْرَ مَحْضا لم يَخْلِطْهما بشِدّة تَعْطِف القلوب عن لينِه ولا بشَرٍّ يَحْبِسهم إلى خيره فقد مَلَّكَهم الخَلْع لِعُذْرِهم ووسَّع لهم الفُرْجة لِثَني أعناقهم فان أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطرهم ولا شدّة فَنَزْوَةٌ في رؤوسهم يستدعون بها البَلاء إلى انفسهم ويستصرخون بها رأي المهدي فيهم وان لم يَقْبلوا دعوتَه ويُسرِعوا لِاجابته باللِّين المحض والخير الصُّراح فذلك ما عليه الظن بهم والرأيُ فيهم وما قد يُشْبه أن يكون من مِثْلِهم لاَنَّ الله تعالى خَلَق الجنة وجَعل فيها من النعيم المقيم والمُلْك الكبير ما لا يَخْطُر على قلب بَشَر ولا تُدْرِكُه الفِكَر ولا تَعْلمه نَفْس ثم دعا الناسَ إليها ورغَّبهم فيها فلولا انه خَلَق نارا جَعلها لهم رحمةً يسوقُهم بها إلى الجنة لَمَا أجابوا ولا قَبِلوا وأما (موسى) فأشار بأن يُعْصَبوا بشِدةٍ لا لِين يَثْنيهم اشتدت الامور بهم وانقطعت الحال منهم إلى أحد أمرين إما أن تَدْخُلهم الحَمِيّة من الشِدة والأَنَفَة من الذِّلّة والامتعاضُ من القَهر فيدعوهم ذلك إلى التَمادي في الخلاف والاستبسال في القتال والاستسلام للموت وإما أن يَنْقادوا بالكُرة ويُذْعِنوا بالقَهْر على بِغْضةٍ لا زمة وعداوة باقية تُورِث النِفاق وتُعْقِب الشِقاق فاذا أمْكَنَتهم فُرْصة أو ثابَت لهم قُدرة أو قَوِيَت لهم حالٌ عاد أمْرُهم إلى أصْعب وأغْلَظ وأشد مما كان

وقال في قول الفضل أيها المهدي أكْفَى دليل وأوضح برهان وأبْينَ خبر بَانَ قد أجمع رأيه وحَزُمَ نَظَرةُ على الارشاد بِبِعثة الجيوش إليهم وتوجيه

البُعوث نحوَهم مع اعطائهم ما سألوا من الحق واجابتهم إلى ما سألوه من العدل

قال المهدي ذلك رأيٌ

قال هارون ما خُلطت الشدة أيها المهدي باللين فصارت الشدة أمَرَّ فِطامٍ لما تَكْرَه وعاد اللين أهْدَى قائِد إلى ما تُحِبّ ولكن أرَى غير ذلك قال المهدي لقد قلتَ قولا بديعا وخالفتَ فيه أهل بيتك جميعا والمرْ مُؤْتَمَن بما قال وظَنين بما ادّعى حتى يأتِيَ ببيّنة عادلة وحجة ظاهرة فاخْرج عما قلت قال هارون أيها المهدي انّ الحَرْب خُدَعة والاعَاجِم قوْمٌ مَكَرة وربما اعْتَدَلت الحال بهم واتَّفَقَتْ الاهواء منهم فكان باطنُ ما يُسِرّون على ظاهر ما يُعْلنون وربما افترقَت الحالان وخالَف القلبَ اللسانُ فانطوَى القلبُ على محجُوبة تُبْطَن واسْتَسَرّ بمَدْخولة لا تُعْلَن والطبيب الرفيق بِطبِّه البصير بأمْره العالِم بمُقَدَّم يدِه وموضع مِيسمِه لا يَتَعَجّل بالدواء حتى يَقَع على معرفة الداء فالرأيُ للمهدي وفقه الله أن يَفِرَّ باطِنَ أمرهم فَرَّ المُسنَّة ويَمْخَضَ ظاهرَ حالهم مَخْض السقاء بمُتَابعة الكُتب ومظاهَرة الرُسُل ومُوالاة العُيون حتى تُهْتَك حُجُب عيونهم وتُكْشَف أغْطِيةُ أمورهم فان انْفَرَجَت الحال وأفضَت الأمور به إلى تغيير حال أو داعية ضلال اشتملت الاهواء عليه وانْقادَ الرجال إليه وامْتَدّت الاَعْناق نحوه بِدين يعتقدونه واثْم يستَحِلّونه عَصَبَهُم بشدّةٍ لا لِينَ فيها ورماهم بعقوبة لا عَفْوَ معها وان انْفَرَجَتْ العُيون واهْتُصِرت السُتور ورُفِعَتْ الحُجُب والحال فيهم مَرِيعة والامور بهم معتدلة في أرزاق يطلبونها وأعمال يُنْكرونها وظُلامات

يَدَّعونها وحقوقٍ يسألونها بماتَّةِ سابِقَتهم ودالّة مُناصَحَتِهم فالرّأي للمهدي وفَّقه الله انْ يَتَّسِع لهم بما طَلَبوا ويَتَجَافى لهم عمل كَرِهوا ويَشْعَب من أمْرهم ما صَدَعوا ويَرْتَق من فَتْقهم ما قَطَعوا ويُوَّلِيّ عليهم من أحَبّوا ويُدَاوي بذلك مَرَض قلوبهم وفساد أمورهم فانما المهدي وأُمَّتُه وسَواد أهل مملكته بمنزلة الطبيب الرفيق والوالد الشفيق والراعي المُجَرِّب الذي يحتال لِمَرَابِض غَنَمه وضَوَالّ رعيته حتى يُبْرئ المريضة من داء عِلّتها ويَرُدّ الصحيحة إلى أَنْس جَمَاعَتِها ثم ان خراسان بخاصّة الدين لهم دالّة محمولة وماتّة مقبولة ووسيلة معروفة وحقوق واجبة لأنهم أيدي دولته وسيوف دعوته وأنصار حقه وأعوان عدله فَلَيْس من شأن المهدي الاضطِغان عليهم ولا المؤاخذة لهم ولا التَوْغِير بهم ولا المكافأة باساءتهم لاَنّ مُبادَرة حسم الامور ضعيفةً قبل أن تَقْوَى ومُحَاوَلَة قَطْع الأصول ضئِيلة قبل أن تَغْلُظ أحْزَمُ في الرأي وأصحّ في التدبير من التأخير لها والتهاون بها حتى يلتئم قليلها بكثيرها وتجتمع أطرافُها إلى جُمْهورها

قال المهدي مازال هارون يَقَع وَقْع الحيا حتى خُرُوج القِدْح من الماء وانْسَلّ انسلال السيف فيما ادّعى فدَعُوا ما سَبَق موسى فيه اته هو الرأي وثنّى بعده هارون ولكن مَن لِأعنَّة الخيل وسياسة الحرب وقادة الناس ان أمعن بهم اللّجاج وأفرطت بهم الدالة

قال صالح

لسنا نَبْلُغ أيَّها المهدي بدوام البَحْث وطُول الفِكْر أدْنَى فِرَاسة رَأيك وبَعْضَ لَحَظات نَظَرك وليس يَنْفَضّ عنك من بُيُوتات العرب ورجال

العجم ذُو دِين فاضل ورأي كامل وتدبير قوي تُقَلِّده حَرْبك وتستودعه جُنْدَك ممن يَحْتَمل الاَمَانة العظيمة ويَـضْطَلع بالاَعْبـاء الثَقيلـة وأنْـتَ بحمـد اللــه مَيْمون النَقيبة مبارك العَزيمة مَخْبور التَجَارِب محمود العواقب معصوم العَـزْم فليس يَقَع اختيارُك ولا يقف نَظَرك على أحد تُوَلّيه أمْرك وتُسْند إليه ثَغْـرك الّا أراكَ اللـه ما تُحبّ وجَمَع لك منه ما تريد

قال المهدي انّي لَاَرْجُو ذلك لقَديم عادة اللـه فيه وحُسْن مَعُونَته عليـه ولكـن أُحبّ المُوَافقة على الرأي والاعْتبارَ للمشاورة في الأمر المُهِم

قال محمَد بن الليث

أهْلُ خُرَاسان أيها المهدي قَوْمٌ ذَوُ عِزّة ومَنَعة وشياطين خَدَعة زُروعُ الحَمِيّة فيهم نابتة وملابس الأنَفة عليهم ظاهرة فالرَّوِيّة عنهم عازبـة والعَجَلـة عـنهم حـاضرة تَسْبِق سيولُهم مَطَرَهم وسُيُوفُهم عَذَلَهم لاَنّهم بين سِفْلَة لا يَعْدو مَبْلَـغ عُقـولِهم مَنْظَر عيونهم وبين رُؤَسـاء لا يُلْجَمـون الّا بـشدّة ولا يُفْطَمـون الّا بـالمُرّ وان ولّى المهدي عليهم وضيعا لم تَنْقَـدْ لـه العُظَـماء وان ولَّى أمْـرَهم شريفـا تَحَامَـل عـلى الضُعَفاء وانْ أخّر المهدي أمْرَهم ودافَع حَرْبَهم حتى يُصيب لنفـسه مـن حَـشَمه ومَوَاليه أو بَني عَمِّه أو بَنـي أبيـه ناصِحا يتّفِـق عليـه أمْـرُهم وثِقَـةً تجْتَمـع لـه أمْلاؤُهم بِلا أنَفة تَلْزَمُهم ولا حَمِيّة تَدْخُلهم ولا مُـصيبة تُنَفّـرهم تَنَفّـست الايـام بهم وتراخت الحال بأمرهم فَـدَخَل بـذلك مـن الفـساد الكبـير والـضَّياع العظـيم ما لا يَتَلَافاه صاحبُ هذه الصفة وان جَدّ ولا يَسْتَصْلِحُه وان جَهَد الّا بَعْـد دَهْـر طويل وشرّ كبير وليس المهـدي وفّقـه اللــه فـاطِما عـاداتهم ولا قارعـا صَـفَاتهم

بِمثْل أحد رَجُلين لا ثالث لهما ولا عَـدْلَ في ذلـك بهـما أحـدُهما لـسانٌ نـاطق موصول بسَمْعك ويَدٌ مُمَثِّلة لِعَينك وصَخْرة لا تُزَعْزَع وبِهْمَة لا تُثْنَى وبـازِلٌ لا يُفْزِعه صوْتُ الجُلْجُل نَقّي العِرْض نَزيه النفس جَلِيل الخَطَر قد اتّضَعَتْ الدُنيْا عن قَدْره وسَمَا نحوَ الآخرة بهمَّته فَجَعَل الغَرَض الاقْصى لِعَينه نُـصْبا والغَـرَض الاَدْنى لِقَدَمه مَوْطِئـا فلـيس يَقْبَـل عَمَـلا ولا يَتَعَـدَّى أمَـلا وهـو رأس مَوَاليـك وأنْصَح بَني أبيك رجل قد غُذِّي بلطيف كرامتـك ونَبَـتَ في ظِـلّ دَولتـك ونَـشَأ على قوائم أدَبك فان قَلَّدْتَه أمْرَهم وحَمَّلْتَه ثِقْلَهم وأسْنَدْتَ إليه ثَغْـرهم كـان قُفْلا فتَحه أمْرُك وبابًا أغْلَقَه نَهْيُك فجعل العَدْل عليه وعليهم أمِـيرا والانـصافَ بينَه وبينهم حاكِما واذا حَكَم المَنْصَفة وسَلك المَعْدَلَة فأعطـاهُم مـالَهُم وأخـذ منهم ما عليهم غَرَس في الذي لك بين صُدورهم وأسكَن لك في السُوَيْدَاء داخل قلـوبهم طاعـةً راسِـخةَ العُـرُوق باسِـقَةَ الفُـرُوع مُتَمَاثِلـةً في حَـوَاشي عَـوَامِّهم مُتَمَكّنَة من قُلُوب خَوَاصِّهم فلا يبقى فيهم رَيْبٌ الّا نَفَوْه ولا يلـزمهم حـق الا أدّوه وهـذا أحَـدُهما والآخَـرُ عُـودٌ مـن غَيْـضَتك ونَبْعـةٌ مـن أُرُومِتَـك فَتِـيّ السِّنّ كَهْلُ الحِلْم راجح العقل محمود الـصَّرَامة مـأمون الخِـلاف يُجَـرِّد فـيهم سَيفَه ويبسط عليهم خَيْرَه بقدر ما يستَحِقون ولى حسب ما يَسْتَوْجِبون وهـو فُلَان أيها المهدي فسلِّطْه أعَزّك اللــه علـيهم وَوَجِّهْـهُ بـالجُيُوش إلـيهم ولا تَمْنَعْك ضَرَاعة سِنّه وحَدَاثـة مَوْلِـده فـان الحِلْـمَ والثِقَـة مـع الحَدَاثـة خَـيْرٌ من الشّكّ والجَهْل مع الكُهُولة وانمـا أحْـدَاثُكُمْ أهـلَ البيـت فـيما طَـبَعكم اللـه عليه واختَصّكم به مـن مكـارم الأخـلاق ومحامـد الفِعَـال ومَحَاسـن الأمور وصواب التدبير وصَرَامة الأنفس كفِراخِ عتاق الطَيْر المُحكمـة لاَخْـذ

الصَيْد بِلا تَدْريب والعارِفة لُوجوه النَفْـع بـلا تأديـب فـالحلم والعلـم والعـزم والحزم والجود والتُؤَدَة والرفْق ثابتٌ في صُدُوركم مَزْروع في قُلوبكم مُسْتَحْكم لكم مُتَكامل عندكم بطَبائعَ لازمة وغَرائزَ ثابته

قال معاوية بن عبد الـلـه

فِتَاءُ أهل بيتك أيها المهدي في الحلم على ما ذُكـر وأهـلُ خراسـان في حـال عِـزّ على ما وُصِف ولكن انْ وَلّى المهدي عليهم رَجُلا ليس بقديم الـذِكْر في الجنـود ولا بنَبِيه الصوت في الحروب ولا بطويل التجربة للامور ولا بمعروف الـسياسة للجيـوش والهيبـة في الاعـداء دخـل ذلـك أمـرانِ عظـيمانِ وخَطَـران مَهُـولان أحدُهما أن الاعداء يَغْتَمِزونها منه ويحتقرونهـا فيـه ويجـترؤون بهـا عليـه في النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه قبل الاختبـارِ لأمْـره والتَكَـشّف لِحالـه والعلم بِطباعه والأمر الآخر أنّ الجُنود التي يقود والجيوش التي يسوس اذا لم يختبروا منه البأس والنَجْدة ولم يعرفوه بالصِّيت والهَيْبـة انكـسرت شـجاعتهم وماتت نَجْدَتهم واستأخرت طاعتهم إلى حين اختبارهم ووقوع معرفتهم وربمـا وقع البَوَار قبل الاختبار وبباب المهدي وفقه الـلــه رجـل مَهيـب نَبيـه حَنيـك صَيِّتٌ له نَسَب زاكٍ وصَوْت عالٍ قد قاد الجيوش وساس الحروب وتألف أهـل خراسان واجتمعوا عليه بِالمَقة ووثقوا بـه كـل الثِّقـة فلـو ولّاه المهـدي أمْـرَهم لكفاه الـلـه شرهم قال المهدي جانَبْتَ قَصْد الرَمِيّـة وأبَيْـت الّا عَـصَبِيّة اذ رَأيُ الحَدَث من أهل بيتنا كرأي عَشَرَة حُلَمَاء من غيرِنا ولكن أين تركتم وليّ العهد

قالوا

لم يَمْنَعْنا من ذِكره الّا كَوْنُه شَبِيه جَدّه ونَسِيج وَحْدِه ومن الدِين وأهلِه بحيث يَقْصُر القول عـن أدنى فـضله ولكـن وجَـدْنا الـلــه عـز وجـل حَجَـب عـن خَلْقـه وسَتَرَدون عباده عِلْمَ ما تختلف به الأيام ومعرفـةَ مـا تجـري عليـه المقـادير مـن حوادث الأمور ورَيْب المَنُـون المُخْتَرِمـة لخَـوَالي القُـرون ومَـوَاضي المُلـوك فكرِهْنـا شُسُوعه عن مَحَلّة المُلْك ودار السلطان ومَقَـرّ الإمامـة والوِلايـة وموضـع المـدائن والخزائن ومستَقَرّ الجُنود ومعدِن الجود ومَجْمَع الأموال التي جعلها الـلــه قُطْبـا لدار المُلْك ومِصْيَدة لقلوب الناس ومَثَابـة لاخـوان الطَمَـع وثُـوّارِ الفِـتَن ودواعـي البِدَع وفرسان الضلال وأبناء الموت وقُلْنا انْ وجّـه المهـدي وليَّ عَهْـده فحـدث في جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله لم يستطع المهديُّ ان يُعْقبهم بغيره الا أن يَنْهَدَ إليهم بنفسه وهذا خَطَر عظيم وهَوْل شديد ان تنفست الأيـام بمقامه واستدارت الحال بامامه حتي يقع عوض لا يستغنى عنـه أو يحـدث أمـر لابد منه صار ما بعده مما هو أعظم هولا وأجل خطرا له تبعا وبه متصلا

قال المهدي

الخَطْـب أيْـسَرُ مـما تـذهبون إليـه وعـلى غـير مـا تَـصِفون الأمْـرَ عليـه نحـن أهلَ البيت نَجْري من أسباب القضايا ومواقع الأمـور عـلى سـابقٍ مـن العلْـم ومحتوم من الأمر قد أنْبَأتْ به الكُتُب ونَبّأَت عليـه الرّسُـل وقـد تَنَـاهى ذلـك بأجْمَعه إلينا وتَكَامل بحَذَافيره عندنا فبه نُدَبِّر وعلى الـلـه نتوكل انه لابد لوليّ عهدي ووليّ عهد عَقِبي بعدي أن يقود إلى خراسـان البعـوث ويتوجـه نحوهـا بالجنود أمـا الأول فانـه يُقَـدم إلـيهم رسـله ويُعْمِـل فـيهم حِيَلـه ثـم يخـرج

نَشِطا إليهم حَنِقا عليهم يريد أن لا يَدَع أحدا من اخوان الفِتن ودواعي البِدَع وفُرْسان الضلال الّا تَوَطَّأهُ بَحرّ القتل وألبسَه قِناعَ القهر وقلده طَوق الـذل ولا أحدا من الذين عملوا في قصّ جنـاح الفِتْنـة واخـماد نـار البِدْعـة ونُـصْرة وُلاة الحقّ الا أجْرَى عليهم دِيمَ فَضْله وجَدَاوِل نَهْلِه فاذا خـرج مُزْمِعًا بـه مُجْمِعًا عليه لم يَسِرْ الا قليلا حتى تأتيَه ان قد عَمِلَـتْ حِيَلُـه وكَـدَحَت كُتُبـه ونَفَـذَت مكايِده فهدأت نافرة القلوب ووقَعَتْ طائرة الأهواء واجتمع عليه المختلفـون بالرضى فيمِيل نظرًا لهم وبِرًا بِهِم وتَعَطُّفا عليهم إلى عَدُوّ قـد أخـاف سـبيلَهم وقطع طريقهم ومنع حُجّاجَهم بيتَ الـلـه الحرام وسَلَب تُجّـارَهم رِزْقَ الـلـه الحلال وأما الآخَر فانه يوجه إليهم ثـم تعتقـد لـه الحجـة علـيهم باعطـاء مـا يطلبون وبذل ما يسألون فاذا سَمَحت الفِرَق بقَرَاباتها له وجَنَح أهل النـواحي بَاعْناقهم نحوه فأصْغَتْ إليه الأفئدة واجتمعـت لـه الكلمـة وقـدِمت الوُفـود قَصَدَ لأول ناحية نجعَتْ بطاعتِها وألْقت بأزمَّتِها فألْبَسها جَنَاح نِعْمَته وأنزَلَهـا ظل كرامته وخصَّها بعظيم حِبائه ثم عـمّ الجماعـة بالمَعْدَلـة وتعطّـفَ علـيهم بالرحمة فلا تبقي فيهم ناحيةٌ دانِية ولا فِرْقة قاصِيَة الا دَخَلَـتْ عليهـا بَرَكَتُـه ووَصَلَتْ إليها مَنْفَعَتُه فأغْنَى فَقيرَها وجَبَر كَسِيرَها ورَفَع وضِـيعَها وزاد رَفِيعهـا مـاخلا نـاحيتَيْنِ ناحيـةٍ يَغْلِـب عليهـا الـشَقَاء وتَـسْتَمِيلهم الأهْـواء فَتَـسْتَخِفّ بدَعْوته وتُبْطِئ عن اجابته وتَتَثَاقَل عن حَقّه فتكون آخِرَ مَن يَبْعَث وأبْطَأ مَـن يُوَجِّه فَيَصْطَلى عليها مَوْجودَه ويبتغي لها علّة لا يَلْبَث أن يَجدَّ بحـقٍّ يلـزمُهم وأمْرٍ يجب عليهم فَتَسْتَلْحِمهم الجُيوش وتأكلهم السُيوف ويَسْتَحِرِّ بهم القَتْـل ويُحيط بهم الأسْر ويُفْنِيهم التَتَبُّع حتـى يُخَـرِّب الـبلاد ويُـوتِم الأولاد وناحيـةٍ

لا يَبْسُط لهم أمانا ولا يَقْبل لهم عَهْدًا ولا يجعل لهم ذِمَّة لَانَّهم أولُ مَن فَتَح باب الفُرْقة وتَدَرَّع جِلْبابَ الفتنة ورَبَضَ في شَقّ العَصَا ولكنّه يَقْتُلُ أعْلَامَهم ويَأْسِر قُوّأدهم هُرَّابَهم فيث لَجُج البِحار وقُلَل الجِبال وحَميل الأوْدِيَة وبُطون الأرض تقتيلا وتغليلا وتنكيلا حتى يَدَع الدِيارَ خرابا والنساءَ أيَامَى وهذا أمْرٌ لا نَعْرِف له في كُتُبِنا وَقْتا ولا نُصَحِّحْ منه غيرَ ما قُلْنا تفسيرا وأما موسى وليّ عَهْدي فهذا أوانُ تَوَجُّهه إلى خراسان وحُلوله بجُرْجان وما قضى الله له من الشُخُوص إليها والمُقَام فيها خيْرٌ للمسلمين مَغَبَّةً له باذن الله عاقبة من المقام بحيث يغمر في لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا فيتصاغر عظيم فضله ويتدأب مشرق نوره ويتقلل كثير ما هو كائن منه فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس

قال محمد بن الليث

أيها المهدي ان وليّ عهدك أصبح لأمّتك وأهل مِلّتك عَلَما قد تَثَنَّت نحوَه أعناقُها ومدَّتْ سمْتَه أبصارَها وقد كان لُقرْب داره منك ومحلّ جِواره لك عُطْل الحال غُفْل الاَمْر واسِعَ العُذْر فأما اذا انْفَرَد بنفسه وخَلا بنَظَره وصار إلى تدبيره فان من شأن العامة أن تَتَفَقَّد مَخَارِج رأيِه وتَسْتَنْصِت لِمَوَاقع آثارِه وتَسْأل عن حوادِث أحواله في بِرِّه ومَرْحَمته وإقْساطه ومَعْدَلته وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه ثم يكون ما سَبَق إليهم أغْلَبَ الاشياء عليهم وأمْلَكَ الأمور بهم وألْزَمَها لقلوبهم وأشدَّها استِمالةً لرأيِهم وعَطْفا لأهْوائهم فلا يَفْتأ المهدي وفّقه الله ناظرا له فيما يُقَوِّي عَمَد مَمْلكته ويُسَدد أركان ولايته ويستجمع رضاء أمته بأمر هو أزْيَنُ لِحاله

وأظْهَر لجماله وأفضل مَغَبّة لأمره وأجل موقعا في قلوب رعيته وأحمد حالا في نفوس أهل ملّته ولا أدفَع مع ذلك باستجماع الأهواء لـه وأبْلَـغ في اسـتعطاف القلوب عليه من مَرْحَمة تَظْهر من فعْلِه ومَعْدَلة تنتشر عن أثَره ومَحَبّةٍ للخَير وأهْلِه وان يختار المهدي وفقه الـلـه من خيار أهل كل بَلْدة وفُقَهاء أهـل كـل مِصْر أقواما تَسْكُن العامّة إليهم اذا ذُكِروا وتأْنَس الرعيـةُ بِهِـم اذا وُصـفوا ثـم تُسَهّل لهم عِمارَةُ سُبُل الاحسان وفَـتْح بـاب المعـروف كـما قـد كـان فُـتح لـه وسُهّل عليه

قال المهدي صدقت ونصحت ثم بعث في ابنه موسى فقال

أي بُنَيّ انك قد أصْبَحْت لسَمْت وجوه العامـة نُـصْبا ولَمثْنَـى أعطـاف الرعيـة غايـةً فحـسَنَتُك شـامِلة واسـاءتك نائيـة وأمـرُك ظـاهر فعليـك بتقـوى الـلــه وطاعته فاحتِملْ سُخْط الناس فيهما ولا تَطْلُب رِضاهُم بخلافهما فان الـلـه عز وجل كافيكَ مَن أسْخَطَه عليك ايثارُك رِضاه وليس بكافيك من يُسْخطه عليـك ايْثارُك رضا مَن سواه ثم اعلم أن لله تعالى في كل زمان فَـترةً مـن رسـله وبَقايـا من صَفْوة خَلْقه وخَبايا لنُصرة حَقّه يُجَدّد حَبْلَ الاسلام بدعواهم ويُشَّيد أركانَ لبدين بنُصْرتهم ويَتَّخذ لأوْلياء دينه أنْصارًا وعلى اقامـة عَدْلـه أعْوانًـا يَـسُدّون الخَلَل ويُقيمون المَيَل ويَدْفَعون عن الارض الفـسادَ وان أهـل خراسـان أصْـبَحوا أيْدي دولتنا وسُيوف دَعْوتنا الذين نَسْتَدفع المَكَارهَ بطـاعتهم ونَسْتَـصرف نـزُولَ العَظَـائمِ بمنُاَصَـحَتِهم ونُـدَافِع ريـبَ الزمـان بعَـزَائمِهم ونُـزَاحم رُكْـن الـدهر ببصائِرهم فَهُم عِماد الارض اذا أرْجَفَتْ لُفَفُها وخَوْف الاعداء اذا برزت صـفحتها

وحصون الرعية اذا تضايقت الحال بها قد مضت لهم وقائع صادقات ومواطن صالحات أخْمَدَتْ نيرانَ الفِتَن وقَسَمتْ دواعي البِدَع وأذَلّت رِقاب الجَبّأرين ولم يَنْفَكُّوا كذلك ما جَرَوا مع ريح دولتنا وأقاموا في ظِلّ دَعْوَتنا واعتصموا بحبل طاعتنا التي أعز الله بها ذاتَهم ورَفَع بها ضَعَتَهم وجعلهم بها أربابا في أقطار الارض وملوكا على رقاب العالمين بعد لِباس الذُّلّ وقِناع الخوف وإطْباق البَلَا ومُحالَفة الأَسَى وجَهْد البأْس والضّرّ فظاهِرْ عليهم لِباسَ كَرَامتك وأنْزِلْهم في حدائق نعمتك ثم اعْرِفْ لهم حقّ طاعتهم ووسيلة دالَّتهم وماتَّةَ سابِقَتهم وحُرْمة مُناصَحتهم بالاحسان إليهم والتوسعة عليهم والاثابة لمُحسنهم والاقالة لمُسيئهم أيْ بُنَيَّ ثم عليك العامّة فاستدْعِ رِضاها بالعَدْل عليها واستجلِبْ مَوَدَّتَها بالانصاف لها وتَحَسّنْ بذلك لرَبّك وتَوَثّق به في عين رعيتك واجعلْ عُمّالَ العُذْر ووُلاةَ الحُجَجِ مُقَدّمةً بين عملك ونَصَفَةً منك لرعيتك وذلك أن تأمر قاضيَ كُلّ بَلَد وخِيار أهل كل مصْر أن يختاروا لأنفسهم رَجُلًا تُوَلّيه أمْرَهُم وتَجْعَل العَدْل حاكما بَيْنَه وبَيْنَهم فانْ أحْسَنَ حُمِدتَ وان أساء عُذِرْتَ هؤلاء عُمّال العُذْر ووُلَاة الحُجَجِ فلا يَسْقُطَنّ عليك ما في ذلك اذا انْتَشَر في الآفاق وسَبَقَ إلى الاسماع من انعقاد ألْسِنة المُرْجِفين وكَبْت قُلوب الحاسدين وإطْفاء نيران الحُروب وسلامة عواقب الامور ولا يَنْفَكَّنَّ في ظِلّ كرامتك نازلا وبِعُرَى حَبْلِك مُتَعَلِّقا رَجُلانِ أحدُهما كَريمة من كرائم رِجالات العَرَب وأعْلام بُيُوتات الشَرَف له أدب فاضل وحِلْم راجح ودِين صحيح والآخَر له دِين غيرُ مَغْمُوز ومَوْضِع غير مَدْخول يصيرٌ بتَقْليب الكلام وتَصْريف الرأي وأنْحاء العَرَب ووَضْعْ الكُتُب عالم

بحالات الحروب وتصاريف الخُطوب آدابا نافعة وآثاراً باقية من مَحَاسِنِك وتَحْسين أمرك وتَحْلِيه ذِكْرك فَتَسْتَشيرهُ في حَرْبك وتُدْخِله في أمرك فَرَجُلٌ أصَبْتَه كذلك فهو يأوِي إلى مَحَلّتي ويَرْعَى في خُضْرة جِناني ولا تَدَعْ أن تختار لك من فقهاء البُلْدان وخِيار الأمْصار أقواما يكونون جِيرانك وسُمَّارَك وأهلَ مُشاوَرتك فيما تُورِد وأصحابَ مُناظَرتك فيما تُصْدِر فَسِر على بركَة الله أصْحَبَك الله من عَوْنه وتوفيقه دليلا يَهْدِي إلى الصواب قَلْبَك وهادِياً يُنْطِق بالخير لسانَك وكتب في شهر ربيع الآخِر سنة سبعين ومائة ببغداد

وقال ابراهيم بن المهدي يرثي ابنه وكان مات بالبصرة

نأىَ آخَر الأيام عنك حَبيب ... فللعين سَحّ دائِم وغُرُوب

دَعَتْهُ نَوًى لا يُرْتَجى أوْبَةٌ لها ... فَقَلْبُك مَسْلُوبٌ وأنت كئيب

يَؤُوب إلى أوطانه كلُّ غائب ... وأحمدُ في الغُيّاب ليس يَؤُوب

تَبَدَّلَ دارا غيرَ داري وجِيرةً ... سِوايَ وأحْداث الزمانِ تَنُوب

أقام بها مُسْتَوطِنا غيرَ أنه ... على طول أيام المُقام غريب

كأنْ لم يَكُنْ كالغُصْن في مَيْعَة الضُّحَى ... سَقاهُ النَدَى فاهتزّ وهو رَطيب

كأنْ لم يكن كالدُّرّ يَلْمَع نُوره ... بأصْدافه لَمّا تَشِنْه ثُقُوب

كأنْ لم يكن زَيْن الفِناء ومَعْقِل ... النِساء اذا يومٌ يكونُ عَصيب

ورَيْحان صَدْري كان حين أشُمُّه ... ومُؤْنِس قَصْري كان حين أغيب

وكانت يَدِي مَلْأى به ثم أصْبَحَتْ بحمْدِ الَهي وهي منه سَليب
قَليلا من الأيام لم يُرْوَ ناظري بها منه حتى أعْلَقَتْه شَعوب
كظِلّ سَحابٍ لم يُقِمْ غيرَ ساعةٍ إلى أن أطاحَتْه فَطاح جَنوب
أو الشّمس لما من غَمامٍ تَحَسَّرَت مَساءً وقد وَلَّتْ وحانَ غُروب
سأَبْكيك ما أبْقَتْ دُمُوعي والبُكَى بعَيْنَيَّ ماءً يا بُنَيَّ يُجيب
وما غارَ نَجْمٌ أو تَغَنَّتْ حمامةٌ أو اخْضَرَّ في فَرْع الأراك قَضيب
حَياتِيَ ما دامَتْ حَياتي فانْ أَمُتْ ثَوَيْتُ وفي قلبي عليك نُدُوب
وأُضْمِرُ ان أنْفَدْتُ دمعيَ لوعةً عليك لها تحتَ الضُلوع وَجيب
دَعَوْتُ أطِبّاءَ العِراق فلم يُصب دواءَك منهم في البلاد طَبيب
ولم يَمْلك الآسُون دَفْعًا لمُهْجة عليها لأشْراك المَنُون رَقيب
قَصَمْتَ جَناحي بَعْدَ ما هَدَّ مَنْكِبي أخُوكَ فَرَأْسِي قد عَلاه مَشيبُ
فأصْبَحْتُ في الهُلَّاك الّا حُشاشةً تُذَاب بنار الحُزْن فهى تَذُوب
تَوَلَّيْتُما في حِقْبَةٍ فَتَرَكْتُما صَدًى يَتَولّى تارةً ويَثُوب
فلا مَيْتَ الَّا دونَ رُزْئِك رُزْؤُه ولو فُتِّتَتْ حُزْنًا عليه قُلُوب
واني وانْ قَدَّمْتَ قَبْلِي لَعَالِمٌ بأني وان أبطأتُ منك قريب
وانّ صَباحًا نَلْتَقِي في مَسائه صَباحٌ إلى قلبي الغَدَاة حَبيب

المأمون وراثي البرامكة

قال خادم المأمون طَلَبَني أمير المؤمنين ليلةً وقد مضى من الليل ثُلُثُه فقال لي خُذْ معك فلانا وفلانا وسَمَّاهُما لي أحدُهما عليّ بن محمد والآخر دينار

الخادم واذهبْ مُسْرِعا لِمَا أقول لك فانه بَلَغَني أنّ شيخا يَحْضُر ليلا إلى آثار دُور البَرَامكة ويُنْشد شعراء ويذكرهم ذكرا كثيرا ويَنْدُبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامضِ أنت وعليّ ودينار حتى تَرِدُوا تلك الخرِبات فاسْتَتِروا خَلْف بعض الجُدُر فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكي ونَدَب وأنشد أبياتا فَأْتُوني به قال فأَخَذْتُهما ومَضَيْنا حتى أتَيْنَا الخَرِبات فاذا نحن بغُلامٍ قد أتى ومعَهُ بِساطٌ وكرسي حديد واذا شيخ قد جاء وله جَمَال وعليه مَهَابة ولُطْف فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول هذه الابيات

ولما رأيتُ السَيْفَ جَنْدَل جعْفَرًا   ونادى منادٍ للخليفة في يَحْيَى
بَكَيتُ على الدُّنْيا وزاد تأسُّفي   عليهم وقلتُ الآن لا تنفع الدنيا

مع أبياتٍ أطالَها فلما فَرَغ قَبَضْنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع فَزَعًا شديدا وقال دَعوني حتى أُوصي بوصيّةٍ فاني لا أوقِن بعدَها بحياةٍ ثم تقدّم إلى بعض الدكاكين واستفتح وأخَذَ ورقةً وكَتَب فيها وصيّة وسَلّمها إلى غلامه ثم سرْنا به فلما مَثَل بين يدي أمير المؤمنين قال حين رآهُ مَن أنتَ وبمَ اسْتَوْجَبَتْ منك البَرَامكة ما تفعلُه في خَرَائب دُورهم قال الشيخ يا أمير المؤمنين انّ للبرامكة أيادِيَ خَضِرةً عندي أفتأذَن لِي أن أُحَدِّثَكَ بِحالي معهم قال قُلْ فقال يا أمير المؤمنين أنا المُنذر ابن المُغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عَنّي نِعْمتي كما تَزُول عن الرِّجال فلما رَكِبَني الدَيْن واحْتَجْتُ إلى بيع ما عَلَى رَأسي ورُؤُوس أهْلي وبَيْتي الذي وُلِدْت فيه أشاروا عَلَيَّ بالخُروج إلى البرامكة فخرجتُ من دِمَشْقَ ومَعي نَيِّفٌ

وثلاثون رجلا من أهْلي وَوَلَدي وليس ما يُبَاع ولا ما يُوهَب حتى دَخَلْنا بَغْـداد ونَزَلْنا في بعض المساجد فَدَعَوتْ ببعض ثيابٍ كنتُ أعْدَدْتُها لأسْتَتِر بها فَلَبِسْتُها وخَرَجْتُ وتَرَكْتُهم جِياعا لا شئ عنـدَهم ودَخَلْـتُ شـوارع بغـداد سـائلا عـن البرامكة فاذا أنا بمسجدٍ مزخـرفٍ وفي جانبـه شـيخ بأحْـسن زيٍّ وزينـة وعـلى الباب خادمان وفي الجامع جماعةٌ جُلُوسٌ فَطَمِعْتُ في القوم ودخلـتُ المـسجدَ وجلستُ بين أيديهم وأنا أُقَدِّم رِجْلا وأُؤَخِّر أُؤَخْرَى والعَرَق يَسيل مني لانها لم تكن صِناعَتي واذا الخادمُ قد أقبلَ ودعا القومَ فقاموا وأنـا مَعَهُـم فَـدَخَلُوا دارَ يَحْيى بن خالد فدخلتُ معهم واذا يحيى جالسٌ عـلى دكـةٍ لـه وسْـط بُـسْتان فَسَلَّمنْا وهو يَعُدُّنا مائة وَوَاحِدًا وبين يَدِه عـشرة مـن وَلَـدِه واذا بمائـةٍ واثنـى عشر خادما قد أقبلوا ومع كل خادم صينيَّة فرأيـتُ القـاضيَ والمـشايخ يَـضَعُن الدنانير في أكمامهم ويَجْعَلون الصينيّات تحـتَ آبـاطِهم ويقـوم الاوّل فـالاول حتـى بَقِيْـتُ وحـدي لا أجْـسُر عـلى أخْـذِ الـصينية فَغَمَـزَني الخـادِم فَجَـسرْتُ وأخَذْتُها وجعلتُ الذَهَبَ في كُمّي والصينيةَ في يَـدي وقُمْـتُ وجعلـت أتَلَفَّـتُ إلى وَرَائي مَخَافَةَ أن أُمْنَع مـن الـذَهَاب فَوَصَـلْتُ وأنـا كـذلك إلى صَحْن الـدار ويحيَى يُلاحِظُنـي فقـال للخـادم ائتنِـي بهـذا الرَجُـل فأتـاني فقـال مـا لي أراكَ تَتَلَفَّت يَمينا وشِمالا فَقَصَصْتُ عليه قِصَّتي فقال للخـادم ائتنـي بوَلَـدي مـوسى فأتاه به فقال لـه يـا بُنَـيّ هـذا رَجُـلٌ غريـبٌ فَخُـذْه إليـك واحْفَظـه بنفـسِك ونِعْمتك فَقَبض موسى وَلَدُه عـلى يَـدِي وأدْخَلَنـي إلى دارٍ مـن دُوره فـأكْرَمَني غايـةَ الاكـرام وأقَمْـتُ عنـده يَـوْمي ولَيْلَتـي في ألَـذِّ عَـيْشٍ وأتَـمّ سُرورٍ فلـما أصْبَح دَعا بأخيه العباس وقال له الوزير أمَرني بالعَطْف على هـذا الفَتَـى وقـد

عَلِمْتَ اشتِغالي في بَيْت امير المؤمنين فاقبِضْه إليك وأكْرِمْه فَفَعَلَ ذلك وأكْرَمَني غاية الاكرام ثم لما كان من الغَدِ تَسَلَّمَني أخوه احمد ثم لم أزَلْ في أيْدي القوم يَتَدَاوَلُونَني مدةَ عشرة أيام لا أعْرِف خَبَرَ عِيالي وصِبْياني أفي الامْوات هُمْ أمْ في الاحْياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادِمٌ ومعَهُ جماعة من الخَدَم فقالوا قُمْ فاخْرُجْ إلى عِيالِك بسلام فقلت واويلاه سُلْبتُ الدَنانير والصينيّة وأُخْرَجُ على هذه الحالة إنّا لله وانا إليه راجعون فَرُفِع السِتْر الاوّل ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رَفَع الخادم السِتْر الاخير قال لي مهما كان من الحوائج فارْفعْها إليَّ فاني مأمورٌ بقَضاء جميع ما تأمُرُني به فلما رُفِع السِتْر الأخير رأيتُ حُجْرة كالشمس حُسْنا ونورًا واسْتَقْبَلني منها رائحةُ النَّدّ والعود ونَفَحات المِسْك واذا بصِبْياني وعِيالي يَتَقَلّبون في الحرير والدِّيباج وحُمِلَ إليَّ مائةُ ألف دِرْهَم وعَشرة آلافِ دينار ومَنْشُورٌ بضَيْعَتَين وتلك الصينية التي كنت أخَذْتُها بما فيها من الدَّنانير والبَنَادِق وأقَمْت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورِهم ثلاثَ عشرةَ سنة لا يعلمَ الناسُ أمِنَ البرامكة أنا أم رَجُلٌ غريب فلما جاءتهم البَلِّية ونَزَل بهم يا أمير المؤمنين من الرشيد ما نزل أجْحَفَني عَمْرو بن مَسْعدة وألْزَمَني في هاتين الضيعتين من الخَراج مالا يَفي دَخْلُهما به فلما تَحامَل عليّ الدَهْر كنتُ في آخِرِ الليل أقْصِد خَرِبات دُورِهم فأنْدُبُهم وأذْكر حُسْن صُنْعِهم إليَّ وأبكي على احسانِهم فقال المأمون عَلَيَّ بعمرو بن مسعدة فلما أُتِي به قال له تَعْرِف هذا الرَجُلَ قال يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألْزَمْتَه في ضَيْعَتَيْه قال كذا وكذا فقال لهُ رُدّ إليه كُلَّ ما أخَذْتَه منه في مُدّته وأفْرِغْهُا له ليكونا له ولعَقبه من بعده

قال فَعَلَا نَحيبُ الرَجُل فلما رأى المأمونُ كَثْرَة بكائِه قال له يا هـذا قـد أحْـسَنّا إليك فما يُبْكيك قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صَـنيع البرامكـة لـو لم آتِ خرباتهم فأبكيهم أنْدُبهم حتى اتّصل خَبَري إلى أمير فَعَل من أيـن كنـتُ أصـل إلى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن مَيْمون فرأيـتُ المـأمون وقـد دَمَعَـتْ عَيْنـاهُ وظهر عليه حُزْنُه وقال لَعَمْري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابْـكِ وايَّـاهُمْ فاشكُرْ ولهم فأوْفِ ولا حسانهم فاذْكُرْ

رسالة سهل بن هارون في البخل

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

أصلحَ الـلـه أمركم وجَمَع شملكم وعلّمكم الخير وجعلكـم مـن أهلـه قـال الاحْنَف بن قَيْس يا معشرَ بني تَميم لا تُسْرِعوا إلى الفِتْنة فانّ أسْرَع النـاس إلى القتال أقلُّهـم حيـاء مـن الفِـرار وقـد كـانوا يقولـون اذا أردتَ أن تـرى العُيوب جَمَّةً فتأمَّلْ عَيَّابًا فانه انما يَعيب الناسَ بفَضْل ما فيه مـن العَيـب ومن أعْيَب العَيْب أن تَعيب ما لـيس بعَيـب وقبـيحٌ أن تَنْهَـى مُرشـدا وأن تُغْرَى بمُشْفِق وما أردنا بما قلنـا الا هـدايتكم وتقـويمكم واصـلاحَ فاسِـدِكم وابقاءَ النعمة عليكم وما أخطأنا سبيلَ حُسْن النّيّة فيما بيننا وبينكم وقـد تَعْلَمون أنّا ما أوْصَيناكم الا بما اخْتَرْنـاه لكـم ولأنْفُـسنا قَـبلكم وشُـهرنا بـه في الآفاق دونكم ثم نقول في ذلك ما قال العَبْد الصالح لقومه (وما أريـد أن أخـالِفَكم إلى مـا أنْهـاكُمْ عنـه إن أريـد الا الاِصْلاحَ مـا اسـتطعتْ ومـا

توفيقي الا بالـلـه عليه توكلتُ) فما كان أحَقّنا منكم في حُرْمَتنا بكم أن تَرْعَوْا حقّ قصْدِنا بذلك إليكم على ما رَعَيْناه من واجب حَقّكم فلا العُـذْرَ المبـسوط بَلَغْتم ولا بواجب الحُرمة قمتم ولو كان ذكْر العيـوب يُـراد بـه فَخْـرٌ لرَأَيْنـا في أنفُسنا من ذلك شُـغْلًا عِبْتُمـوني بقَـوْلي لخـادِمي أجِيـدي العَجـين فهـو أطْيَـبُ لُطْعمِه وأزْيَد في رَيْعه وقـد قـال عمـر بـن الخطـاب رضى الـلــه عنـه أمْلِكـوا العَجين فانه أحدُ الرَيْعَيْنِ وعبتموني حين ختمـت عـلى مـا فيـه شـئ ثمـين مـن فاكهةٍ رَطْبة نَقيّة ومن رَطْبة غَريبة على عَبْدٍ نَهـم وصَـبيّ جَـشِع وأمَـةٍ لَكْعَـاءَ وزَوْجةٍ مُضِيعة وعبْتُموني بالخَتمْ وقـد خَـتَم بعـض الائمـة عـلى مِـزْوَدِ سَـويقٍ وعلى كيسٍ فارغ وقال طينَةٌ خيرٌ من طَيَّـةٍ فأمْـسَكْتم عَمّـن خَـتم عـلى لاشـئ وعبْتُمْ مَن خَتَم على شئ وعبتموني أن قلتُ للغـلام اذا زِدتَ في المَـرَق فـزِدْ في الانضاج ليَجْتَمِع مـع التـأدُّم بـاللحم طِيْـبُ المَـرَق وعبتمـوني بخَـصْف النَعْـل وبتَصْدير القَميص وحين زَعَمْتُ أنّ المَخْصوفة النَّعْل أَبْقَى وأقْوَى وأشْبَه بالشَّدّ وأنّ التَرْقيع من الحَزْم والتَفْريط من التَضْييع وقد كان رسول الـلـه صلى الـلــه عليه وسلم يَخْصِف نَعْلَه ويُرَقّع ثَوْبَه ويقول لـو أُهْـدِيَ إليّ ذِراعٌ لَقَبِلْـتُ ولـو دُعيتُ إلى كُرَاع لأجَبْت وقالت الحكماء لا جَديدَ لِمَنْ لم يَلْبَس الخَلَـق وبَعَـثَ زياد رَجُلا يَرْتادُ له مُحَدِّثا واشترط عليه أن يكون عاقلا فأتاه بـه مُوافِقـا فقـال له أكنت به ذَا معرِفة قال لا ولكني رأيْتُه في يـوم قـائظ يَلْـبَس خَلَقًـا ويَلْـبَس الناسُ جَديدا فَتَفَرَّسْت فيه العقلَ والادبَ وقـد عَلِمْـت أنّ الخَلَـقَ في موضِـعه كما جعل لكل زمانٍ رجالًا ولكل مقام مقَـالا وقـد أحيَـا الـلــه بالـسُّمّ وأمـاتَ بالدواء وأغَصّ بالماء وقد زَعَمُوا أنّ الاصلاح أحدُ الكاسِـبَيْن كـما زعمـوا أن قلّـة

العِيال أحدُ اليَسَارَيْنِ وقد جَبَر الأحْنَف بن قَيْس يَدَ عَنْزٍ وأمر مالكُ بن أنَس بفَرْك النَعْل وقال عُمَرُ بن الخطاب مَن أَكَلَ بَيْضَةً فقد أكل دَجاجة ولَبِس سالم بن عبد الله جِلْدَ أضْحِيَة وقال رجا لبعض الحكماء أريد أن أهْدِي إليك دَجاجة فقال ان كان لابُدّ فاجعلْها بَيُوضًا وعبتموني حين قلت من لم يَعرِف مواضعَ السَرَف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضعَ الاقتصاد في المَمْتَنع الغالي ولقد أُتيتُ بماء للوضوء على مَبْلغَ الكفاية وأشَدّ من الكفاية فلما صِرْتُ إلى تفريق أجزائه على الأعضاء وإلى التوفير عليها من وضيعة الماء وَجَدْتُ في الأعضاء فضلا عن الماء فَعَلِمْت أن لو كنتُ سَلَكْت الاقتصادَ في أوائله لَخَرج آخرُه على كفاية أوله ولَكانَ نَصيب الأول كنصيب الآخر فبعتموني بذاك وشَنّعْتُم عليّ وقد قال الحَسَنُ وذّكَر السَرَفَ أمَا انه ليَكَون في الماء والكَلأ فلم يَرْضَ بذكر الماء حتى أرْدَفَه الكلأ وعِبتموني أن قلت لا يَغْتَرّنّ أحدُكم بطول عُمْره وتَقْويس ظَهْره ورِقّة عَظْمه ووَهْن قُوَّته وأن يرى نحوه أكثَر ذُرِّيّته فيَدْعوه ذلك إلى اخْراج مالِه من يَده وتحويِله إلى مِلك غيره وإلى تحكيم السَرَفَ فيه وتَسْليط الشَهَوات عليه فَلَعَلّه يكون مُعَمِّرا وهو لا يدري ومَمْدودا له في السِّنّ وهو لا يَشْعُر ولعلّه أن يُرْزَق الوَلَدَ على اليأس ويَحْدُث عليه من آفات الدهر ما لا يَخْطُر على بالٍ ولا يُدْرِكه عقلٌ فَيَسْتَرِدُّه ممن لا يَرُدّه ويُظْهِر الشكوى إلى من لا يَرْحَمُه أصعبَ ما كان عليه الطلب وأقبحَ ما كان به أن يَطْلُب فعبتموني بذلك وقد قال عمرو بن العاص اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا وعبتموني بأن قلت بأنّ السَّرَف والتبذير إلى مال المواريث

وأموال الملوك وأنّ الحفْظَ للمال المُكْتَسَب والغِنَى المُجْتَلَب وإلى ما لا يُعَرَّض فيه بذَهاب الدين واهْتِضام العِرْض ونَصَب البَدَن واهتضام القلب أسرعُ ومَن لم يَحْسُب نَفَقَتَه لم يَحْسُبْ دَخْلَه ومَن لم يَحْسُب الدَخْل فقد أضاع الاصل ومن لم يَعْرِف للغِنَى قَدْرَه فقد أذِن بالفقر وطاب نفسا بالذُّلّ وعبتموني بأن قلت انّ قلت انّ كَسْبَ الحلال يَضْمَن الاِنْفَاقَ في الحلال وانّ الخبيث يَنْزع إلى الخبيث وانّ الطَّيّب يَدْعُو إلى الطَّيّب وانّ الانفاق في الهوى حجابٌ من الهوى فَعِبْتُم عليّ هذا القول وقد قال معاوية لم أرَ تَبْذيرا قَطّ الّا وإلى جَنْبه تضييع وقد قال الحَسَن ان أرَدْتم أن تَعْرِفوا من ايْنَ أصابَ الرجلُ مالَه فانظروا فيما ذا يُنْفِقُه فان الخبيث انما يُنْفَقُ في السَرَف وقلت لكم بالشَفَقة عليكم وحُسْن النظر مني لكم وأنتم في دار الآفاتِ والجوائحُ غيرُ مأمونات فانْ أحاطَتْ بمالِ أحدِكم آفةٌ لم يَرْجِع إلى نفسه فاحذروا النِقَم واختلافَ الامكنة فانّ البَلِّية لا تجري في الجميع الا بموْت الجميع وقد قال عُمَر بن الخطاب رضى الله عنه في العبد والأمة والشاةِ والبَعير فَرِّقوا بين المَنايا وقال ابن سِيرِين لبعض البَحْريِّين كيف تصنعون بأموالكم قالوا نُفَرِّقُها في السُفُن فان عَطِب بعضٌ سَلِمَ بعضٌ ولولا أنَّ السَلامة أكثر ما حَمَلنْا أموالَنا في البحر قال ابن سيرين يَحْسَبها خَرْقاء وهى صَناع وعبتموني بأن قلت لكم عند إشْفاقي عليكم ان لِلْغِنَى لَسُكْرًا وللمالِ لَنَزْوة فمن لم يَحفظ الغِنَى من سُكْره فقد أضاعَه ومن لم يَرْتَبِط المال بخَوف الفقر فقد أهْمَله فعبتموني بذلك وقد قال زيد بن جَبَلة وليس أحد أقْصَر عقلا من غَنِيٍّ أمنَ الفقر وسُكْرُ الغنى أكثرُ من سُكْرِ الخَمْر وقد قال الشاعر يحيى بن خالد بن بَرْمَك

وهُوبُ تِلَاد المالِ فيما يَنوبُه مَنوعٌ اذا ما مَنْعُه كان أحْزَمَا

وعبتموني حين زعمتم أني أقدِّم المالَ على العِلمْ لأنّ المالَ بـه يُفـادُ العلـم وبـه تقوم النفس قبلَ أن تَعْرِف فَضْلَ العِلم فهو أصل والاصل أحقّ بالتفـضيل مـن الفَرْع فقلتم كيف هذا وقد قيل لـرئيس الحكـماء الاغنيـاءُ أفـضلُ أم العُلـمَاء قال العلماء قيل له فما بالُ العلماء يأتون أبوابَ الاغنياء أكثر ما يـأتي الاغنيـاء أبوابَ العلماء قال ذلك لمعرفة العلماء بفضْل المال وجَهْل الاغنياء بحقّ العلـم فقلتُ حالُهما هى القاضية بينهما وكيف يَسْتَوي شئٌ حاجَةُ العامّة إليه وشـئُ يُغْني فيه بَعْضُهم عن بعض وكان النبي صلى الـلـه عليه وسلم يـأمر الاغنيـاء باتّخاذ الغَنَم والفقراء باتخاذ الدَجاج وقال أبو بكر رضى الـلـه عنه اني لأُبْغِـض أهلَ بَيْتٍ يُنْفِقُون نَفَقَة الايّامِ في اليَوْم الواحد وكان أبـو الأسْـود الـدُؤلي يقـول لولدِه اذا بَسَط الـلـه لك الرِزْق فابْسُطْ واذا قَبَضَ فاقْبِضْ وعبتموني حين قلتُ فَضْل الغِنَى على القوت انما هو كفضل الآلَة تكون في البَيْـت اذا احْتـيج إليهـا اسْتُعْمِلَت وان استغنى عنها كانت عُدّة وقد قال الحُصَين بن المُنْـذِر وَدِدْتُ أنّ لِي مثل أُحُدٍ ذَهَبًا لا أنْتَفع منه بشئٍ قيل له فـما كنـتَ تَـصْنَع بـه قـال لكـثرة من كان يَخْـدُمُني عليـه لانّ المـالَ مَخْـدوم وقـد قـال بعـض الحكـماء عليـك بطلب الغِنَى فلو لم يكن فيه الا أنه عِزٌّ في قلبـك وذُلٌّ في قلـب عـدوّك لَكـانَ الحظّ فيه جسيما والنَفْع فيه عظيما ولَسْنا نَدَع سيرَةَ الانبياء وتعلـيم الخُلَفـاء وتأديـبَ الحكـماء لأصْـحاب الـلـــهو ولَـسْتُم عـليَّ تَـردُّون ولا رأيـي تُفَنِّـدون

فَقَدِّموا النَظَر قبل العَزْم وأدركوا مالكم قبل أن تُدْرِكوا مآلكم والسلام عليكم

وكتب الجاحظ إلى بعض اخوانه في ذَمَّ الزمان

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

حفِظَك الـلـه حِفْظَ مَنْ وفَّقه للقَناعة واستعمله بالطاعة كتبـتُ إليـك وحـالي حالُ مَن كَثُفَتْ غُمُومه وأشْكَلَتْ عليه أُموره واشْتَبَه عليه حالُ دَهْره ومَخْـرَج أمْره وقَلّ عنده مَن يثِق بوفَائه أو يَحْمَد مَغَبّة إِخائه لاسْـتِحالة زماننـا وفـساد أيامنا ودَوْلة أنْذَالِنا وقِدَمًا كان مَن قَدَّمَ الحياءَ عـلى نفـسه وحكَّـم الـصدْق في قوله وآثر الحقّ في أموره ونبذ المُشْتَبِهات عليه مـن شـؤونه تَمَّـتْ لـه الـسَلامة وفازَ بوُفور حَظّ العافية وحَمِد مَغَبّـة مكـروه العاقبـة فَنَظَرْنـا اذْ حـال عنـدنا حكْمُه وتَحَوَّلَتْ دَوْلَتُه فوجَدْنا الحياءَ مُتَّصِلا بالحِرْمان والصِدْق آفةً على المـال والقصدَ في الطَلَب بِتَرْك استعمال القِحَـة وإِخـلاق العِـرْض مـن طريـق التوكُّـل دليلا على سَخَافة الرأي اذ صارَت الحُظْـوة الباسـقة والنِعمـة الـسابغة في لُـؤْم المَشيئة وسَناءُ الرزق من جهة محاشاة الرَخاء ومُلَابَسة مَعَرّة العـار ثـم نظرنـا في تَعَقُّب المُتَعَقّب لقولنا والكاشِرَ لِحُجَّتنَا فأقَمنا له عَلَمًا واضِحا وشاهدا قائِمـا ومَنارا بَيِّنا اذ وَجَدْنا مَن فيه السُّفُوليِّة الواضـحة والمَثالِـب الفاضـحة والكَـذِب المُبَرّح والخُلْف المُصَرِّح والجَهالة المُفْرِطـة والركاكـة المُـسْتَخَفّة وضـعْف اليقـين

والاستثبات وسُرْعة الغَضَب والجَراءة قد استكملَ سُرورُه واعْتَدَلَتْ أموره وفاز بالسَهْم الأغْلب والحَظّ الأَوْفَر والقَدْر الرَفيع والجَواز الطائع والأمر النافِذ ان زَلَّ قيل حَكَم وان أخطأ قيل أصابَ وان هَذَى في كلامه وهو يَقْظان قيل رُؤْيا صادِقة من نَسَمَةٍ مُباركة فهذه حُجَّتُنا والله على مَن زَعَم أنّ الجَهْل يَخْفِض وأنّ النُّوكَ يُرْدِي وأنّ الكَذِب يَضُرّ وأنّ الخُلْفَ يُزْري ثم نظرنا في الوفاء والامانة والنُبْل والبَلاغة وحُسن المَذْهَب وكمال المُرُوءة وسَعَة الصَدْر وقِلَّة الغَضَب وكَرَم الطَبيعة والفائق في سَعة عِلْمه والحاكِم على نفسه والغالِب لِهَواه فوجَدْنا فلانَ ابنَ فلان ثم وجدنا الومان لم يُنْصِفْه من حَقّه ولا قَام له بوظائف فَرْضه ووجدنا فضائلَه القائِمة له قاعدةً به فهذا دليلُ أن الطَّلاح أجْدَى من الصَلاح وأن الفضل قد مضى زمانُه وعَفَتْ آثارُه وصارت الدائرة عليه كما كانت الدائرة على ضدّهِ ووجدنا العقلَ يَشْقَى به قرينُه كما أن الجهل والحُمْق يَحْظَى به خَدِينه ووجدنا الشِّعْر ناطقا على الزمان ومُعْربا عن الايام حيث يقول

تَحَامَقْ مع الحمقَى اذا ما لَقِيتَهُم ولاقِهُم بالجَهْل فِعْلَ أخِي الجَهْل
وخَلِّطْ اذا لاَقيْتَ يومًا مُخَلِّطا يُخَلِّط في قولٍ صحيح وفي هَزْل
فاني رأيتُ المَرْءَ يَشْقَى بعَقْلِه كما كان قبلَ اليومِ يَسْعَدُ بالعقل

فَبَقيتُ أبْقاك الله مثلَ مَن أصبحَ على أو فاز ومن النُقْلة على جِهاز لا يسوغ له نِعْمة ولا تَطْعَم عَيْنُه غَمْضة في أهاويلَ يُباكِرُه مكروهُها ويُرَاوِحُه عَقَائبُها فلو أنّ الدُّعاء أجيبَ والتَضَرُّع سُمِع لكانت العِدَة العُظْمَى والرَجْفَة الكبرى فليتَ أي أخي ما أَسْتَبْطئُه من النَفْخَة ومن فَجْأة

الصَيْحة قُضِيَ فحانَ وأُذِن به فكان فوالـلـه ما عُذِّبَتْ أَمَّةٌ بِرَجْفـة ولا ريـح ولا سَخْطَة عذابَ عيني برُؤْية المُغَايَظَة المُدْمِنة والاخبار المُهْلِكة كأنّ الزمانَ يُوَكّـل بعذابِي أو يُنْصَب بأيامي فما عَيْشُ مَن لا يُسَرّ بأخٍ شَـفيق ولا يَـصْطَبِح في أول نهاره الا برؤية من يكرهُه ويَغُمّه بطلعته فقد طالتْ الغمة وواظبـت الكُرْبـة وادْلَهَمَّت الظُلْمة وخَمَدَ السِراج وتَبَاطأ الانْفراج

وكتب الجاحظ إلى محمد بن عبد الملك يستعطفه

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

أعاذَك الـلـه من سوءِ الغَضَب وعَصَمَك من سرف الهوى وصَرَف ما أعارَك مـن القُوّة إلى حُبّ الانصاف ورَجّح في قلبك ايثار الأناة فقد خفْتُ أيّدك الـلــه أن أكونَ عندك من المَنْسوبين إلى نَزَق السُفَهاء ومُجانَبة سُبُل الحُكماء وبعد فقـد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت

وانّ امْـرَأً أمْـسَى وأصْـبَحَ سـالما مــن النـاس الا مـا جَنَـى لَـسَعيد

وقال الآخر

ومَــن دَعــا النــاسَ إلى ذَمّــه ذَمُّــوه بــالحقّ وبالباطــل

فان كنُت اجْتَرَأْت عليك أصْلَحَك الـلـه فلم أجْـتَرِئْ الا لأنّ دوامَ تَغَافُلِـك عَنّـي شَـبيهٌ بـالاهمال الـذي يـورِثُ الاغْفـال والعفـوُ المُتَتـابع يُـؤْمِن مـن المكافـأة

ولذلك قال عُيَيْنَه بن حصْن بن حُذَيفة لعُثمان رحمه الـلـه عُمَرٌ كـان خَـيْرًا لي منك أرْهَبَني فاتَّقَاني وأعطاني فأغناني فـان كنـتَ لا تَهَـبُ عِقـابي أيّـدك الـلــه لخدْمةٍ فَهَبْه لأياديك عندي فانّ النعمةَ تَشْفَع في النِقْمة والا تفعلْ ذلك لذلك فَعُد إلى حُسْن العادة والا فافعلْ ذلك لحُسْن الأُحْدوثة والا فَأْتِ ما أنتَ أهلُه من العفو دون ما أنا أهلُه من استحقاق العُقُوبة فـسبحانَ مَـن جعلـك تَعْفُـو عن المُتَعَمِّد وتتجافَى عن عِقاب المُصِرّ حتى اذا صِرْتَ إلى مَن هَفَوْتُه ذِكْر وذَنْبُه نِسْيان ومَن لا يَعرِف السكْر الا لك والانعامَ الا منك هَجَمْـتَ عليـه بالعُقُوبـة واعَلمْ أيّدك الـلـه أنّ شَيْنَ غضبِك عَلَيّ كَزَيْن صَفْحك عني وأنّ مَوْتَ ذِكْري مع انقطاع سَبَبي منك كَحياةِ ذكرِك مع اتّصال سَبَبي بك واعلم أنّ لك فطْنَةَ عَليم وغَفْلَةَ كريم والسلام

وصف الجاحظ لقُريش وبني هاشم

قد عَلِم الناسُ كيفَ كَرَم قُرَيش وسَخاؤها وكيـف عُقولهـا ودَهاؤهـا وكيـف رأيُهـا وذكاؤها وكيف سِياسَتُها وتدبيرها وكيف ايْجازها وتَحْسيرها وكيف رَجاحة أحْلامهـا اذا خَفّ الحَليم وحِدّة أذهانها اذا كلّ الحديد وكيف صَبْرُها عنـد اللقـاء وثباتُهـا في اللَّأْواء وكيف وفاؤها اذا استُحْسن الغَدْر وكيف جودُها اذا حُبَّ المالُ وكيف ذِكْرُها لأحاديث غَدٍ وقلّة صُدودِها عن جهة القَصْد وكيف إقْرارُهـا بـالحقّ وصَـبْرُها عليـه وكيـف وصْـفُها لـه ودُعاؤهـا إليـه وكيـف سَـماحَة أخلاقهـا وصَـوْنُها لأعْراقهـا

وكيف وصَلوا قـديمَهم بحَـديثهم وطَـريفَهم بتَليـدهم وكيـف أشْبَه عَلانِيَـتَهم سِرُّهم وقولَهم فِعلُهم وهل سلامة صدر أحدهم الا على قدر بُعد غَديره وهل غَفْلَتُه الا في وزن صِدْق ظَنُّه الا كَيَقين غيره

دُرَّتا زَيْن لقُرَّتَيْ عَيْن

حكى عن محمد بن عبد الرحمن الهاشمي قال كانت عَتَّابة أُمُّ جعفر بن يحيى تَزُور أُمّي وكانت لبيبة من النساء حازمة فصيحة بَرْزة يُعْجِبنُي أن أجِدَها عند أميّ فأستَكْثِر من حديثها فقلت لها يوما يا أم جعفر انّ بعـضَ النـاس يفـضِّل جعفرا على الفضل على جعفر فأخبريني فقالت مازلنـا نعـرف الفـضل للفـضل فقلت ان أكثر الناس على خلاف هذا فقالت هاءنا أحَدِّثك واقْـضِ أنـتَ وذلـك الذي أردتُ منها فقالت كانا يوما يلعَبان في داري فدخل أبوهما فدعا بالغِـذاء وأحْضَرَها فَطَعِمَا معه ثم آنَسَهما بحديثه ثم قال لهما أتلعبان بالشِّطْرَنْج فقال جعفر وكان أجْرَأهما نعم قال فهل لاعَبْتَ أخاك بها قال جعفر لا قـال فالْعَبـا بها بينَ يَدَيّ لأرَى لِمَن الغَلَب فقال جعفـر نعـم وكـان الفـضل أبْـصَرَ منـه بهـا فجئ بالشطرنج فصُفَّت بينهما وأقبلَ عليها جعفر وأعْرَض عنهـا الفـضل فقـال له أبوه مالَكَ لا تُلاعِب أخاك فقال لا أحِبّ ذلك فقال جعفر انه يَرَى أنه أعلمُ بها فيأنَفُ من مُلاعَبَتي وأنا أُلاعِبُه مُخَـاطَرَةً فقـال الفـضل لا أفعـل فقـال أبـوه لاعِبْه وأنا معك فقال جعفر رضيتُ وأبى الفضل واستعفَى أباهُ فأعْفاه ثم قالـت

لي قد حَدَّثْتُك فاقْضِ فقلت قد قضَيْتُ للفضل بالفضل علي أخيه فقالت لو عَلْمِتُ أنك لا تُحْسِن القضاء لَمَا حَكَّمْتُك أفلا ترى أنّ جعفرا قد سَقَط أربع سَقَطات تَنَزَّه الفضل عنهنّ فَسَقَطَ حين اعترف على نفسه بانه يَلْعب بالشِّطْرَنج وكان أبوه صاحبَ جِدٍّ وسقط في طلب المُقامَرة واظهار الحرْص على مال أخيه والرابعة قاصِمة الظَهْر حين قال أبوه لأخيه لاعِبْه وأنا معك فقال أخوه لا وقال هو نعم فناصَبَ صَفًّا فيه أبوه وأخوه فقلتُ أحسنت والله وانِك لأقْضَى من الشَّعْبيّ ثم قلت لها عَزَمْتُ عليك أخبريني هل خَفِى مِثلُ هذا على جعفر وقد فَطَن له أخوه فقالت لولا العزيمة لَما أخْبَرْتُك انّ أباهُما لمّا خرج قلت للفضل خاليةً به ما مَنَعَك من ادْخال السُرور على أبيك بمُلاعبة أخيك فقال أمْرانِ أحدُهما لو أني لاعَبْتُه لَغلَبْتُه فأحْجَلْتُه والثاني قول أبي لاعِبْه وأنا معك فما يَسُرُّني أن يكون أبي معي على أخي ثم خَلَوْت بجعفر فقلت له يسأل أبوك عن اللعِب بالشطرنج فيصمت أخوك وتعترف وأبوكَ صاحِب جدّ فقال اني سَمِعْت أبي يقول نِعْم لَهْوٌ البال المَكْدُود وقد عَلِم ما نَلْقاه من كدّ التعلُّم والتأدُّب ولم آمَن أن يكون بَلَغَه أنّا نَلْعَب بها ولا يُبادر فيُنْكر فبادرْت بالاقرار إشْفاقا على نفسي وعليه وقلتُ ان كان تَوْبيخ فَدَيْتُه من المُواجَهة به فقلتُ له يا بنيّ فلِمَ تقول أُلاعِبُه مُخَاطرةً كأنك تُقَامر أخاك وتَستكثِر مالَه فقال كَلّا ولكنه يَسْتحِسن الدَواة التي وهَبَها لي أميرُ المؤمنين فعَرضْتُها عليه فأبَى قبولَها وطَمِعْت أن يُلاعِبَني فأُخاطِره عليها وهو يَغْلُبِني فتَطيب نفسُه بأخْذِها فقلت لها يا أُمّاه ما كانت هذه الدواة فقالت انّ جعفرا دخل على أمير المؤمنين فرأى بين يديه دواة من العقيق الاحمر مُحَلّاة بالياقوت

الازرق والاصفر فرآه يَنْظُر إليها فَوَهَبَها له فقلت إيِه فقالت ثم قلت لجعفر هَبْكَ اعتذَرْت بما سمعتُ فما عُذْرُك من الرِضا بمُناصَبَة أبيك حين قال لاعِبْه وأنا معك فقلتَ أنتَ نَعَمْ وقال هو لا فقال عَرَفْت أنه غالِبُني ولو فَتَر لَعِبُه لتغالبتُ له مع مالَه من الشّرَف والسرور بتحيُّز أبيه إليه قال محمد بن عبد الرحمن فقلت بَخٍ بَخٍ هذه والله السيادة ثم قلت لها يا أمّاه أكان منهما مَن بَلَغَ الحُلُم فقالت يا بنىّ أين يُذْهَب بك أُخْبِرُك عن صَبِيَّيْن يَلْعَبان فتقول أكان منهما من بلغ الحلم لقد كنا نَنْهَي الصبيّ اذا بَلَغ العَشْر وحَضَر من يُسْتَحَى منه أن يَبْتَسم

دُرَّتا زَيْن لقُرَّتَيْ عَيْن

يحكي أنّ الفضل بنَ سهل أرسل وَهْب بن سعيد إلى فارِس مُحاسِبًا لِعُمّالها فَبَلَغه أنه خانَ فَعَزله وسَخِط عليه وبعث به إلى أخيه الحَسَن ابن سهل لينظر في أمره فأحَسَ وهب بن سعيد بالشرِّ فأوصى إلى رجل من أهل واسِطَ ثِقَةٍ مُوسِرٍ يَتَحَرَّف بالجِزارة ويَتَّجر في الجلود فأعطاه مالا عظيما وضمّ إليه ولَدَيْه الحسنَ وسليمان وهما صغيران ثم توجَّه وهب إلى بَغْداد فغَرِق وهَلَك غَرَقًا فلما بلغ ذلك الوصيَّ أخبر به الغلامين وقال اختارا حِرفةً تَحْتَرِفان بها وان اخترتُما الجِزارةَ وبيعَ الجلود بصَّرْتكما بذلك ولكما عندي مالٌ سأشتري لكما به ضِياعا تَسْتَظهِران بها على أحْداث الزمان فقالا مالَنا ولِحَرف العوامّ وصِناعاتِهم وانما حرفة أمثالِنا جَزْر

أعناق الرجال في القراطيس فسَمِع الجزار كلاما لا عَهْد له بسَماع مِثلِه فَتَهيَّبَهُما الوصيّ ورأى بَزًا ليس من سوقه فضمَّ إليهما مَن يؤدِبُهما ويُصْلح من شأنِهما فلما اشتدّا قالا لوصِيِّهما انّ واسِطَ لا تَفي لنا بما نَرومُه من العلْم ونُؤَمِّلُه من الرّآسة فقال لهما الوصي انّ مِثلَكما لا يُوَلَّى عليه فَمُراني بأمْرِكما أَطِعْ فقالا له جَهِّزْنا إلى مُعْتَرَض العلماء ومستقرّ الخلفاء فجهزَهما إلى بَغْداد ودَفَع إليهما من المال ما أحَبّاه وذَكَر الصُولِي أنه دفع إليهما مالَهما كلَّه فلما صارا إلى بغداد نالا ما أمَّلا من الرآسة والعلم ثم كتبنا معًا في دار المأمون في حال غُلُومِيَّتهِما وصِغَر سِنِّهما ورأى المأمون يوما أحدَهما في الدار يمشي فقال له من أنتَ يا غلام فقال أنا الناشئ في دولِتك المُغْتَذي بِنعمتك المكَّرم بخدْمتك عبدُك وابن عبدك سليمان ابن وهب فقال المأمون أحسنتَ يا غلام ثم ان المأمون دعا سليمان ابن وهب وهو غلام فأمَره أن يكتُب بين يديه كتابا لم يبلُغْ قدرُه أن يكتُبَ مِثَله فحرّره على ما أراد المأمون على أحْسنِ خطٍّ وأصح ضَبْطٍ وأسهل لفظٍ وأجْود معنًى فسُرَّ به المأمون سرورا ظهر عليه فلما خرج سليمان كتب إليه بعض اخوان أبيه يقول

أبوك كَلَّفَك الشأو البعيد كما ... قِدْمًا تَكَلَّفَه وَهْبٌ أبو حَسَنِ
فلستَ تُحْمد ان أدركتَ غايتَه ... ولستَ تُعْذَر مسبوقا فلا تَهِنِ

ولم تزل أمورُهما تَنْمي حتى نالا الوِزارةَ وحكى أنّ ابن يزيد بن محمد المُهَلَّبي وفَدَ على سليمان بن وهب حين اسْتُوِز فسُرَّ به وعَرَف له فضلَه وأجْلَسَه إلى جانبه فأنشده قولَه

وَهَبْتم لنا يا آل وَهْبٍ مودّةً فأبقتْ لنا مالًا ومجدًا يُؤَثَّل
فمن كان للآثامِ والذُّلّ أرضُه فأرضُكُمُ للاجْر والعِزّ مَنْزِل
رأى الناسُ فوقَ المجد مقدارَ فضلكم فقد سألوكم فوق ما كان يُسئل
يُقَصِّر عن مَسعاتِكم كلُّ آخرٍ وما فاتَكم ممن تقدَّمَ أوَّل
بلغتُ الذي قد كنتُ آمُلُه لكم وان كنت لم أبلُغ بكم ما أُؤَمِّل

فقطَع عليه سليمانُ انشادَه وقال لا تقل ذلك أصلَحَك الله فانك عندي كما أنشدني عِمارةُ بنُ عَقيل بن بلال بن جَرير حيث قال

أُقَهْقِهُ مسرورا اذا أنتَ سالمٌ وأبكي من الاشواقِ حين تغيب

فقال له المهَلَّبي فليَسْمع الوزير من آخر الشِعر ما يَحْقِر أوّله فقال هات فانشأ يقول

وما لِيَ حقٌّ واجبٌ غيرَأنني بجودِكم في حاجتي أتوسَّل
وانكمُ أفضلتُم وبررتُم وقد يَستَتِمُّ النِعمةَ المتفضل
وأوْليتمُ فعلا جميلا مقدَّما فعودوا فانّ العود بالحرِّ أجملُ
فكم مُلْحِفٍ قد نال مارام منكمُ ويمنعُنا عن مِثل ذاك التجمُّلُ
وعوّدتمونا قبلَ أن نسألَ الغِنَى ولا وجه للمعروف والوجهُ يُبْذَلُ

فقال سليمان والله لا تَبْرَح حتى أقضي حوائجَك كائنةً ما كانت ولو لم أُفدْ مما أنالَني أمير المؤمنين الا شكرُك لرأيتُ بذلك جنابي مُمْرِعا وزَرْعي مُرْتِعا ثم وقع له في رِقاع كثيرة كانت معه بجميع ما أرادَ

وقال أبو الطّيب يمدح أبا شُجاع فاتِكًا

وكان يلقب بالمجنون

لا خيـلَ عنـدك تُهـديها ولا مـالُ ... فلْيُسعِد النُطْقُ ان لم تُسعِد الحالُ
واجْـز الاميرَ الـذي نُعماه فاجئةٌ ... بغير قـولٍ ونُعْمَى النـاسِ أقـوالُ
فربمـا جَـزَت الاحـسانَ مُوليَـه ... خَريـدةٌ مـن عَـذَاري الحَـيّ مِكْسالُ
وان تكـن مُحْكَـماتُ الـشكل تمنعني ... ظهـورَ جَـرْي فَـلي فـيهن تَـصْهال
ومـا شَـكَرْتُ لأنّ المـالَ فَرَّحَنـي ... سِـيانِ عنـديَ اكثـارٌ وإقـلال
لكـن رأيـتُ قبيحًـا أن يُجادَلَنـا ... وأننـا بقـضاء الحـق بُخَّـال
فكنـتُ مُنْبِـتَ رَوْضِ الحَـزْن بـاكَره ... غيـثُ بغـير سِـباخ الارضِ هَطّـال
غيـثٌ يُبَـيّن للنُّظّـار موقِعُـه ... أنّ الغُيـوثَ بمـا تأتيـه جُهّـال
لا يُـدْرك المجـدَ الّا سَـيّد فَطِـنٌ ... لِـمَا يَـشُقُّ عـلى الـسادات فَعّـال
لا وارِثٌ جَهِلَـت يُمْنـاه مـا وهبـتْ ... ولا كَـسوبٌ بغـير الـسيف سَـئّال
قـال الزمـانُ لـه قـولا فأفهَمـه ... أن الزمـان عـلى الامـساك عَـذّال
تـدري القنـاةُ اذا اهتـزّت بِراحَتـه ... أنّ الـشَّقِيّ بهـا خيـلٌ وأبطـال
كفاتـكٍ ودخـولُ الكـاف مَنْقَـصَةٌ ... كالـشمس قُلْتُ ومـا للـشمس أمثال
القائـدُ الأسْـدَ غَـذَّتْها بَرَاثِنُـه ... بمثْلِهـا مـن عِـداهُ وهـي أشْـبال
القاتِـل الـسيفَ في جـسم القتيـل بـه ... ولِلـسُّيوف كـما للنـاس آجـالُ
تَغـير عنـه عـلى الغـارات هَيْبَتُـه ... شَرِبـوا ومـا لَـهُ بأقـاصي الـبَرّ أهْـمال
لـه مـن الـوَحْش مـا اختـارت أسِـنَّتُه ... عَـيْرٌ وهَيْـقٌ وخَنْـساءٌ وذَيّـال
تُمْـسِي الـضُّيُوف مُـشَهّاةً بَعقْوتـه ... كـأن أوقاتَهـا في الطِيـب آصـال

لـو اشـتهتْ لَحْـمَ قارِيهـا لَبَادَرَهـا … خــزَاذِلٌ منــه في الـشِيزَى وأوْصــال
لا يعــرف الــرُّزْءَ في مــالٍ ولا ولــدٍ … الا اذا احتفـــز الــضيفانَ تَرْحـــال
يُـرْوِي صَـدَى الارضِ مِـن فَـضْلات مـا … مَحْـضُ اللَّقـاح وصَـافِي اللَّـون سَلْـسال
تَفْـرِي صَـوَارِمُه الـساعِات عَـبْطَ دَم … كأنمـــا الـــسَاعُ نُـــزّال وقُفَّـــال
تجــري النفــوس حوالَيْــه مُخَلَّطــة … منهـــا عُـــداةٌ وأغنـــامُ وآبـــالُ
لا يُحْــرِم البعــدُ أهــلَ البعــد نائلَــه … وغــــيرُ عــــاجرة عنــــه الأُطَيْفَـــال
أمــضَى الفــريقين في أقرانِــه ظُبَــةً … والبــيضُ هادِيــةٌ والــسُّمْر ضُــلّال
يُريــك مَخْــبَرُهُ أضــعافَ مَنْظَــرِه … بــين الرجــال وفيهــا المــاء والآل
وقـــد يُلَقِّبُـــه المجنـــونَ حاسِـــدُه … اذا اخـــتلطْنَ وبعـــضُ العقــل عُقّــال
يَرْمــي بهــا الجــيشَ لابُــدُّ لــهُ ولهــا … مــن شَــقّة ولــو آنّ الجــيشَ أجبــال
اذا العــدَي نَــشِبَت فــيهم مَخالِبُــه … لم يَجْتَمــع لهُــم حِلــمٌ ورِيبـــال
يَــرُوعُهم منــه دهــرٌ صَرْفــه أبــدًا … مُجَـــاهِرٌ وصُروف الـــدهر تَغْتـــال
أنالـــه الـــشرفَ الأعـــلى تَقَدُّمُـــه … فَــما الــذي بِتَــوَقّى مــا أتَى نَــالُوا
اذا المُلـــوك تحلّـــت كـــان حِلْيَتـــه … مُهَنَّـــدٌ وأصَـــمٌّ الكعـــب عَـــسَّال
أبــو شــجاع أبــو الــشَّجْعان قاطبــةً … هَــوْل نَمَتْــه مــن الهَيْجــاء أهــوال
تَمَلّــكَ الحمــد حتــى مــا لمُفْتَخِــرٍ … في الحمـــد حـــاءٌ ولا مـــيمٌ ولا دال
عليـــه منـــه سرابيـــلٌ مـــضاعَفةٌ … وقـــد كفـــاه مـــن المـــاذي سِربْـــال
وكيــف أسْــتُرُ مــا أولَيْــتَ مــن حَــسَنٍ … وقـــد غمـــرت نَـــوَالا أيُّهـــا النَّـــال
لَطَّفْــتَ رأيَــك في بِــرّي وتكرمنـــي … انّ الكـــريم عـــلى العَلْيـــاء يَحْتـــال
حتـــى غـــدوتَ وللاخبـــار تَجْـــوال … وللكواكـــــب في كفّيـــــك آمـــــال
وقـــد أطـــالَ ثَنَـــائي طُـــولُ لابِـــسِه … انّ الثنـــاء عـــلى التِنْبـــال تِنْبـــال

ان كنـتَ تكْـبُر أن تختـال في بَـشَرٍ		فـانّ قـدرك في الأقـدار يختـال
كـأن نفـسك لا ترْضـاك صـاحِبَها		الا وأنـت عـلى المفـضال مِفـضال
ولا تَعُـدّك صَـوّانا لمهجتِهـا		الا وأنـت لهـا في الـرَّوْع بَـذّال
لـولا المَـشَقّة سـاد النـاسُ كلُّهـم		الجـودُ يُفْقِـر والاِقْـدام قَتّـال
وانمـا يَبْلـغ الانـسانُ طاقَتَـه		مـا كُـلُّ ماشِـيَةٍ بالرّجـل شِـمْلان
انّـا لفـي زمـن تـركُ القبـيح بـه		مـن أكـثر النـاسِ احـسان واجـمال
ذِكْـرُ الفتـى عُمْـرُه الثـاني وحاجتُـه		مـا قاتَـهُ وفـضُولُ العَـيش أشـغال

قال أبو الطيب المتنبي يرثي أبا شجاع فاتكا

الحُـزْن يُقْلِـق والتجمّـل يَـرْدَع		والـدمع بيـنهُما عَـصِيٌّ طيِّـع
يتنازَعـانِ دُمـوعَ عـين مُـسَهَّدٍ		هـذا يَجـئ بهـا وهـذا يَرْجِـع
النـوم بعـد أبي شُـجاع نـافِرٌ		والليـلُ مُعْـيٍ والكواكـب طُلَّـع
اني لأجْـبُن مـن فِـراقِ أحبتـي		وتُحِـسّ نفـسي بـالحِمام فأشـجُع
ويزيـدني غَـضَب الاعـادي قـسوةً		ويُلِّـم بي عَتْـب الـصديق فـأجزَع
تَـصْفو الحيـاةُ لجاهـلٍ أو غافـلٍ		عـما مـضى منهـا ومـا يُتَوقَّـع
ولِمَـنْ يُغـالِط في الحقـائِق نَفْـسَه		ويَـسومُها طَلَـبَ المُحَـال فَتَطْمَـع
ايـنَ الـذي الهَرَمـانِ مـن بُنْيانِـه		مـا قومُـه مـا يومُـه مـا المَـصْرِع
تَتَخلَّـف الآثـار عـن أصـحابها		حِينًـا ويُـدرِكُها الفنـاء فتَتْبَـع
لم يـرضَ قلـبَ أبي شـجاع مَبْلَـغٌ		قبـلَ المـمات ولم يَـسَعْه موضِـع
كُنّـا نَظُـنّ دِيـارَه مملـوءةً		ذَهَبًـا فـماتَ وكـلُّ دارٍ بَلْقَـع

واذا المكـــارِم والـــصَّوارِم والقَنـــا وبَنَـاتُ أعْـوَج كـلُّ شـئ يَجْمَـع
المجـــدُ أخـــسرُ والمكـــارم صَـــفْقَةً مـن أن يَعـيش بهـا الكـريم الأرْوَع
والنـــاسُ أنـــزلُ في زمانِـــك مَنـــزِلا مـــن أن تُعايِـــشَهم وقـــدرُك أرفـــع
بَـــرِّد حَـــشاىَ ان اســـتطعتَ بلفظـــةٍ فلقـــد تَـــضُرّ اذا تـــشاء وتَنْفـــع
مـــا كـــان منـــك إلى خليـــل قبلَهـــا مـــا يُـــسْتَرَاب بـــه ولا مـــا يُوجِـــع
ولقـــد أراك ومـــا تُلـــمّ مُلِمّـــةٌ الا نفاهـــا عنـــك قلـــبٌ
ويَـــدٍ كـــأن قِتالَهـــا ونوالَهـــا فـــرضٌ يَحُـــقّ عليـــك وهـــو تَـــبَرُّع
يـــا مَـــن يُبَـــدِّل كـــل يـــوم حُلَّـــةً أنَّي رَضـــيتَ بحُلّـــةٍ لا تُنْـــزَع
مـا زِلْـتَ تَخْلَعُهـا عـلى مَـن شـاءها حتـى لبـسْتَ اليـومَ مـا لا تَخْلَـع
مـــا زلـــت تَـــدْفَع كـــل أمـــرٍ فـــادحٍ حتـــى أتى الامـــرُ الـــذي لا يُـــدْفَع
فَظَلِلْـــتَ تنظـــر لا رِماحُـــكَ شُرَّع فـــيما عَـــراك ولا سُـــيوفُك قُطَّـــع
بـــأبي الوحيـــدَ وجيـــشه متكـــاثِرٌ يَـــبْكِي ومِـــن شَرّ الـــسِّلاح الأَدْمُـــع
واذا حَـصَلْتَ مـن الـسلاح عـلى البُكـا فَحَـشاك رُعْـت بـه وخَـدَّك تَفْـرَع
وصَـلَتْ إليـك يَـدٌ سَـواءٌ عنـدها ألْبَـازُ الاشْـهَبُ والغـرابُ الأَبْقَـع
مَـن للمحافِـل والجحافـل والـسُّرَى فَقَـدَتْ بفقـدك نَـيِّرا لا يَطْلُـع
ومَـن اتخـذتَ عـلى الـضُّيوف خليفـةً ضـــاعوا ومثْلُـــك لا يَكـــاد
قُبْحًـا لوجهـك يـا زمـانُ فانـه وجـهٌ لـه مـن كـل لُـؤْمٍ بُرْقُـع
أيَمُـوت مثـلُ أبي شُـجاعٍ فاتِـكٍ ويَعـيش حاسِـدُه الخَـصِيُّ الأَوْكَـع
أيـدٍ مُقَطَّعَـةٌ حـوالَيْ رأسِـه وفَقًّـا يَـصِيح بهـا ألَا مَـن يَـصْفع
أبقيـتَ أكْـذَبَ كـاذِبٍ أبقيتَـه وأخـذتَ أصْـدَقَ مَـن يقـول ويَـسْمع
وتركـت أنْـتَنَ ريحَـةٍ مذمومـة وسـلبْتَ أطيـبَ ريحـةٍ تَتَـضَوّع
فـاليومَ قَـرّ لكـل وحْـشٍ نـافرٍ دَمُـه وكـان كأنـه يتطلّـع

وتــصالَحَتْ ثَمَــرُ الــسِيَاط وخَيْلُــه وأوَتْ إليهـــا سُـــوقُها والأذْرُع
وعَفــا الطِــراد فــلا سِــنانٌ راعِــفٌ فــوق القَنــاة ولا حُــسامٌ يلمــع
ولَّى وكـــلُّ مُخـــالِمٍ ومُنـــادِمٍ بعــد اللـــزومِ مُــشَيِع ومُــوَدِّع
مَــن كــان فيــه لكــل قــومٍ ملجــأ ولـــسيفه في كــل قــومٍ مَرْتَــع
إن حـــلَّ في فُــرْسٍ ففيهـــا رَبُّهـــا كِــسْرَى تَــذِلّ لــه الرِقــابُ وتخــضع
أو حَـــلّ في رومٍ ففيهـــا قَيْـــصَرٌ أو حـــل في عُـــرْبٍ ففيهـــا تُبَّـــع
قــد كــان أسرعَ فــارسٍ في طعنــةٍ فرسًـــا ولكـــنّ المنِيّـــة أسرَع
لا قَلَّبَــتْ أيــدي الفــوارس بعــدَه رُمْحــا ولا حَمَلَــتْ جَــوَادا أرْبَــعُ

وللمتنبي يمدح سيف الدولة ويَذْكُر بناءَ قلعة الحدَث

عـلى قـدر أهـل العـزم تـأتي العـزائم وتــأتي عــلى قــدر الكــرام المكــارم
ويَعْظُــم في عــين الــصغير صِــغارُها وتــصغُر في عــين العظــيم العظــائم
يُكلـف سـيفُ الدولـة الجـيشَ همَّـه وقـد عَجَـزَت عنـه الجُيـوش الخضَارِم
ويَطْلُـب عنـد النـاس مـا عنـد نفـسه وذلـــك مـــا لا تدعيـــه الـــضَراغِم
يُفَــدِّي أتَــمُّ الطَّــيرِ عُمْــرًا سِــلاحَه نُـــسُورُ المَــلَا أحــداثُها والقَــشَاعِمُ
ومــا ضَرّهــا خَلْــقٌ بغــير مَخالِــب وقـــد خُلِقَـــت أســـيافُه والقـــوائم
هــل الحَــدَث الحْمــراء تَعْـرف لَوْنَهـا وتَعْلَـــم أيّ الـــسَّاقِيَين الغَمَائـــم
سَـــقَتْها الغَـــمامُ الغُـــرُّ قبــل نُزولــه فلــما دنــا منهــا سَــقَتها الجماجــم
بنَاهــا فــأعلَى والقَنــا تَقْــرَع القنــا ومَـــوْج المَنَايـــا حولَهـــا مُـــتلاطِم
وكــان بهــا مثــلُ الجُنــون فأصــبحتْ ومـــن جُثَـــثِ القَـــتْلى عليهـــا تمــائم
طَريـــدة دَهْــــر ســـاقَها فَرَدَدْتَهـــا عــلى الـــدّين بــالخَطِّيّ والــدهرُ راغــم
تُفيــت الليــالي كــلَّ شــئ أخذتَــه وهُـــنّ لِـــمَا يأخُـــذْن منــك غَـــوارم

وكيف تُرَجِّي الرُّومُ والرُّوسُ هَدْمَها   وذا الطعنُ آساسٌ لها ودعائم
وقد حاكموها والمَنايا حواكِمٌ   فما مات مظلوم ولا عاش ظالم
أتَوْك يَجُرُّون الحديدَ كأنهم   سَرَوْا بجِيادٍ ما لَهُنَّ قوائم
اذا بَرَقوا لم تُعرَف البيضُ منهمُ   ثِيابُهُمُ مِن مِثلها والعمائم
خميس بشَرْق الارض والغَرْب زَحْفه   وفي أذُن الجوزاء منه زمازِم
تَجَمّع فيه كلُّ لِسْنٍ وأُمّة   فما تُفْهِم الحُدّاثَ الا التراجم
فللّه وقتٌ ذَوَّبَ الغِشَّ نارُه   فلم يَبْقَ الا صارِمٌ أو ضُبارِم
تقطّعَ ما لا يَقْطَع الدِرع والقَنا   وفَرَّ من الابطال مَن لا يُصادِم
وقَفْتَ وما في المَوْت شَكٌّ لواقِفٍ   كأنك في جَفْن الرَّدَى وهو نائم
تمُرّ بك الابطال كَلْمَى هزِيمةً   ووجهُكَ وضّاح وثَغْرُك باسم
تجاوزتْ مقدار الشجاعة والنُّهَى   إلى قولِ قومٍ أنت بالغيب عالم
ضَمَمْتَ جَناحَيْهِم على القلب ضَمَّةً   تَمُوتُ الخَوافِي تحتَها والقوادم
بضَرْب أتى الهاماتِ والنصرُ غائب   وصار إلى اللَّبّات والنصرُ قادم
حَقَرْتَ الرُدَيْنِّات حتى طرحَتها   وحتى كأنّ السيف للرمح شاتم
ومَن طلبَ الفتحَ الجليل فانما   مفاتيحُه البيضُ الخِفاف الصوارم
نثَرْتَهُمُ فوق الأُحَيْدب نَثْرَةً   كما نُثِرت فوق العَروس الدراهم
تَدُوسُ بك الخيلُ الوُكُور على الذُّرَى   وقد كَثُرَتْ حولَ الوُكُور المَطاعم
تَظُنّ فِراخُ الفُتْخ أنك زُرْتَها   بأُمّاتِها وهي العِتاق الصَّلادم
اذا زَلِقَتْ مَشَّيْتَها ببطونِها   كما تتمشّى في الصَعيد الأراقم
أفي كل يوم ذا الدُّمُسْتُق مُقْدِم   قَفاهُ على الإقدامِ للوجه لائم
أيَنْكر ريحَ الليث حتى يَذُوقَه   وقد عَرَفَت ريحَ الليوث البهائم
وقد فَجَعَتْه بابْنِه وابن صِهْره   وبالصِّهر حَمْلات الأمير الغواشم
مَضَى يشكُر الاصحابَ في فَوْته الظُّبا   بما شَغَلَتْها هامُهم والمَعاصم
ويَفْهَم صوتَ المَشْرَفيّة فيهمُ   على أن اصوات السُّيوف أعاجم
يُسَرُّ بما أعطاكَ لا عن جَهالةٍ   ولكنّ مَغْنُوما نَجا منك غانم

لـك الحمـد في الـدُّرِّ الـذي لِيَ لفظُـه — فانـــك مُعْطيـــه وانّيَ نـــاظم
واني لَتَعْـدو بي عطايـاك في الـوَغَى — فــلا أنــا مــذموم ولا أنــت نـادم
عــلى كـــل طيّـــار إليهـــا بِرِجْلِـــه — اذا وقَعَــت في مَــسْمَعَيْه الغماغــم
ألا أيها الـسيف الـذي لـستَ مُغْمَـدًا — ولا فيــك مُرْتــابٌ ولا منــك عاصــم
هنيئـا لـضرب الهـام والمجـد والعـلا — وراجيـــك والاســـلام أنـــك ســـالم
ولِمْ لا يَقِـي الـرحمنُ حَـدّيك مـا وَقـى — وتَفْلِيقــه هــامَ العِــدَى بــك دايــم

بعض حكم المتنبي

ذَلَّ مَــن يَغْــبِطُ الــذليلَ بَعــيْشٍ — رُبَّ عــيشٍ أخَــفّ منــه الحِــمام
كـــل حِلْــم أتى بغــير اقْتــدار — حُجَّـــةٌ لاجـــئٌ إليهـــا اللئـــام
مَــن يَهُــنْ يَــسْهُل الهـوان عليـه — مـــا لجُـــرْحٍ بمَيّـــتٍ ايـــلام

وقال أيضا

أفاضِلُ النـاسِ أغـراضٌ لِـذَا الـزَمَن — يَخْلو من الهَمّ أخْلَاهُـمْ مـن الفِطَـن

وقال أيضا

واذا أتَتْــكَ مَــذَمّتي مــن نــاقص — فهـــي الـــشهادةُ لي بـــأنّيَ كامـــل

وقال أيضا

ومن يُنْفِق الساعاتِ في جَمْـع مالِـه — مخافـةَ فَقْـرٍ فالـذي فَعَـل الفقـر

وقال أيضا

ومن نكَد الدنيا على الحرّ أن يَرَى		عَـدُوّا لـه مـا مـن صَـدَاقته بُـدّ
وأُكْـبِرُ نفـسي عـن جَـراءٍ بِغيبـةٍ		وكلُّ اغتيابٍ جُهْدُ مَن لا لـه جُهْد

وقال أيضا

من الحلْم أن تَسْتعمِل الجهلَ دونَـه		اذا اتَّسعَت في الحلـم طُـرْقُ المظـالم

وقال أيضا

اذا لم تكـن نفـسُ النَـسيب كأصـلِه		فـماذا الـذي تُغْنـي كِـرامُ المَناصـب

وقال أيضا

والَهـمّ يَخْـتَرِم الجَـسيم نَحافـةً		ويُـشيب ناصـيةَ الـصّبيّ ويُهْـرِم
ذو العقـل يَـشْقَى في النعـيم بعقلـه		وأخـو الجَهالـة في الـشَقاوة يَـنْعَم
لا يَـسْلم الـشرف الرفيـع مـن الاذى		حتـى يُـراق عـلى جوانبـه الـدَمُ
والظُلم من شِيَم النُفوس فـان تجِـدْ		ذا عِفّـةٍ فَلِعِلّـةٍ لا يَظلـم
ومـن البليـة عَـذْلُ مَـن لا يَرْعَـوِي		عن جهلـه وخِطـاب مـن لا يَفهـم
والـذُّلّ يُظهـر في الـذليل مـودّةً		وأودّ منـه لِمَـن يَـوَدّ الأرْقَـم
ومـن العَـداوة مـا يَنالـك نفعُـه		ومـن الـصَداقة مـا يـضُرُّ ويـؤلِم

وقال أيضا

يـرى الجُبَنَـاءُ أنّ العجـز عقـلٌ		وتلـك خديعـة الطبـع اللئيـم

وكــلُّ شــجاعةٍ في المــرء تَفْنَــى ولا مثــلَ الــشجاعِة في حكــيم
وكــم مــن عائــبٍ قــولا صــحيحا وآفتُــه مــن الفهــم الــسقيم

وقال أيضا

والأَسى قبــل فُرْقِــة الــروح عجــز والاسى لا يكــون بعــد الفــراق
والغِنَــى في يــد اللئــيم قبــيحٌ قَــدْرَ قُــبْحِ الكــريم في الامــلاق

وقال أيضا

واذا كانــت النُفــوس كِبــارًا تَعِبَــت في مُرادِهــا الاجــسام

وقال أيضا

ولــو كــان النِــساء كَمــنْ فَقَــدْنا لَفُــضِّلَتِ النــساءُ عــلى الرجــال
ومـا التأنيـث لاسِـم الـشمس عَيْـبٌ ولا التــذكيرُ فجــرٌ للهــلال
فــان تفُــق الانــامَ وأنــت مــنهم فــانّ المــسك بعــضُ دم الغــزال

وقال أيضا

مَن كان فوقَ محل الـشمس موضِـعُه فلــيس يَرْفَعــه شــئٌ ولا يَــضَع
فقــد يُظَــنّ شُــجاعا مَــن بــه خَــرَقٌ وقــد يُظَــنّ جبانًــا مَــن بــه زَمَــع
انّ الــسلاحَ جميــعُ النــاس تحملُــه وليس كـلُّ ذواتِ المخْلَـب الـسُبع

وقال أيضا

وما الخوْف الا ما تَخَوّفَه الفتى   ولا الأمْن الا ما رآه الفتى أمْنا

وقال أيضا

وحيدٌ من الخِلّان في كل بلدةٍ   اذا عظُم المطلوبُ قلّ المساعِد
بذا قَضَت الايام ما بين أهلِها   مصائب قومٍ عند قومٍ فوائد

وقال أيضا

وفي تَعَبٍ مَن يَحْسُد الشمسَ ضوءَها   ويَجْهَد أن يأتي لها بضريب

وقال أيضا

ومَن صَحِب الدنيا قليلا تقلَّبت   على عينه حتى يرى صِدقَها كِذْبا
ومَن تكن الأُسْد الضَواري جُدُودَه   يكن ليلُه صُبحاً ومَطْعَمُه غَصْبا

وقال أيضا

أعيذُها نظَراتٍ منكَ صادِقةٍ   أن تَحْسَب الشحمَ فيمن شحمُه ورَمُ
وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظره   اذا استوت عنده الانوار والظُّلَم
اذا رأيتَ نُيوبَ الليث بارِزةً   فلا تَظُنَّنَّ أنّ الليثَ يبتسِم
وبيْنَنا لو رعيتم ذاك معرِفةٌ   انّ المعارِفَ في أهل النُّهى ذمَم
شرُّ البلاد مكانٌ لا صديقَ به   وشر ما يكسِبُ الانسانُ ما يَصِم
وشر ما قَنَصَتْهُ راحتي قَنَصٌ   شُهْب البُزَاة سواءٌ فيه والرُّخَم

وقال أيضا

لعـــلّ عَتْبَـــك محمـــودٌ عواقبـــه　　　وربمـــا صَــحَّت الاجــسام بالعِلـــل
لانّ حلْمَـــــكَ حلْـــمٌ لا تُكَلَّفُــــهُ　　　لـيس التكحُّـلُ في العينـين كالكحـل

وقال أيضا

ولـــيس يَـــصحُّ في الافهـــام شـــئٌ　　　اذا احتـــاج النهـــارُ إلى دليـــل

وقال أيضا

ومـا كَمَـدُ الحـسادِ شـئٌ قـصدتُه　　　ولكنـــه مَـــن يَـــزْحَم البحـــرَ يَغْـــرِق
وإطراقُ طرف العـين لـيس بنـافع　　　اذا كـان طـرفُ القلـب لـيس بمُطْـرِق

وقال أيضا

أيـــدري مـــا أرابَـــك مَـــن يُريـــب　　　وهـــل تَرْقَـــى إلى الفَلَـــك الخُطـــوب

وقال أيضا

ومـــا قَتَـــلَ الاحـــرارَ كـــالعفو عـــنهم　　　ومَـــن لـــك بـــالحر الـــذي يَحْفـــظ اليَـــدا
اذا أنـــتَ أكرمْـــت الكـــريمَ ملكتَـــه　　　وإن أنـــت أكرمـــتَ اللئـــيم تمَـــرَّدا
ووضْـعُ النَـدى في موضِـع الـسَيف بـالعُلَى　　　مِـضر كَُوضْـع الـسيف في موضـع النـدى

وقال أيضا

وأتعب مَـن نـاداك مَـن لا تُجيبـه　　　وأغـيَظ مَـن عـاداك مَـن لا تُـشاكِل

وقال أيضا

على قَدْر أهل العَزْم تـأتي العـزائم وتــأتي عــلى قــدر الكــرام المكــارم

وقال أيضا

وما الحُسْنُ في وجه الفتى شرفا لـه اذا لم يكــن في فعلِــه والخلائــق
ومــا بلــدُ الانــسان غــيرُ الموافــق ولا أهلُــه الأَدْنَــوْنَ غــيرُ الاصــادق

وقال أيضا

واذا لم تجِــدْ مــن النــاس كفــؤا ذاتُ خِــدْر تَمَنَّــتِ المــوتَ بعــلا
واذا الــشيخُ قــال أفٍّ فــما مَــلَ حيــاةً وانمــا الــضعْفَ مَــلَا
آلــةُ العَــيشِ صِــحَّةٌ وشــبابُ فــاذا وَلَّيــا عــن المــرء ولَّى

وقال أيضا

واذا مــا خــلا الجبــان بــأرضٍ طلــب الطعــنَ وحــدَه والنِــزالا
مَــن أراد الــتماسَ شــئ غِلابًــا واغْتِــصابا لم يلتمِــسْه سُــؤالا
كــلُّ غــاد لحاجــةٍ يتمنــى أن يكــون الغــضنفرَ الرِّئبْــالا

وقال أيضا

الــرأيُ قبــلَ شَــجاعة الــشُّجعان هــو أولٌ وهــى المحــلّ الثــاني
ولربمــا طَعَــن الفتــى أقرانَــه بــالرأي قبــل تطــاعُن الأقــران
لــولا العُقــول لكــان أدنى ضَــيْغَم أدنى إلى شرفٍ مــن الانــسان

وقال أيضا

وعـــادَ في طَلَـــب المـــتروك تارِكُـــهُ إنـــا لَنَغْفُـــل والأيـــام في الطلـــب
ومـــا قَـــضَى أحـــدٌ منهـــا لُبانَتَـــه ولا انتهـــــــــــــى أرَبٌ الا إلى أرب
ومـــن تَفَكَّـــر في النيـــا ومُهجتِـــه أقامَـه الفكـر بـينَ العجْـز والتعـب

وقال أيضا

اذا كنــتَ تــرضَى أن تعــيش بِذِّلــة فـــلا تَـــسْتعِدَّنّ الحـــسامَ ايمانِيـــا
فما يَنْفَع الأُسْدَ الحيـاءُ مـن الطَـوَى ولاتُتَّقَـــى حتـــى تكـــونَ ضـــواريا
اذا الجـود لم يُـرْزَق خَلاصا مـن الاَذى فلا الحمـد مكسوبا ولا المـالُ باقيـا
وللـنفس أخـلاقٌ تَـدُلّ عـلى الفتـى أكـــان سَـــخاء مـــا أتى أم تَـــساخِيا

وقال أيضا

فـما الحداثـةُ عـن حلْـمٍ بمانِعـةٍ قد يوجد الحلـم في الـشُّبان والـشِيب

وقال أيضا

ومـــا الـــصارِم الهنـــديّ الا كغـــيرِهِ اذا لم يفارِقْـــه النِجـــاد وغِمـــدُه

وقال أيضا

اذا ســاءَ فعــلُ المــرء ســاءت ظُنونُــه وصَـــدَّقَ مـــا يَعْتـــاده مـــن تَـــوَهُّم
وأحْلُـــم عـــن خِـــلّي وأعلـــمُ أنـــه متى أجْزِهِ حلـما عـلى الجهـل يَنْـدَمِ
لمَـــنْ تطلُـــب الـــدنيا اذا تُـــرِد بهـــا سرور مُحِـــبٍّ أو اســـاءَةَ مُجْـــرِمِ

وقال أيضا

انمــا تَــنْجَح المقالــة في المَــرْ ... ء اذا وافَقَــت هــوًى في الفــؤاد

وقال أيضا

وكـلُّ امـرئ يُـولِي الجميـل مُحَبَّـبٌ ... وكـلُّ مكـان يُنْبِـت العِـزّ طَيِّـبُ
ولـو جـازَ أن يَحْـوُوا عُـلاك وهبتَهـا ... ولكن من الاشـياء مـا لـيس يوهـب

وقال أيضا

مـا كـل مـا يتمنـى المـرءُ يدرِكُـه ... تجري الرياح بمـا لا تـشتهي الـسفن

وقال أيضا

غـــيرَ أن الفتـــى يُلاقـــي المنايـــا ... كالحـــات ولا يلاقـــي الهوانـــا
واذا لم يكـــن مـــن المـــوتِ بُـــدٌّ ... فمـــن العجـــز أن يكـــون جَبانـــا
كـل مـا لم يكـن مـن الـصَعْب في الان ... فُـسِ سَـهْلٌ فيهـا اذا هـو كانـا

وقال أيضا

لـو لا المَـشَقّة سـاد النـاسُ كلُّهـم ... الجـــودُ يفْقِـــر والإِقـــدام قَتّـــال

وقال أيضا

ولم أرَ في عُيـــوب النـــاس شـــيأ ... كـــنَقْص القـــادرين عـــلى الـــتمام

وقال أيضا

وللسّرِّ مني موضِع لا ينالُه نديمٌ ولا يُفْضي إليه شرابُ
أعَز مكانٍ في الدُّنا ظَهْر سابح وخير جَليسٍ في الزمان كتاب

وقال أيضا

ومَن جَهِلَتْ نفسُه قدرَه رآى غيرُه منه ما لا يري

وقال أيضا

اين الذي الهَرَمانِ من بنيانِه ما قومُه ما يومُه ما المصرَع
تَتَخَلّف الآثار عن أصحابِها حينًا ويدرِكها الفناء فتتَبع

وقال أيضا

ولم تزل قِلَّة الانصاف قاطِعةً بين الانام ولو كانوا ذوي رَحم

وقال أيضا

ذَريني أنَلْ ما لا يُنَال من العُلَى فَصَعْب العلى في الصعب والسهل في السهل
تُريدينَ لِقْيان المعالي رَخيصةً ولأُبَّ دونَ الشهد من إبَرِ النَحْل

قال أبو فراس الحَمْداني يَصف قتال سيف الدولة

لاهل قِنِّسْرين وقبائل العرب

ولمـا سـار سـيفُ الـدين سِرْنـا	كـما هيَّجْـتَ آسـادًا غِـضابا
أسِـنَّته اذا لاقَـى طِعانـا	صَـوارِمه اذا لاقَـى ضِرابـا
دعانـا والأسـنة مُـشْرَعات	فكنّـا عنـد دعوتِـه الجوابـا
صَـنائع فـاق صـانِعُها ففاقـت	وغَـرْسٌ طـاب غارِسُـه فطابـا
وكنَّـا كالـسِّهامِ اذا أصـابت	مرامِيهَـا فراميهـا أصـابا
فلـما اشـتدّتِ الهيجـاء كُنَّـا	أشـدّ مَخَالبًـا وأحَـدَّ نابـا
وأمنـع جانبًـا وأعـزَّ جـارًا	وأوفَى ذِمَّـةً وأقـلّ عابـا
سـقينا بالرمـاح بنـي قُـشَير	بـبطْن العنـتر الـسُّمَّ المُـذابا
وسرنـا بـالخُيول إلى نُمَـيرٍ	تُجاذِبنُـا أعِنَّتهـا جِـذابا
ولمـا أيْقَنـوا أن لا غِيـاثٌ	دَعَـوْه للمغوثـة فاسـتجابا
وعـادَ إلى الجميـل لهـم فعـادوا	وقـد مـدّوا لِـمَا يهـوىَ الرقابـا
أمَـرَّ علـيهمُ خوفـا وأمْنًـا	أذاقهـمُ بـه أرْيًـا وصـابا
أحَلَّهـم الجزيـرةَ بعـد يـأس	أخـو حلـم اذا ملَـكَ العِقابـا
ديـارهم انْتَزَعناهـا اقْتِـسارا	وأرضـهُمُ اغتـصبناها اغتِـصابا
ولـو رُمْنـا حميناهـا البـوادي	كـما تَحْمـي أسـودُ الغـاب غابـا

اذا مــــا أرســــل الأمَـــراء جيـــشا إلى الأعـــــداء أرســــلنا الكتابـــــا
أنــا ابــنُ الــضاربين الهــامَ قِــدْمًا اذا كَـــــرِه المُحــــامون الــــضرابا
ألم تعلَـــم ومِثلُـــك قـــال حقـــا بأنيكنـــــتُ أثْقَبَهــــــا شِـــــهابا

كتب أبو بكر الخوارَزْمي إلى تلميد له قد ظهر عليه الجُدَري

وصلَني خبر الجُدَري فنال مني وهَيّج حَـزَني وراعَ قلبـي وأسـهر عينـي وهـذه العلة وان كانت مُوجِعة وفي رأي العين فظيعة شنيعة فانها إلى السلامة أقـرب وطريقها إلى الحياة أقصَد لأنّ عينَ الطبيب تقع عليها وظاهِرُ الداءِ أسـلم مـن باطِنه وبارِزُ الجُرْح أهون من كامِنه ولعَمْري انها تورثُ سوادَ اللـون وتَـذْهَبُ من الوجه بديباجة الحُسْن ولكن ذلك يسيرٌ في جنب السلامة للـروح اللطيفـة والنفس الشريفة ولستُ أستطيع لك غيرَ الدُّعاء لا أسأل صِحَّتَك الا ممن خلق عِلَّتَك وأرى لك أن تُحْسِن ظنَّك بربـك وتـستغفر مـن ذنبـك وتجعـل الـصدقة شفيعَك واليقين طبيبَك وتعلم أنـه لا داءَ أدْوَأ مِـن أجَـل ولا دواء أشْـفَى مـن مَهَل ولا فراش أوطأ من أمَل شَفاك الـلـه تعالى وحَسْبُك به طبيبا

حدثنا عيسى بن هِشام قال لما بَلَغَت بِيَ الغُربة بابَ الأبواب ورضيت من الغنيمة بالإِياب ودونَه من البحر وَثّاب بغارِبه ومن السفن عَسّافٌ براكبه استخرتُ الله في القُفول وقعدْت من الفُلك بمثابة الهُلك ولما مَلَكَنا البحر وجَن علينا الليل غشيتْنا سحابة تَمُدّ من الامطار حِبالا وتَحُوذُ من الغَيْم جِبالا بريحٍ تُرْسِل الامواجَ أزواجا والامطار أفواجا وبَقِينا في يَدِ الحَيْن بين البحرين لا نَملِك عُدّةً غير الدُّعاء ولا حيلةً الا البكاء ولا عِصمةً غيرَ الرجاء وطويناها ليلةً نابِغيّة وأصبحنا نَتَباكى ونتشاكى وفينا رجل لا يَخْضَلّ جفنُه ولا تَبْتَلّ عينُه رَخِيّ الصدر مُنشرِحه نشيط القلب فرِحه فعجِبنا والله كلَّ العجب وقلنا له ما الذي آمَنَك من العطب فقال حِرْزٌ لا يَغْرَق صاحبُه ولو شئت أن أمنح كلًّا منكم حرْزًا لفعلْت فكلُّ رَغِب إليه وألَحّ في المسألة عليه فقال لن أفعلَ ذلك حتى يُعطِيَني كلُّ واحدٍ منكم دينارا الآن ويَعِدُني دينارا اذا سلِم قال عيسى بن هشام فَنَقَدناه ما طلب ووعدناه ما خطب وآبتْ يَدُه إلى جَيْبه فأخرج قطعةَ ديباج فيها حُقَّة عاج قد ضمَّن صدرَها رِقاعًا وحَذَف كلَّ واحد منا بواحدة منها فلما سَلِمَت السفينة وأحَلَّتْنا المدينة اقتضى الناسَ ما وعدوه فتَقَبدُوه وانتهى الامرُ إليّ فقال دَعوه فقلتُ لك ذلك بعد أن تُعْلِمَني سِرّ حالك قال أنا من بلاد الاسكندرية فقلت كيف نَصرَك الصبرُ وخَذَلنَا فأنشأ يقول

وَيْكَ لولا الصبرُ ما كنتُ   ملأتُ الكيسَ تِبْرا

لَــن يَنــال المجــدَ مَــن ضــا ق بمـــا يَغْـــشاه صَـــدْرا

ثـــم مـــا أعقبنـــي الـــسا عـــةَ مـــا أُعطيـــتُ ضُرّا

بـــل بـــه أشـــتدُّ أزْرًا وبـــه أجـــبُرُ كـــسرا

ولَـــوَ انّي اليـــومَ في الغَـــرْ قَـــى لَـــما كُلِّفـــت عُـــذْرا

المقامة البشرية له

حدثنا عيسى بنُ هِشام قال كان بِشر بـن عَوَانـة العَبْـدي صُعلوكا فأغـار عـلى ركَبْ فيهم امرأةٌ جميلة فتزوَّج بها وقال ما رأيت كاليوم فقالت

أعْجَـبَ بِـشْرًا حَـوَرٌ في عَيْنــي وســاعدٌ أبــيضُ كــالَلجَينْ

ودونَــه مَــسْرَحُ طَـرف العــين خُمْــصَانَةٌ تَرْفُــل في حِجْلَــيْن

أحسنُ مَن يمشي عـلى رجلـين لـو ضَـمَّ بِـشرٌ بيـنهما وبينـي

أدامَ هجــري وأطــال بينــي ولــو يَقــيس زَيْنَهــا بِزَّيْنــي

لَأَسفَر الصُّبح لِذِي عَينين

قال بِشْرٌ وَيْحَك مَن عَنَيْتِ فقالت بنتَ عَمِّك فاطِمة فقـال أهِـىَ مـن الحُـسْن بحيث وصَفت قالت وأزيد وأكثر فأنشأ يقول

ويْحَـــكِ يـــا ذاتَ الثنايـــا البـــيِض مـــا خِلْتُنِـــي منـــكِ بمُـــسْتَعيض

فـــالآن اذ لَوَّحْـــتِ بـــالتعريض خَلَـوْت جَـوًّا فاصْـفِري وبِيـضِي

لا ضـــمَّ جَفْنـــاىَ عـــلى تغمـــيض ما لم أشِـلْ عِـرْضي مـن الحَـضيض

(فقالت) كـم خاطِـبٍ في أمرِهـا ألَحَّـا وهـــى إليـــك ابنـــةُ عَـــمّ لَحَّـــا

ثم أرسل منهم ان لم يُزَوِّجه ابنَته ومَنَعَه العَمّ أُمْنِيَّته فآلَى ألّا يُرْعِى على أحد منهم ان لم يُزَوِّجه ابنَته ثم كَثُرَت مَضَرَّاتُه فيهم واتصلت مَعَرّاتُه إليهم فاجتمع رجال الحيّ إلى عمه وقالوا كُفّ عنا مجنونَك فقال لا تُلْبِسوني عارا وأمهِلوني حتى أُهلِكَه ببعض الحِيَل فقالوا أنتَ وذاك ثم قال له عَمُّه اني آليتُ أن لا أُزَوّج ابنتي هذه الّا ممن يَسوق إليها الفَ ناقةٍ مَهْرًا ولا أرضاها الا من نوقِ خُزَاعَةَ وغَرَضُ العم كان أن يَسْلُكَ بِشْرٌ الطريق بينه وبين خزاعة فيَفْتَرِسَه الاسد لأنّ العرب قد كانت تحامتْ عن ذلك الطريق وكان فيه أسدٌ يُسمى داذًا وحيَّة تُدْعَى شُجاعا يقول فيهما قائلُهم

أفْتَكُ من داذٍ ومن شُجاع ان يَكُ داذٌ سَيّد السباع

فانّها سَيِّدة الافَاعِي

ثم انّ بِشْرًا سَلَك ذلك الطريق فما نَصَفَه حتى لَقِى الأَسد وقَمَصَ مُهْرُه فنزل وعَقَره ثم اخْتَرَطَ سيفَه إلى الاسد واعترضه وقَطَّه ثم كتب بِدَمِ الاسد على قميصه إلى ابنةِ عَمّه

أفاطِمُ لو شَهِدتِ ببطْنِ خَبْتٍ وقد لاقَى الهِزَبْرُ أخاكِ بِشْرا
اذًا لَرَأَيْتِ لَيْثًا زار لَيْثًا هِزَبْرًا أغْلبًا لاقَى هِزَبْرا
تَبَنْهَسَ حين أحْجَم عنه مُهرِي مُحاذَرَةً فقلتُ عُقِرْتَ مُهرا
أنِلْ قَدَمَيَّ ظَهْرَ الارض اني رأيتُ الارضَ أثبتَ منك ظَهرا
وقلت له وقد أبَدى نِصالا مُحَدّدة ووَجْهًا مُكْفَهِرا
يُكَفْكِف غِيلةً احدَى يَدَيه ويَبْسُط للوُثوب علىّ أُخْرَى

يَــدُلّ بِمْجِلَــب وبِجــدّ نــاب | وباللّحَظــات تَحْــسَبُنُهن جَمْــرا
وفي يُمْنـاىَ مـاضي الحـدّ أبقَـى | بِمَـضْرِ بِـه قِـراعُ المـوت أُثْـرْا
ألم يَبْلُغْــك مــا فعلَـت ظُبـاه | بكاظمــةٍ غَــداةَ لَقِيــتُ عَمْــرا
وقلبــي مثـلُ قلبـك لـيس يَخْشى | مُــصاولةً فكيــف يَخـاف ذُعْــرا
وأنــتَ تَــروم للاشــبال قُوتًــا | وأطلــبُ لابنــه الاعــمام مَهــرا
ففــيمَ تَــسوم مِــثلي أن يُــوَلِّي | ويَجْعــل في يــديْك الــنفس قَــسْرا
نـصحتُك فـالتَمِسْ يـا ليـثُ غـيري | طَعامــا إنّ لَحْمــي كــان مُــرْا
فلــما ظَــنّ أنّ الغــشّ نُــصْحي | وخــاَلفَني كــأني قلــت هُجْــرا
مَـشَى ومَـشَيْت مـن أسَـدَيْن رَامـا | مَرَامًــا كــان اذ طَلَبــاه وَعْــرا
هَــزَزْت لـه الحُـسام فَخِلْـت أني | سَــلَلْت بــه لَــدَى الظَلْــماء فَجْــرا
وجُــدْتُ لــه بجائــشةٍ أرَتْــه | بــأنْ كَذَبَتْــه مامَنَّتْــه غَــدْرا
وأطلقــتُ المُهَنَّــد مــن يمينــي | فَقَــدّ لــه مــن الاضــلاع عَــشْرا
فَخَــرّ مُجَــدّلًا بــدَم كــأني | هَــدَمت بــه بنــاءً مُــشْمَخِرًا
وقلــت لــه يَعــزّ عــلَيَّ اني | قتلــتُ مُنــاسي جَلَــدًا وفخــرا
ولكــن رُمْــتَ شــيأ لم يَرُمْــه | ســواكَ فلــم أطِــقْ ياليــتُ صــبرا
تُحــاوِلُ أن تُعَلِّمَنــي فِــرارًا | لَعَمْــر أبيــك قــد حاولْــتَ نُكْــرا
فــلا تجــزع فقــد لاقيــتَ حُــرًّا | يُحــاذِر أن يُعــابَ فَمُــتَّ حُــرًّا

فلما بلغَت الابياتُ عَمَّه نَدِم على ما منعه تزويجها وخشِى أن تَغْتالَه الحَيّة فقام في أثَره وبَلَغه وقد مَلَكَتْه سَوْرَةَ الحَيّة فلما رأى عَمَّه أخذته حَمِيّة الجاهلية فجعل يده في فَم الحية وحَكّم سيفَه فيها فقال

بِـــشْرٌ إلى المجـــد بعيـــدٌ هَمّـــهُ   لمـــــا رآه بــــــالعَراء عَمّـــــهُ
قَـــد ثَكِلَتْـــه نفـــسُه وأمُّـــه   جاشـــتْ بـــه جائـــشةٌ تُهمّـــه
قـــامَ إلى ابـــنٍ للفـــلا يَؤُمُـــهُ   فغـــابَ فيـــه يَـــدُه وكُمُّـــه

ونفسُه نفسي وسُمِّى سُمُّه

فلما قَتَل الحَيّةَ قال عَمّه اني عَرَّضْتُك طَمَعًا في أمرٍ قد ثَنَى اللـه عِناني عنه فارجِع لأزوِجّكَ ابنتي فلما رجَعَ جعل بِشْرْ يملأ فَمَه فخرا حتى طَلَع أمْرَ كَـشقّ القمر على فَرَسِه مُدَجَّجًا في سلاحه فقال بِشْرٌ يا عمّ اني أسمع حِسّ صَيْدٍ وخرج فاذا بغلام على قَيْدٍ فقال ثَكِلَتك أمُّك يا بِشْر أن قتلتَ دودةً وبَهيمة تملأُ ما ضِغيَك فخراَ أنت في أمانٍ إن سَلَّمْتَ عَمَّك فقال بشر مَن انت لا أُمَّ لك قال اليومُ الأسود والموتُ الأحمر فقال بشر ثَكلَتْك من سلَحَتَكْ فقال يا بشر ومَن سلَحَتَكْ وكَرّ كلُّ واحدٍ منها على صاحبه فلم يتمكن بشرٌ منه وأمكن الغلامَ عشرون طعنةً في كُلْيَةِ بِشرٍ كلما مَسَّه شَباَ السِنّان حَماه عن بَدَنِه إبقاءً عليه ثم قال يا بِشر كيف ترى اليس لو أردتُ لأطعمتُك أنيابَ الرمح ثم ألقَى رُمْحَه واستلّ سيفَه فضرب بِشرًا عشرين ضربة بعَرْض السيف ولم يتمكن بِشْرٌ من واحدة ثم قال يا بِشر سَلِّم عمّك واذهب في أمانٍ قال نعم ولكن بِشَريطة أن تقول من أنت فقال أنا ابْنُك فقال يا سبحان الله ما قارَبْتُ عَقيلةً قط فأَيِّ هذه المِنْحة فقال أنا ابن المرأة التي دَلَّتْك على ابنة عمك فقال بِشر

تلـك العَـصَا مـن هـذه العُـصَيّه   هـــل تَلِـــد الحَيّـــة الا الحيَّـــة

وحلفَ لاركَب حِصاناً ولا تزوّج حَصاناً ثم زوّج ابنة عمه لابِنه

آداب الصداقة لابن مسكويه

يجب عليك متى حصل لك صَديقٌ أن تُكْثر مُراعاته وتُبالِغ في تَفَقده ولا تَسْتهين باليَسير من حقّه عند مُهِمّ يعرِض له أو حادثٍ يَحْدُث به فأما في أوقات الرخاء فينبغي أن تَلقْاه بالوجه الطَلَقْ والخلُقُ الرَحْب وأن تُظهِر له في عينيك وحركاتك وفي هَشاشتك وارتياحاك عند مُشاهدته اياك ما يَزدْاد به في كلّ يوم وكل حالٍ ثِقةً بمودّتك وسُكونا إليك ويَرى السرور في جميع أعضائك التي يظهر السرور فيها اذا لَقِيَك فانّ التَّحَفّي الشديد عند طَلْعة الصَديق لا يَخْفى وسُرور الشكل بالشكل أمْرٌ غير مُشْكِل ثم ينبغي أن تَفْعل مِثل ذلك بمن تَعْلَم أنه يُؤْثِره ويُحِبّه من صديق أو وَلَدٍ أو تابع أو حاشيةٍ وتُثْني عليهم من غير اسرافٍ يَخْرج بك إلى المَلَق الذي يَمْقُتُك عليه ويَظْهَر له منك تَكَلُّفٌ فيه وانما يتم لك ذلك اذا تَوَاخَيْتَ الصِّدق في كل ما تُثْني به عليه والزَمْ هذه الطريقة حتى لا يَقَع منك تَوَانٍ فيها بوجهٍ من الوجوه وفي حال من الاحوال فان ذلك يَجْلُب المحبة الخالصة ويُكْسِب الثِقة التامّة ويُهْديك مَحبّة الغُرَباء ومَن لا معرفة لك به وكما أن الحَمام اذا أَلِف بُيُوتنا وآنَس لمجَالِسنا وطاف بها يَجلب يَجلُب لنا أشكاله وأمثاله فكذلك حالُ الانسان اذا عرفَنا واختلط بنا اختلاط الراغب فينا الآنس بنا بل يزيد على الحَيوان الغيْر الناطق بحُسْن الوَصْف

وجميل الثناء ونشْر المحاسن واعلم ان مُشاركة الصَديق في السَّرَّاء اذا كنت فيها وان كانت واجبةً عليك حتى لا تَسْتأثِرها ولا تختص بشئ منها فانّ مُشارَكَته في الضَّرَّاء أوجب ومَوْقعها عنده أعظم وانظر عند ذلك إن أصابَتْه نَكْبة أو لَحَقَتْه مُصيبة أو عَثَر به الدهر كيف تكون مُواساتُك له بنفسك ومالِك وكيف يظهر له تَفَقُّدُك ومراعاتك ولا تَنْتَظِرَنّ به أن يسألَكَ تَصْريحا أو تَعْريضا بل اطَّلِعْ على قلبه واسْبِق إلى ما في نفسه وشارِكْه في مَضَض ما لَحِقه لِيخّف عنه وان بلغتَ مرتبةً من السلطان والغِنَى فاغْمِس اخوانَك فيها من غير امتنانٍ ولا تَطَاوُل وان رأيتَ من بعضهم نُبوًّا عنك أو نُقصانا مما عَهِدته فَداخِله زيادة مُداخلة واخْتَلِط به واجتذِبه إليك فانك ان أنِفْتَ من ذلك أو تَدَاخلك شئ من الكبر والصَّلَف عليهم انتقضَ حَبْلُ المودّة وانْتَكَثَتْ قوّتُه ومع ذلك فلستَ تأمَنُ أن يزولوا عنك فتستحي منهم وتُضْطَرَّ إلى قَطيعتهم حتى لا تَنظر إليهم ثم حافِظْ على هذه الشروط بالمداومة عليها لتَبْقى المودّة على حالٍ واحدةٍ وليس هذا الشرط خاصّا بالمودّة بل هو مُطَّرد في كل ما يَخُصّك اعني أن مَركوبَك وملبوسَك ومنزلك متى لم تُراعها مراعاة متصلةً فَسَدَت وانتقضت فاذا كانت صورة حائطك وسُطوحك كذلك ومتى غَفَلْت أو توانيتَ لم تأمن تَقَوُّضَه وتَهَدُّمَه فكيف ترى أن تَجْفو من تَرْجوه لكل خَير وتَنْتَظر مشاركته في السَّرَّاء والضَّرَّاء ومع ذلك فان ضرر تلك يَختص بك بمنفعةٍ واحدةٍ وأما صَديقُك فَوجُوه الضرر التي تدخل عليك بجَفائه وانتقاض مَوَدَّتَه كثيرةٌ عظيمة ذلك أنه يَنْقَلِب عَدُوّا وتَتَحَوّل منافعه مَضارّ فلا تأمن غوائلَه وعداوتَه مع عَدَمك الرغائبَ والمنافع به وينقطع رجاؤُك

فيما لا تَجد له خَلَفًا ولا تستفيد عنه عِوَضا ولا يَسُدّ مَسَدّه شئ واذا راعيتَ شروطَه وحافظتَ عليها بالمداومة أمِنْتَ جميع ذلك ثم احْذَر المراءَ معه خاصَّة وان كان واجبا أن تَحْذُره مع كل أحد فان مُماراة الصَديق تَقْتَلِع المودّة من أصلها لأنها سببُ الاختلاف والاختلافُ سببُ التبايُن الذي هَرَبْنا منه إلى ضدّه وقَبَّحْنا أثَرَه واخترنا عليه الأُلفْة التي طلبناها وأثنينا عليها وقلنا ان الله عز وجل دَعا إليها بالشَريعة القَويمة واني لأعِرف مَن يُؤْثِر المِراء ويزعم أنه يَقْدَح خاطِرَه ويَشْحَذ ذِهنه ويُثير شُكوكَه فهو يَتَعَمَّد في المحافِل التي تَجْمَع رؤساء أهل النظر ومُتعاطي العُلوم مُماراة صَديقه ويَخْرُج في كلامه معه إلى ألفاظ الجُهّال من العامّة وسُقّاطِهم ليزيد في خَجَل صديقه وليُظْهِر تَبَلُّجَه وليس يفعل ذلك عند خَلْوَته به ومُذاكَرَته له وانما يفعله حين يَظُنّ به أنه أدَق نظرا أو أحضر حُجّة وأغْزَر علما وأحَدّ قريحة فما كنتُ أُشَبّهه الا بأهل البَغْي وجَبابرة أصحاب الاموال والمشَبَّهين بهم من أهل البدَع فان هؤلاء يستحقر بعضُهم بعضا ولا يزال يُصَغِّر ويَزْدري على مُرُوءته ويَتَطَلَّبُ عُيوبَه ويَتَتَبَّع عَثَراته ويُبالغ كلُّ واحدٍ فيما يقدر عليه من اساءةِ صاحبه حتى يؤدّي بهم الحال إلى العَداوة التامة التي يكون معها السِّعايَة وازالة النعَم وتُجاوز ذلك إلى سَفْك الدَّمِ وأنواع الشُّرور فكيف يثبُتُ مع المِرَاء محبةٌ ويُرْجَى به أُلفْةَ ثم احْذَر في صَديقك ان كنتَ متحققا بِعلْم أو مُتَحَلِّيا بأدب أن تَبْخَل عليه بذلك الفنّ أو يرى فيك أنك تُحِبّ الاستِبدادَ دونَه والاستئثار عليه فان أهل العلم لا يَرَى بعضُهم في بعضٍ ما يراه أهلُ الدنيا بينَهم ذلك أن مَتاع الدنيا قليل فاذا تَزَاحم عليه قومٌ ثَلَم بعضُهم حالَ

بعض ونَقَص حَظّ كل واحدٍ من حظ الآخَر وأما العلم فانه بالضّدّ وليس أحد يَنْقُص منه ما يأخُذه غيرُه بل يَزْكُو على النفقة ويَرْبُو مع الصَداقة ويَزيد على الانفاق وكثرة الخَرْج فاذا بَخِل صاحب علْمٍ بعلْمه فانما ذلك لأحوالٍ فيه كُلُّها قبيحة وهى أنه إمّا أن يكونَ قليلَ البضاعة منه فهو يَخاف أن يَفْنَى ما عنده أو يَرِد عليه ما لَا يعرفه فيزول تَشَرّفه عند الجُهّال وإما أن يكون مكتسِبا به فهو يَخْشَى أن يَضيق مكسبُه به ويَنْقُص حَظّه منه وإما أن يكون حَسودا والحسود بعيدٌ من كل فَضيلة لا يَوَدُّه أحَدٌ واني لأعرف مَن لا يَرْضَى بأن يبخل بعلم نفسه حتى يَبْخَل بعلم غيره ويُكْثِر عَتْبَه وسَخَطه على مَن يُفيد غيرَه من التلاميذ المستحقين لفائدةِ العلم وكثيرا ما يَتوصل البعضُ إلى أخذ الكُتب من أصحابها ثم مَنْعِهِم منها وهذا خُلُق لا تَبْقى معه مَوَدّة بل يَجْلُبُ إلى صاحبه عَداوات لا يَحْسَبُها ويَقْطَعُ أطْماعَ أصدقائه من صَداقته ثم احْذَر أن تَنْبَسط بأصحابك ومَن يَخْلو بك من أتباعك وتَحْمِل أحدا منهم على ذِكْر شئ في نفسه ولا تُرَخِّص في عَيْب شئ يَتَّصل به فَضْلا عن عَيْبه ولا يَطْمَعَنّ أحدٌ في ذلك من أولِي أنْسابك والمُتَّصِلين بك لا جِدًّا ولا هَزْلا وكيف تَحْتَمِل ذلك فيه وأنتَ عَيْنُه وقلبُه وخليفتُه على الناس كلهم بل أنتَ هو فانه ان بَلَغَه شئ مما حَذَّرْتُك منه لم يَشُك أن ذلك كان عن رأيك وهَواك فَيَنْقَلِب عَدُوّا ويَنْفِر عنك نُفُور الضّدّ فان عرفتَ منه أنتَ عَيْبًا فوافِقْه عليه مُوافقةً لطيفة ليس فيها غِلْظة فان الطَّبيب الرفيق ربما بَلَغ بالدواء اللطيف ما يبلُغه غيرُه بالشّقّ والقطع والكيّ بل ربما تَوَصَّل بالغِذاء إلى الشِفاء واكتفَي به عن المعالجة بالدواء ولستُ أَحِبّ أن تُعْرفه في صَديقك

وأن تترك موافقتَه عليه بهذا الضَرْب من الموافقه فان ذلك خِيانة منك ومُسامَحَة فيما يعود ضَرَرُه عليه ثم احْذَر النَميمة وسَماعَها وذلك أن الاشرار يَدْخُلون بين الاخيار في صورة النُصَحاء فَيوهِمونَهُم النصيحة ويَنْقُلون إليهم في عُرْض الاحاديث اللذيذة أخبار أصدقائهم مُحَرّفَةً مُمَوّهة حتى اذا تجاسروا عليهم بالحديث المُخْتَلَقِ يُصَرِّحون لهم بما يُفْسِد مودّاتهم ويُشوّه وجوهَ أصدقائهم إلى أن يُبغِْض بعضُهم بعضا وللقُدمَاء في هذا المعنى كُتُبٌ مؤلَّفَة يُحَذِّرون فيها من النميمة ويُشبّهون صورةَ النمَّام بمَن يَحُكّ بأظافيره أصولَ البُنْيان القوية حتى يُؤَثِرّ فيها ثم لايزال يزيد ويُمْعِن حتى يُدْخِل فيها المِعْوَل فَيَقْلَعَه من أصله ويَضْرِبون له الامثال الكثيرة المُشَبَّهَة بحديث الثَوْر مع الأسد في كتاب كَليلةَ ودِمْنَة ونحن نكتفِي بهذا القَدْر من الايماء لئلا نَخْرُج عَمّا بَنَيْنا عليه مَذْهَبَنا من الايجاز في الشرح ولستُ أترك مع الايجاز والاختصار تعظيمَ هذا الباب وتكريره عليك لتعلم أن القُدَماء انما ألَّفُوا فيه الكتب وضربوا له الامثال وأكثروا فيه من الوَصايا لِمَا وراءَه من النَفْعِ العظيم عند السامعين من الاخيار ولِما خافوه من الضَرر الكثير على مَن يَسْتَهين به من الأعْمار ولِيعْلم المَثَل المضروب في السِّباع القوية اذا دخَل عليها الثَعْلَب الرَّوّاغ على ضَعْفه أهْلَكَها ودَمَّرَها وفي المُلوك الحُصَفاء يَدْخُل بينهم أهل النميمة في صورة الناصحين حتى يُفْسِدوا نيَّتَهم على وُزَرائهم المُبالِغين في نصيحتهم المجتهدين في تثبيت مُلْكهم إلى أن يَغْضَبوا عليهم ويَصرفوا بها عُيونَهم عنهم ويَصيروا من مَحَبّتهم وايثارهم على آبائهم وأولادِهم إلى أن لا يَمْلَؤُا عُيونَهم منهم وإلى أن يَبْطشوا بهم قَتْلا وتَعْذيبا وهم غيرُ مُذْنِبين ولا

مُجْتَرَمين ولا مُسْتِحقين الا الكرامة والاحسان فاذا بلغ بهم من الافساد والاضرار ما بَلَغوه من هؤلاء فبالأحْرَى ان يَبْلُغوه منا اذا لم يجدوه في أصْدقائنا الذين اخترناهم على الايام وادّخرْناهم للشدائد وأحْلَلْناهم مَحَلّ أرواحنا وزِدْناهم تَفَضّلا واكراما ويَتَبَيّن لك من جميع ما قَدّمناه أنّ الصداقة وأصناف المَحَبّات التي تتمّ بها سعادة الانسان من حيث هو مَدَنِيٌّ بالطبع انما اختلفتْ ودخل فيها ضُروب الفَساد وزال عنها معنى التَّأخي وعرض لها الانتشار حتى احْتَجْنا إلى حِفْظِها والتَعَب الكثير بِنِظامها من أجْل النَقائص الكثيرة التي فينا وحاجَتِنا إلى اتمامِها مع الحوادث التي تَعْرِض لنا من الكَوْن والفساد فانّ الفضائل الخِلْقيّة انما وُضِعَت لأجل المُعاملات والمُعاشَرات التي لا يَتم الوُجود الانساني الا بها ذلك أن العَدْل انما احتِيج إليه لتصحيح المعاملات وليَزولَ به معنَى الجَوْر الذي هو رذَيلة عند المُتعامِلين وانما وُضِعَت العِفّة فَضيلة لأجل اللذات الرديئة التي تَجْني الخِيانات الفظيعة على النفْس والبَدَن وكذلك الشجاعةُ وُضِعت فضيلةً من أجل الامور الهائلة التي يجب أن يُقْدِم الانسانُ عليها في بعض الاوقات ولا يَهْرُب منها وعلى هذا جميع الاخلاق المرضية التي وصَفناها وحَضَضْنا على اقتِنائها وأيضا فانّ جميع هذه الفضائل تحتاج إلى اسباب خارجة من الاموال واكتسابها من وُجوهها ليُمْكنَه أن يفعل بها فعلَ الاحْرَار والعادِل يحتاج إلى مِثل ذلك ليُجازِي مَن عاشَرَه بجميل ويُكافِئ مَن عامَله باحسانٍ وجميعُها لا تقوم الا بالابدان والابدان والانْفُس وما هو خارجٌ عنها على حسب تقسيمنا السعادات فيما مضى وكلما كانت الحاجات كثيرةً احْتِيج إلى الموادّ الخارجه عنّا أكثر فهذه حالُة السعادات الانسانية التي لا

تتم لنا الا بالافعال البَدَنية والاحوال المدنيـة وبـالأعْوان الـصالحين والأصـدقاء المخِلصين وهى كما تراها كثيرة والتَعَب بها عظيم ومَن قَـصّرَ فيهـا قَـصَّرَتْ بـه السعادة الخاصّة به ولـذلك صـار الكَـسَل ومَحَبّـة الرَاحـة مـن أعظـم الرذائـل لأنهما يَحُولانِ بين المَرْء وبين جميع الخيرات والفضائل ويَسْلُخان الانـسانَ مـن الانسانية ولذلك ذَمَمْنا بعضَ المُتَوَسِّمين بالزُهْد اذا تَفَرّدوا عن النـاس وسَـكَنوا الجبالَ والمَفازات واختاروا التَوحّش الذي هو ضدّ المدنية لانهم ينسلخون عـن جميع الفضائل الخلقيـة التـي عـددناها كلهـا وكيـف يِعـفّ ويَعْـدل ويـسْخُو ويَشْجُع مَن فاروق الناسَ وتَفَرَّد عنهم وعَدِم الفـضائلَ الخِلْقيَّـة وهـل هـو الا بمنزلـة الجَـماد والمَيّـت وأمـا مَحَبّـة الحِكمـة والانْـصِراف إلى التَـصَوّر العقـلي واستعمال الآراء الالهية فانها خاصة بالجُزْء الالهي من الناس وليس يَعْرِض لها شئ من الآفات التي تَعْرض للمَحَبّات الأُخَر الخِلقيـة وضُروب الفـساد ولـذلك قُلْنا انها لا تَقْبَل النميمة ولا نَوْعا من أنواع الشُرور لأنها الخيْر المحْض وسَـبَبُها الخير الاوّل الذي لا تَشُوبه مـادة ولا تَلْحَقـه الـشُّرور التـي في المـادة ومـا دام الانسان يستعمِل الأخلاق والفـضائل الانـسانية فانهـا تَعُوقـه عـن هـذا الخـير الاوّل وهذه السعادةِ الالهية ولكـن لـيس يَـتِم لـه الا بتلـك ومـن أضَـلّ تلـك الفضائل بنفسه ثم اشتغل عنها بالفضيلة الالهية فقد اشتغل بذاته حقّـا ونَجـا من مُجاهَدات الطبيعـة وآلامهـا ومـن مجاهـدات الـنفس وقُواهـا وصـار مـع الارواح الطّيبة واختلَطَ بالملائكـة المقـرّبين فـاذا انتَقـل مـن وجـوده الاوّل إلى وجوده الثاني حصل في النعيم الأبَدِي والسرور السرمدي

وقال ابن حَمْديس الأَنْدَلُسي في وصف بركة

عليها أشجار من ذهب وفضة وعلى حافاتِها أسود قاذِفة بالمياه

وضَرَاغِمٍ سَكَنَتْ عَرينَ رَآسَةٍ تَرَكَتْ خَريرَ الماءِ فيه زَئيرا
فكأنما غَشَّى النُّضار جُسومَها وأذابَ في أفْواهِها البَلُّورا
أُسْدٌ كأنّ سُكونَها مُتَحَرّك في النفس لو وَجَدَتْ هناك مُثيرا
وتَذَكَّرَت فتكاتِها فكأنما أقْعَتْ على أدبارِها لتَثورا
وتَخالُها والشمس تَجْلُو لونَها نارًا وألْسُنَها اللواحِسَ نورا
فكأنما سَلَّتْ سُيوفَ جداوِلٍ ذابَتْ بلا نارٍ فَعُدْن غَديرا
فكأنما نَسَج النسيمُ لمائه دِرْعا فَقَدَّر سَرْدَها تقديرا
وبدَيعةِ الثَمَراتِ تَعْبُرُ نحوَها عيناي بحرَ عجائبٍ مَسجورا
شَجَرِيّة ذَهَبِيّة نَزَعَتْ إلى سِحْر يُؤَثِّر في النُهىَ تأثيرا
قد سُرِّجَتْ أغْصانها فكأنما قبضت بِهنّ من الفَضاء طُيورا
وكأنما تَأْبَى لِوَقْع طَيْرُها أن تَسْتَقل بنَهْضِها وتَطيرا
من كل واقعةٍ ترى مِنقارَها ماءً كَسَلْسالِ اللّجين نَميرا
خُرْس تُعَدّ من الفِصاح فان شَدَت جَعَلَتْ تُغَرِّد بالمياه صَفيرا
وكأنما في كل غصنِ فضّة لانَتْ فأرُسلَ خَيْطُها مجرورا
وتُريك في الصِهريج مَوْقع قَطْرِها فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا
ضحِكَتْ مَحاسنُه إليك كأنما جُعِلَت لها زُهْرُ النُجومِ ثُغورا
ومُصَفّح الأبواب تِبْرًا نَظّروا بالنقش فوق شكُولِه تنظيرا

واذا نظـــرتَ إلى غرائـــب سَـــقْفِه		أبــصرت رَوْضًــا في الــسماء نَــضيرا
وضَــعَتْ بـــه صُـــنّاعُها أقلامَهـــا		فأرَتْـــك كـــلَّ طَريـــدةٍ تـــصويرا
وكأنمـــا للـــشمس فيـــه لِقَـــةٌ		مَــشَقُوا بهــا التزويــق والتــشجيرا
وكانمـــا الـــلّازْوَرْدُ فيـــه مُخَـــزِّم		بـــالخطّ في ورق الـــسماءِ ســـطورا

مَرْثية أبي الحسن الأنْباري للوزير أبي طاهر

لما اسْتَعَر الحرب بين عِزّ الدولة بن بُوَيه وابن عمّه عَضُد الدولة ظمِر عَضُد الدولة بوزير عزّ الدولة أبي طاهر محمد بن بَقيّة فسلّمه وشَهَّرَه وعلى رأسه بُرْنُس ثم طَرَحه للفيَلة فَقَتَلته ثم صَلَبه عند داره بباب الطاق وعُمْرُه نَيّف وخمسون سنة ولما صُلِب رثاه أبو الحسن محمد بن عمران بن يعقوب الانباري أحد العُدول ببغداد بهذه القصيدة الغرّاء فلما وقف عليها عَضُد الدولة قال ودِدْتُ لو أني المصلوب وتكون هذه القصيدة فيّ

عُلُـــوٌّ في الحيـــاة وفي المـــمات		لَحـــقٌّ تلـــك احـــدى المعجـــزات
كـــانّ النـــاس حولـــك حـــين قـــاموا		وفـــودُ نَـــدَاك أيـــامَ الـــصِلات
كأنـــك قـــائمٌ فـــيهم خطيبـــا		وكلُّهُـــــم قيـــــامٌ للـــــصَّلاة
مَـــدَدْتَ يـــديكَ نحـــوَهم احتفـــاءً		كَمَـــدِّهِما إلـــيهم بالهِبـــات
ولمـــا ضـــاق بطـــنُ الارض عـــن أن		يـــضُم عُـــلاك مـــن بعـــد الوَفـــاة
أصـــاروا الجـــوّ قـــبرَك واستعاضـــوا		عـــن الأكفـــان ثـــوبَ الـــسافيات

لعُظْمِك في النفـوس بقيـتَ تُرْعـى بِحُـــــرّاسٍ وحُفّـــــاظٍ ثِقـــــات
وتُوقَــد حولَـــك النـــيرانُ لـــيلا كـــذلك كنــتَ أيـــامَ الحيـــاة
ركِبــتَ مَطيــةً مــن قبــلُ زَيْــدٌ عَلاهـــا في الـــسنين الماضـــيات
وتلـــك قـــضيةٌ فيهـــا تـــأسٍّ تُباعِـــد عنـــك تعيـــير العُـــداة
ولم أر قبـلَ جـذْعِك قـطُّ جِـذعا تمكَّـــنَ مـــن عِنـــاق المَكْرُمـــات
أســأتَ إلى النوائــب فاســتثارت فأنـــتَ قتيـــلُ ثـــار النائبـــات
وكنــتَ تُجــير مــن صَرْف الليــالي فـــصار مُطالبـــا لـــك بـــالترِّات
وصَــيَّر دهــرُكَ الاحــسانَ فيــه إلينـــا مـــن عظـــيم الـــسيئات
وكنـــتَ لمَعْـــشر ســـعدًا فلـــما مـــضيتَ تَفَرَّقـــوا بالمُنْحِـــسات
غَليـــلٌ بـــاطِنٌ لـــك في فـــؤادي يُخَفَّـــفُ بالـــدُّموع الجاريـــات
ولـــو أني قَـــدَرْتُ عـــلى قيـــام بفرضـــك والحُقـــوق الواجبـــات
مـلأتُ الارضَ مـن نظـم القـوافي ونُحْـــتُ بهـــا خـــلافَ النائحـــات
ولكنّـــي أَصَـــبِّر عنـــك نفـــسي مخَافـــة أن أُعَـــدّ مـــن الجُنـــاة
ومـــا لـــك تُرْبَـــةٌ فـــأقول تُـــسْقَى لانـــك نُـــصْبُ هَطْـــل الهـــاطلات
عليـــك تحيـــة الـــرحمن تَـــتْرَى بـــرحَمْاتٍ غَـــوَادٍ رائحـــات

وقال محمد بن زُرَيق البغدادي وكان قَصَد الأنْدَلُس

في طلب الغنى فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه

لا تَعْذُليه فإنَّ العذْل يُولِعه — قد قُلْت حقًّا ولكن ليس يَسْمَعه

جاوَزْتِ في لَوْمِهِ حَدّا أضَرَّ به — من حيث قَدّرتِ أنّ اللوم ينفعه

فاسْتعمِلي الرِفْقَ في تأنيبه بدلًا — من عُنْفه فهو مُضْنيَ القلب مُوجَعهُ

قد كان مُضطلِعا بالخَطْب يَحْمِله — فَضُيِّقَت بخُطوب البَين أضْلُعُه

يكفيه من لَوْعة التَفْنيد أن له — من النَّوى كلَّ يوم ما يُرَوّعه

ما آبَ من سَفَرٍ الا وأزْعَجه — رأيٌ إلى سَفَرٍ بالعزْم يَجْمَعه

كأنما هو من حِلّ ومُرْتحل — مُوَكَّلٌ بفضاء الارض يَذْرَعه

اذا الزَّماعُ أراه في الرحيل غِنًى — ولو إلى السِنْد أضحى وهو يُزْمِعُه

تأبَى المَطامع الا أن تُجَشِّمَه — للرزْق كدّاً وكم ممن يودِّعه

وما مُجاهَدة الانسان تُوصِلُه — رِزْقا ولا دَعَة الانسان تَقْطَعُه

والله قَسَّم بينَ الخلق رزقَهُمُ — لم يَخلق الله مخلوقا يُضَيّعه

لكنهم مُلِئُوا حِرْصًا فلستَ ترى — مُسْتَرْزقا وسوى الغايات يقْنِعُه

والسَعْيُ في الرزق والارزاقُ قد قُسِمت — بَغْيٌ ألا إنّ بَغْيَ المرء يَصْرَعه

والدهر يُعطي الفتَى ما ليس يطلُبُه — يوما ويمنعُه من حيث يُطعِمُه

أستودِع الله في بَغْداد لِي قمرا — بالكَرْخ من فَلَكِ الأزْرارِ مَطْلَعُه

ودَّعْتُه وبِوُدِّي لو يُوَدِّعُني — صَفْو الحياة وأني لا أودّعه

وكم تَشَفَّع أني لا أفارِقه — وللضرورات حالٌ لا تُشَفِّعه

وكم تَشَبّثَ بي يومَ الرحيل ضُحًى — وأدمُعي مُسْتَهِلّات وأدمُعه

لا أُكْذِبُ اللـه ثَوْبُ العُذْر مُنْخَرق ... عنـي بفُرقتـه لكـن أرَقّعُـه
اني أَوَسـع عُـذري في جِنايَتـه ... بـالبَين عنـه وقلبـي لا يُوَسـعُه
أُعطيـتُ مُلْكًـا فلـم أُحِـسنْ سياسـتَه ... كـذاك مَـن لا يَـسُوس المُلْك يُخْلَعُـه
ومَـن غـدا لابِـسًا ثـوبَ النعـيم بِـلا ... شُـكْرِ الالـه فعنْـه اللـه يَنْزعُـه
اعْتَـضْتُ عـن وجـه خِـلّي بعـد فرقتِـه ... كأسـا أُجَـرَّعُ منهـا مـا أُجَرَّعُـه
كـم قائـل لِيَ ذنـبُ البَـين قلـت لـه ... الذنب واللـه ذنبي لـستُ أدفعـه
هـلّا أقمـتُ فكـان الرُّشْـد أجمعـه ... لـو أنني يـومَ بـانَ الرشـدُ أتبعُـه
اني لأقطـع أيـامي وأُنفِـدُها ... بحـسرةٍ منـه في قلبـي تُقَطّعـه
بِمـن اذا هجـع النُّـوّام بِـتُّ لـه ... بِلَوعـةٍ منـه لـيلي لـستُ أهجَعُـه
لاَ يطمـئن لَجنْبـي مـضجَعٌ وكـذا ... لا يطمـئن لـه مُـذْ بِنْـت مـضْجَعُه
ما كنـت أحـسِب أن الـدهر يفجَعُنـي ... بـه ولا أنّ بي الايـامُ تفجعـه
حتـى جـرى الـدهر فـيما بيننـا بيَـدٍ ... عَـسْرَاء تمنعُنـي حِظّـي وتمنعُـه
باللـه يا منزل القَـصْف الـذي دَرست ... آثـارُه وعفَـتْ مـذ غبـتُ أربُعُـه
هـل الزمـانُ مُعيـدٌ فيـك لَـذَّتَنا ... أم الليـالي التـي أمْـضَتْه تُرْجِعُـه
في ذمّـة اللـه مَـن أصـبحتَ منزلَـه ... وجـادَ غيـثٌ عـلى مَغْـداك يمرعُـه
مَـن عنـده لِيَ عهـدٌ لا يـضيِّعُه ... كـما لـه عهـدُ صِـدقٍ لا أُضـيعه
ومَـن يُـصَدِّع قلبـي ذِكـرُه واذا ... جـرى عـلى قلبـه ذكـرِي يـصدّعه
لاصْـبِرَنّ لـدهرٍ لا يمتّعُنـي ... بـه ولا بـلَ في حـالٍ يمتعـه
علـما بـأن اصـطباري مُعْقـب فَرَجـا ... وأضـيقُ الامـر ان فكَّـرْتَ أوسَـعه
عـلّ الليـالي التـي أضْـنت بفُرقِتنـا ... جـسمي سـتَجمعني يوما وتجمعـه
وان تَنَـل أحـدا منـا مَنِّيتُـه ... فـما الـذي بقـضاء اللـه يـصنعه

ألا في سـبيل المجـد مـا أنـا فاعـل   عَفــاف وإقــدام وحَــزْم ونائــل
أعنـدي وقـد مـا رسـتُ كـل خفيـة   يُــصدَّق واشٍ أو يُخَيَّــب ســائل
تُعَــدّ ذُنــوبي عنــد قــوم كثــيرةً   ولا ذنــبَ لي الا العُــلَى والفــضائل
كــأني اذا طُلْــتُ الزمــانَ وأهلَــه   رجَعــتُ وعنــدي للانــام طَوائــل
وقد سار ذكرى في الـبلاد فَمَـن لهـم   باخفــاءِ شــمسٍ ضــوؤُها متكامــل
يُهِـمُّ الليـالي بعـضُ مـا أنـا مُـضْمِر   ويَثْقُـل رَضْـوَي دونَ مـا أنـا حامـل
واني وان كنــتُ الاخــيرَ زمانُــه   لآت بمــا لم تَــستطعه الاوائــل
وأغْــدو ولــو أنّ الــصباحَ صَــوارمٌ   وأسْرِي ولــو أنّ الظــلام جَحافــل
واني جــواد لم يُحَــلّ لِجامُــه   ونَــصْلُ يَمَــانٍ أغْفَلَتْــه الــصيافل
فـان كـان في لُـبْس الفتـى شرفٌ لـه   فــما الــسيفُ الّا غِمْــدُه والحَمَائــل
ولي مَنطِـقٌ لم يَـرْض لي كُنْـهَ منـزِلي   عــلى أننــي بَــيْنَ الــسِمَاكين نــازل
لَــدَي مــوطنٍ يــشتاقه كـل سـيّد   ويَقْــصُر عــن ادراكــه المُتَنــاوِل
ولَمّا رأيـتُ الجهـلَ في النـاس فاشِـيا   تجاهلــتُ حتــى ظُــنّ أنيَ جاهــل
فـوا عَجَبـاكم يـدَّعِي الفـضلَ نـاقص   ووا أســفَاكم يُظهِــر الــنقصَ فاضِــل
وكيــف تَنــام الطــيرُ في وَكناتِهــا   وقــد نُــصِبت للفَرْقَــدين الحبائــل
يُنــافِس يــومي فِيَّ أمْــسِي تــشرُّفا   وتَحْــسُد أســحاري عــلىَّ الاصــائل
وطــال اعــترافي بالزمــان وصَرْفــه   فلــستُ أبــالِي مَــن تَغُــول الغوائــل

فلو بانَ عَضْدي ما تأسَّف مَنْكِبي ولو مات زَنْدي ما بكَتْه الانامل
اذا وَصَفَ الطائيَّ بالبُخْل مادِرٌ وعَيَّر قُسًّا بالفَهاهة باقِل
وقال السُّهَى للشمس أنتِ ضَئيلة وقال الدُجَى للصُبْح لونُك حائل
وطاولَت الأرضُ السماءَ سَفَاهة وفاخَرَت الشُهْبَ الحَصَى والجنادل
فيا موتُ زُرْ إنّ الحياةَ ذميمةٌ ويا نفسُ جِدّي انّ دهرَك هازل

ومن شعر ابي الحسن التِّهامي

قصيدته الفريدة البالغة في بابها غاية لم يبلغها سواها التي يرثي في أولها

صغيرا له أجاب داعي ربه ويفتخر في آخرها بفضله

ويشكو زمانه وحاسديه وهى هذه

حُكْـمُ المنيّـة في البريـة جـارِ ... مـا هـذه الـدنيا بِـدار قَـرار
بَيْنـا يُـرَى الانـسانُ فيهـا مُخْـبِرا ... حتـى يُـرَى خَـبراً مـن الاخبـار
طُبِعَـتْ عـلى كَـدَرٍ وأنـتَ تُريُـدها ... صَـفْوًا مـن الأقـذار والاكـدار
ومُكَلِّـف الأيـامِ ضِـدَّ طِباعِهـا ... مُتَطَلِّـب في المـاء جَـذْوةَ نـار
واذا رَجَـوْتَ المـستحيلَ فانمـا ... تَبْنِـى الرجـاءَ عـلى شَـفيرٍ هـار
فـالعيشُ نـومٌ والمنيّـة يقظـةٌ ... والمـرءُ بيـنهما خيـالٌ سـار
فاقـضوا مـآربكم عجِـالا انمـا ... أعماركـم سـفرٌ مـن الاسـفار
وتراكـضوا خيـلَ الـشباب وبـادِروا ... أن تُـسْتَرَدَّ فـانهنّ عَـوار
فالـدهر يَخْـدَع بـالمُنَى ويُغِـصّ ان ... هَنّـا ويَهْـدِم مـا بَنَـى بِبَـوار
لـيس الزمـانُ وان حَرَصْـتَ مُـسَالِمًا ... خُلُـقُ الزمـانِ عـداوةُ الاحـرار
اني وُتِـرْتُ بـصارمٍ ذي رَوْنَـقٍ ... أعْدَدْتُـه لِطلابـةَ الاوتـار
والـنفسُ ان رَضـيت بـذلك أو أبَـتْ ... مُنْقـادة بأزِمّـة المقـدار
أثْنِـي عليـه بِـأثْرِه ولَـو اَنّـه ... لم يُعْتَـبَطْ أثنيـتُ بالآثـار
يـا كوكبـا مـا كـان أقْـصَر عُمْـرَه ... وكـذاك عُمْـرُ كواكِـب الاسـحار
وهـلالَ أيـامٍ مـضَى لم يَـسْتَدِرْ ... بـدرًا ولم يُمْهَـل لوقـتِ سِرار
عَجِـل الخُـسوفُ عليـه قبـلَ أوانـه ... فمحـاه قَبْـل مَظِنّـة الاِبـدار
واسـتُلّ مـن أتْرابـه ولِدَاتِـهِ ... كالمُقْلـة اسْـتُلّتْ مـن الاشـفار
فكـأنّ قلبـي قَـبْرُه وكأنـه ... في طَيّـه سِرٌّ مـن الاسرار
ان يُعْتَـبَطْ صِـغَرًا فَـرُبَّ مُقَمِّـمٍ ... يَبْـدو ضَـئيلَ الـشخص للنُّظّـار
انّ الكواكـبَ في عُلُـوّ محلّهـا ... لَـتُرَى صِـغارًا وهـى غـير صـغار

وَلَـدُ المُعَــزَّى بعــضُه فــاذا مــضى ... بعــضُ الفتَــى فالكــلُّ في الآثــار
أَبْكيــه ثــم أقــول معتــذِرا لــه ... وُفِّقْـــتَ حـــين تَركـــتَ أَلْأَمَ دار
جــاوَرْتُ أعــدائي وجــاوَرَ رَبَّــه ... شَـــتَّانَ بـــين جِـــوارِه وجِـــواري
أشــكو بِعــادَك لي وأنــتَ بموضــعٍ ... لـولا الـردَى لَـسَمِعْتَ فيـه مَـزاري
والـشرقُ نحـوَ الغـرب أقـربُ شُـقَّةً ... مــن بُعــد تلــك الخمــسة الاشــبار
هيهاتَ قـد عَلِقَتـكَ أسبابُ الـردَى ... واغتــالَ عمــركَ قــاطع الاعــمار
ولقـد جَرَيْـتَ كـما جريـتُ لغايـة ... فبلغتَهـــا وأبـــوكَ في المِـــضمار
فــاذا نطقــتُ فأنــت أولُ منطِقــي ... واذا ســـكتُّ فأنـــت في اضـــماري
أخفِـي مــن البُرَحــاءِ نــارًا مثـلَ مـا ... يُخفِــي مــن النــار الزنــادُ الــواري
وأَخَفِّــض الزَفَــراتِ وهــى صَــواعِد ... وأُكفِكــفُ العَــبَراتِ وهــى جَــوار
وشِــهابُ نــارِ الحُــزْن ان طاوَعْتُــه ... أوْرَي وان عاصَـــيْتُه مُتَـــوارِي
وأكُـــفُّ نِـــيرانَ الأسَى ولَرُبمـــا ... غُلِــب التَــصَبُّرُ فارْتَمَــتْ بــشَرار
ثــوبُ الرِيــاءِ يَــشِفّ عــما تحتَــه ... واذا التحَفْـــتَ بـــه فانـــك عـــار
قَــصُرَت جُفــوني أم تَباعَــدَ بَيْنُهــا ... أم صُـــوِّرَتْ عينـــي بـــلا أشـــفار
جَفَــت الكَــرى حتــى كــأَنّ غِــرارَه ... عنــد اغــتماض العــين وَخْــزُ غِــرار
ولــو اسْــتَزَارَتْ وقــدةً لَطَحَــا بِهــا ... مـــا بَـــين أجفـــاني مـــن التَّيَّـــار
أحيــي الليــالي الــتّمِّ وهــى تُميتُنــي ... ويُميـــتُهُنّ تـــبلُّج الاســـحار
حتــى رأيــت الــصُّبح تهتِــك كفُّــه ... بالـــضوْء رفـــرفَ خَيْمَـــةٍ كالقـــار
والــصبحُ قــد غَمَــرَ النُّجــومَ كأَنــه ... سَـــيْلٌ طَغَـــى فطَفَـــا عـــلى النُّـــوَّار
لــو كنــتَ تُمْنَــعُ خــاضَ دونَــك فِتْيَــةٌ ... مِنَّـــا بِحـــارَ عوامـــل وشِـــفار
ودَحَــوْا فُوَيْــق الارض أرضــا مــن دَم ... ثـــم انْثَنَـــوْا فَبَنَـــوْا ســـماءَ غُبـــار

قــومٌ اذا لبِـسوا الــدروعَ حَـسِبْتَها		خُلُجًــا تَمُــدّ بهــا أكُــفٌّ بِحــار
لـــو شرَّعـــوا أيمــانَهم في طولهــا		طَعنــوا بهــا عِــوَضَ القَنــا الخطّــار
جَنَبــوا الجيــادَ إلى المَطّــي وراحــوا		بــين الــسُروج هُنــاك والأَكْــوار
وكانمــا مَلَــؤا عِيــابَ دُروعِهــم		وغُمُــود أنْــصُلِهم سَرابَ قِفــار
وكأنمــا صَــنِعُ الــسَوابِغ عَــزَّهُ		مــاءُ الحديــد فَـصاغ مــاءَ قَــرار
زَرَدًا فــأحكَم كُــلَّ مَوْصِــل حَلْقــةٍ		بِحَبابِــه في موضــع المــسِمار
فَتَــسَرْبَلُوا بمُتــون مــاءٍ جامــدٍ		وتَقَنّعــوا بحَبــابِ مــاءٍ جــار
أسْــدٌ ولكــن يُــؤْثِرون بــزادِهم		والأسْــدُ لــيس تَــدين بالايثــار
يَتَــزَيَّن النــادي بحُــسْن وُجــوهِهم		كتــزيُّن الهــالات بــالأقمار
يتعطّفــون عــلى المجُــاوِر فــيهمُ		بالمُنفْــسِات تعطُّــفَ الأظْــآر
من كـلَ مـن جعـل الظُبَـى أنـصارَه		وكَــرُمْنَ واســتغنَى عــن الانــصار
واذا هــو اعتقــلَ القنــاةَ حَـسِبْتَها		صِــلًّا تأبَّطَــه هِزَبْــرٌ ضــار
والليــثُ ان ثاوَرْتَــه لم يَعْتَمِــد		الّاعــلى الأنيــاب والاظفــار
زَرَدُ الــدِّلاص مــن الطِعــان يُرِيحــهُ		في الجحفَــل المُتــضايِق الجــرّار
مــابين ثــوبٍ بالــدماء مُــضَمَّخٍ		زَلِــقٍ ونَقْــعٍ بــالطِّراد مُثــار
والهُــونُ في ظِــلّ الهُوَيْنــا كــامِنٌ		وجَلالــة الأَخْطــار في الاِخطــار
تَنْــدَى أسِرَّةُ وجهــه ويمينُــه		في حالــة الاِعــسار والاِيــسار
ويَمُــدُّ نحــوَ المكْرُمــات أنــامِلا		للــرزق في أثنــائهنّ مَجَــارِ
يَحْــوي المَعَــالِيَ كاسِــبا أو غالبــا		أبــدًا يُــدارَى دونَهــا ويُــدارِي
قــد لاح في ليــل الــشباب كواكــبٌ		ان أُمْهِلَــتْ آلــت إلى الاِســفار
وتَلَهُّــبُ الاحــشاء شَــيّب مَفْرِقَــى		هــذا الــضياءُ شُــواظُ تلــك النــار

شَابَ القَذَال وكلُّ غصنٍ صائرٌ ... فَيْنَانُه الأحْوَى إلى الازهار
والشِبْهُ مُنْجِذبٌ فَلِمْ بِيْضُ الدُّمَى ... عن بيض مَفْرَقه ذواتُ نِفار
وتَوَدّ لو جعلت سوادَ قلوبها ... وسوادَ أعْيُنِها خِضابَ عِذار
لا تَنْفِر الظَبَيات عنه فقد رأت ... كيف اختلاف النبت في الأطوار
شيآنِ يَنْقَشعان أوَّلَ وهْلةٍ ... ظِلُّ الشباب وخُلّة الأشرار
لا حَبّذا الشيبُ الوفِّي وحبذا ... ظِلُّ الشباب الخائنِ الغدّار
وطَرِي من الدنيا الشبابُ ورَوْقُه ... فاذا انقضَى فقد انقضت أوطاري
قَصُرَت مسافتُه وما حسناته ... عندي ولا آلاؤه بقِصار
نزدادُ هَمًّا كلما ازددنا غِنًى ... والفَقْر كّلّ الفقر في الاكثار
ما زاد فوقَ الزاد خُلِّفَ ضائعا ... في حادث أو وارثٍ أو عار
أنِّي لَأرحمُ حاسِدِيَّ لحَرِما ... ضمِنت صُدورهم من الأوغار
نَظَروا صَنيع الله بي فعُيونُهم ... في جنةٍ وقلوبُهم في نار
لا ذنبَ لي قد رمتُ كَتْمَ فضائلي ... فكأنما بَرقْعَتُ وجهَ نهار
وسترتُها بتواضُعي فتطلعت ... أعناقُها تعلو على الاستار
ومِنَ الرِجال مَعالِمٌ ومَجاهِل ... ومِن النجوم غوامضٌ ودَراري
والناسُ مشتبهون في ايرادهم ... وتفاضُلُ الأقوامِ في الِاصدار
عَمْري لقد أوطأتُهم طُرُقَ العُلا ... فعَمُوا فلم يَقِفوا على آثاري
لو أبصَروا بقلوبهم لاستبصَروا ... وعَمَى البصائِر من عَمَى الأبصار
هَلَّا سَعَوْا سَعْىَ الكرام فأدركوا ... أو سَلَّموا لِمَواقع الأَقدار
وفَشَتْ خِيانات الثِقات وغيرهم ... حتى اتَّهَمْنا رؤيةَ الأبصار
وَلرُبما اعْتَضَد الحليم بجاهلٍ ... لا خيرَ في يُمْنَى بغير يَسار

من كتاب الصادح والباغم

العَـــيْشُ بـــالرزق وبالتقـــدير ولـــيس بـــالرأي ولا التـــدبير
في النـــاس مَـــن تُـــسْعِدُه الأقـــدار وفعلُـــــه جميعُـــــه إدبـــــار
مَـــن عَـــرَف اللـــه أزالَ التُهَمَـــهْ وقـــال كـــلُّ فعلِـــهِ للحِكمـــهْ
مَـــن أنكَـــر القـــضاءَ فهـــو مُـــشْرِك انّ القـــضاء بالعبـــاد أملَـــك
ونحـــن لا نُـــشْرك باللـــه ولا نَقْـــنَطُ مـــن رحمتـــه اذ نُبْـــتَلَى
عـــارٌ علينـــا وقبـــيحُ ذِكْـــرِ أن نجعـــل الكُفْـــرَ مكـــان الـــشكرِ
ولـــيس في العـــالمِ ظلـــمٌ جـــاري اذ كـــان مـــا يجـــرى بـــأمر البـــاري
أســـعدُ العـــالَم عنـــد اللـــه مَـــن ســـاعَدَ النـــاسَ بفـــضل الجـــاه
ومَـــن أغـــاثَ البـــائسَ الملهوفـــا أغاثَـــه اللـــه اذا أُخيفـــا
إن العظـــيمَ يـــدفع العظـــيما كـــما الجـــسيمُ يحمـــل الجـــسيما
فـــانّ مـــن خلائِـــق الكـــرام رحمـــةَ ذي الـــبلاء والأســـقام
وانّ مـــن شرائِـــط العُلُـــوّ العطـــفَ في البـــؤس عـــلى العـــدوّ
قـــد قَـــضَت العُقـــول أنّ الـــشَّفقه عـــلى الـــصَديق والعـــدوّ صـــدقة
وقـــد عَلِمْـــتَ واللبيـــبُ يعلـــم بـــالطبع لا يُـــرْحَم مَـــن لا يَـــرْحَم
فـــالمرءُ لا يـــدري متـــى يُمْـــتَحن فانـــه في دهـــره مُـــرْتَهَن
وان نجـــا اليـــومَ فـــما يَنْجـــو غـــدا لا يـــأمَن الآفـــات الا ذو الـــرَدَى

لا تَغْتَرِرْ بالخَفْض والسلامة   فانما الحياة كالمُدامة

والعمرُ مثلُ الكأسِ والدهرُ القَذَرْ   والصَفْوُ لابدُ له من الكَدَر

وكلُّ انسان فلابُدّ لَهُ   من صاحبٍ يَحْمِل ما أثقلَهُ

جَهْدُ البلاء صحبة الاضداد   فانها كَيٌّ على الفؤاد

أعظمُ ما يَلْقَى الفتى من جَهْدِ   أن يُبْتَلَىَ في جِنْسِه بالضِّدّ

فانما الرجالُ بالِاخوان   واليدُ بالساعِد والبَنَان

لا يَحْقِر الصُّحْبَةَ الا جاهِلُ   أو مارِقٌ عن الرشادِ غافِلُ

صُحْبَةٌ يوم نَسَبٌ قريبُ   وذمَّةٌ يحفظُها اللبيب

ومُوجَبُ الصَداقة المُساعدة   ومقتضى المَوَدّة المُعاضدة

لاسيما في النُوَب الشدائدِ   والمِحَن العظيمة الأَوَابد

فالمرءُ يُحْيى أبدا أخاه   وهو اذا ما عدّ من أعداه

وانّ من عاشَرَ قومًا يوما   ينصُرُهم ولا يَخاف لَوْما

وانّ مَن حارَبَ مَن لا يَقوَى   لِحَرْبه جَرّ إليه البَلْوَى

فحارب الأكْفَاء والاقرانا   فالمرءُ لا يُحارِب السلطانا

واقْنَعْ اذا حارَبْتَ بالسلامة   واحذَر فعالًا توجبُ الندامة

فالتاجُر الكَيِّس في التِجارة   مَن خاف في مَتْجَره الخَسارة

يَجْهَد في تحصيل رأس ماله   ثم يَروم الرِبْحَ باحتياله

وان رأيتَ النصر قد لاحَ لكَ   فلا تُقَصِّرْ واحترِز أن تَهلِكا

واسْبِقْ إلى الأجود سَبْق الناقِدِ   فَسَبْقُك الخَصْمَ من المَكَايد

وانتهِز الفُرصة انّ الفرصة   تَصير إن لم تنتهزْها غُصّة

كم بَطِرَ الغالِب يوما فترِكْ   عنه التوقِّي واستهانَ فهلك

ومَــن أضــاعَ جُنْـدَه في الــسِلْم	لم يحفظــوه في لِقــاء الخَــصْم
وانّ مـــن لا يَحْفَـــظ القُلوبـــا	يُخْـذَلُ حـين يَـشْهَد الحُروبـا
والجُنْـدُ لا يَرْعَـوْنَ مَـن أضـاعهم	كَـلّا ولا يَحْمـون مَـن أجـاعهم
وأضـعفُ الملـوك طُـرًّا عَقْـدَا	مَـن غَـرّه الـسِلْمُ فأقْـصَى الجنـدا
والحـزم والتـدبيرُ رُوح العـزم	لا خـيرَ في عـزمٍ بغـير حـزم
والحـزم كـل الحـزم في المُطاولـة	والـصبرِ لا في سرعـة المزاولـة
وفي الخُطـوب تَظهـر الجـواهرُ	مـا غَلَـبَ الأيـامَ الا الـصابر
لا تيأسَـنْ مـن فَـرَجٍ ولطـف	وقُـوّة تَظهـر بعـدَ ضَـعْف
فربمـا جـاءَك بعـدَ اليـاسِ	رَوْحٌ بِـلا كَـدٍّ ولا الـتماس
في لمحـة الطَـرف بُكـاءٌ وضَـحكْ	وناجِـذٌ بـادٍ ودمـعٌ يَنْـسَفِك
تَنـال بـالرِّفْق وبالتـأني	مـالم تَنَـلْ بـالحِرْص والتَعَنّـي
مـا أحـسنَ الثبـاتَ والتَجَلُّـدا	وأقـبح الحَـيْرة والتبلُّـدا
لـيس الفتَـى الا الـذي إن طَرَقَـهْ	خَطْـبٌ تَلَقّـاه بـصَبْرٍ وثِقَـة
اذا الرَزايـا أقبلـت ولم تَقِـفْ	فَـثَمّ أحـوالُ الرجـال تختلِـف
وكـم لقِيـتُ لَـذَّةً في زمنـي	فأصْـبِرُ الآنَ لِهَـذِي المِحَـن
فـالموتُ لا يكـون الا مَـرَّة	والمـوتُ أحْـلَى مـن حيـاةٍ مُـرَّة
اني مـن المـوت عـلى يقَـين	فَاجْهَـد الآن لمـا يَقينـي
صَـبْرًا عـلى أهوالِهـا ولا ضَـجَرْ	وربمـا فـازَ الفتـى اذا صَـبَرْ
لا يَجْـزَع الحُـرّ مـن المـصائب	كـلا ولا يَخْـضَع للنوائـب
فـالحرّ للْعِـبْء الثقيـل يَحْمِـلُ	والـصَبْرُ عنـد النائبـات يَجْمُـلُ
لكـل شـئٍ مـدةٌ وتنقـضِي	مـا غَلَـب الايـامَ الا مَـن رَضى

قـــد صَـدَق القائـــل في الكـــلام | لـــيس النُهَـــى بِعِظَـــم العظـــام
لا خَـــيْرَ في جـــسامة الأجـــسام | بـــل هـــو في العُقـــول والافهـــام
فالخَيْـــل للحـــرب وللجَـــمَال | والابـــلُ للحَمْـــل وللتَرْحـــال
لا تَحْتَقِـــر شـــيأ صـــغيرا يُحْتَقَـــرْ | فربمـــا أســـالتِ الـــدمَ الإِبَـــرْ
لا تُحْـــرج الخـــصم ففـــي احْراجـــه | جميـــعُ مـــا تَكْـــرَه مـــن لجَاجـــة
لا تطلُـــب الفائـــتَ باللجـــاج | وكَـــنْ اذا كويْـــتَ ذا إنـــضاج
فعـــاجِزٌ مـــن تـــرك الموجـــودا | طَمَاعـــةً وطلـــبَ المفقـــودا
وفَـــتِّش الامـــور عـــن أسرارهـــا | كـــم نُكْتَـــةٍ جاءتْـــك مَـــعْ اظهارهـــا
لَزِمْـــتَ للجهـــل قبـــيحَ الظـــاهِرِ | ومـــا نظـــرْتَ حَـــسَنَ الـــسرائر
لـــيس يَـــضُرّ البـــدرَ في ســـناهُ | أنّ الـــضَرير قَـــطُّ لا يـــراه
كـــم حِكمـــةٍ أضْـــحَتْبها المَحافِـــل | نافِقَـــةً وأنـــتَ عنهـــا غافـــل
ويَغْفُلـــون عـــن خَفـــيّ الحكمـــة | ولـــو رأوهـــا لا زالـــوا التهمـــة
كـــم حَـــسَنٍ ظـــاهِره قبـــيح | وسَـــمِج عُنْوانُـــه ملـــيح
والحـــقّ قـــد تَعلَمُـــه ثَقِيـــل | أبَـــوْهُ الّا نَفَـــرٌ قليـــل
فالعاقـــل الكامـــل في الرجـــال | لا يَنْثَنـــي لزُخْـــرف المقـــال
انّ العَـــدُوّ قولُـــه مَـــرْدود | وقَلَّـــما يُـــصَدَّق الحـــسود
لا تُقْبَـــلُ الـــدعوَى بغـــير شـــاهِدِ | لا ســـيما ان كـــان مـــن مُعانـــد
أيؤخـــذ الـــبَرئُ بالـــسقيم | والرَجُـــل المُحْـــسِن بـــاللئيم
كـــذاكَ مَـــن يَسْتَنْـــصِحِ الأعـــادي | يُرْدونَـــه بـــالغش والفـــساد
ان أكَـــلَّ مَـــن تـــرى أذهانـــا | مَـــن حَـــسِبَ الِاســـاءة الِاحـــسانا
فـــادْفَعْ اســـاءةَ العِـــدَى بالحُـــسْنَى | ولا تَخَـــلْ يُـــسْراكَ مِثْـــلَ اليُمْنَـــى

وللرجـــال فـــاعْلمَنْ مَكايـــدُ وخِـــــدَعٌ مُنكَـــرَةٌ شَـــدائد

فالنَـــدْب لا يَخْـــضَعُ للـــشدائد قَـــطّ ولا يَغْتـــاظ بالمكائـــد

فَرَقِّـع الخَـرْق بلطــفٍ واجتَهِـد وامكُـر اذا لم ينفـع الـصدقُ وكـدِ

فهكـــذا الحـــازِم اذ يَكيـــد يَبلـــغ في الأعـــداء مـــا يُريـــد

وهـــو بَـــريءٌ مـــنهم في الظـــاهر وغـــيرُه مُخْتَـــضب الاظـــافر

والـشَهْمُ مـن يُـصلِح أمْـرَ نفـسِه ولـــو بقتـــلِ وُلْـــدِه وعِرْســـه

فـانّ مَـن يقـصِد قَلْـع ضِرْسـه لم يَعتمِـــد الا صـــلاحَ نفـــسه

وانّ مَـــن خَـصّ اللئـيمَ بالنَـدَى وجدْتـــه كمـــن يُـــرَبِّي أســـدا

ولـيس في طَبْـع اللئـيم شُـكْر ولـيس في أصـل الـدنيء نَـصْر

وانّ مَـــن ألْزَمَـــه وكَلَّفَـــه ضِـدّ الـذي في طبعِـه مـا أنْـصَفَه

كـذاك مَـن يَـصْطَنِع الجُهّـالا ويـــؤثِر الأرذال والانـــذالا

لـو أنكـم أفاضـلٌ أحـرار مـــا ظَهَـــرَتْ بيـــنكم الأسرار

انّ الاصـولَ تَجـذِب الفُروعـا والعِـرْق دَسّـاسٌ اذا أُضـيعا

مـا طـابَ فَـرْعٌ أصـلُه خبيـث ولا زَكـا مَـن مَجْـدُه حـديث

قـد يُـدرِكون رُتَبًـا في الـدنيا ويبلُغـون وَطَـرًا مـن بُقْيـا

لكـنهم لا يبلُغـون في الكـرم مبلَـغ مَـن كـان لـه فيهـا قِـدم

وكـل مَـن تَماثَلَـتْ أطرافُـهُ في طِيبِهـا وكَرُمَـت أسـلافه

كـان خَليقـا بـالعُلَى وبـالكرم وبَرَعَـتْ في أصـله حُـسْنُ الـشِيم

لـولا بَنُـو آدمَ بـين العـالَمِ مـا بـانَ للعُقـول فـضل العـالمِ

فواحـدٌ يُعطيـك فـضلا وكـرم فـذاك مَـن يكفُـرُه فقـد ظَلَـم

وواحـدٌ يعطيـك للمُـصانعَة أو حاجـةٍ لـه إليـك واقعـة

لا تَشْرَهَنْ إلى حُطامٍ عاجلِ　　　كم أُكلةٍ أوْدَتْ بنفس الآكِل
واحذر أُخيّ يا فتى من الشَرَه　　　وقِسْ بما رأيتَه ما لم تره
فليس مِن عَقْل الفتى أو كرمه　　　افسادُ شخصٍ كاملٍ لقَرَمِه
فالبَغْيُ داءٌ ما له دواء　　　ليس لمُلْكٍ معه بَقاء
والبغي فاحذْره وخيمُ المَرْتَع　　　والعُجْبُ فاتركه شَديدُ المصرع
والغَدْر بالعهد قبيحٌ جدا　　　شَرّ الورى مَن ليس يَرْعى العهدا
عند تمام الأمر يبدو نَقْصُه　　　وربما ضَرّ الحريصَ حرصُه
وربما ضَرَّكَ بعضُ مالكا　　　وساءك المحسِن من رجالكا
فالمرءُ يَفْدي نفسَه بوَفْرِه　　　عساه أن يَنْجُو به من أسْرِه
لا تُعْطِيَنْ شيأ بغير فائدة　　　فانها من السجايا الفاسدة

في خواص مصر العامة لها لعبد اللطيف البغدادي

انّ أرض مصر من البلاد العجيبة الآثار الغريبة الاخبار وهى واد يكتنفه جَبَلان شرقيّ وغربيّ والشرقي أعظمُهما يبتدئان من أسوان ويتقار بان باسنا حتى يَكادا يتماسّان ثم ينفرجان قليلا قليلا وكلما امتدّا طولا انفرجا عرضا حتى اذا حاذيا الفُسْطاط كان بينهما مسافة يوم فما دونه ثم يتباعدان أكثر من ذلك والنيلُ ينساب بينهما ويتشعب بأسافل الارض وجميعُ شُعَبه تَصُبّ في البحر المالح

وهذا النيل له خاصّتان الاولى بُعْد مرماه فانا لا نعلـم في المعمـورة نهـرا أبعـد مسافةً منه لانّ مبَادئَه عُيون تأتي من جبل القمر وزعموا ان هـذا الجبـل وراء خط الاستواء باحدى عشرة درجة ونصف درجة وعرضُ اسوان وهـى مبـدأ أرض مـصر اثنتـان وعـشرون درجـة وعـرض دميـاط وهـى أقـصى أرض مـصر احـدى وثلاثون درجة وثلث درجة فتكون مسافة النيل على خط مستقيم ثلاثا واربعـين درجة تنقص سدسا ومساحة ذلك تقريبا تسعمائة فرسخ هذا سوى ما يأخذ من التعريج فان اعتبر ذلك تضاعفت المساحة جدا والخاصة الثانيـة أنـه يزيـد عنـد نُضوب سائر الانهار ونَشيش المياه لانه يبتدئ بالزيادة عنـد انتهـاء طـول النهـار وتتناهى زيادته عند الاعتدال الخريفي وحينئذ تُفتح الترع ونَفيض على الاراضي وعلّة ذلك ان مواد زيادته أمطار غزيرة دائمـة وسـيول متواصـلة تُمِـدُّه في الأوان فان أمطار الاقليم الاول والثاني انما تَغْزُر في الصَّيف والقَيظ

وأما أرض مصر فلها أيضا خَواصّ منها انه لا يقع بها مطـر الا مـالا احتفـال به وخصوصا صَعيدها فاما أسافلها فقد يقع بهـا مطـرٌ جَـوْد لكنـه لا يفـي بحاجة الزراعة وأما دِمْياط والاسكَندرية ومـا دانـاهما فهـى غزيـرة المطـر ومنه يشربون وليس بأرض مصر عين ولا نهر سـوى نيلْهـا ومنهـا أن أرضـها رملية لا تصلح للزراعة لكنـه يأتيهـا طـينٌ أسـودُ عَلِـكٌ فيـه دُسـومة كثـيرة يُسمى الابْليز يأتيها من بلاد السودان مختلطا بماء النيل عند مَدِّه فيـستقر الطين ويَنْضُب الماء فيُحْـرَث ويـزرع وكـل سـنة يأتيهـا طـين جديـد ولهـذا تـزرع جميـع أراضـيها ولا يـراح شـئ منهـا كـما يفعـل في العـراق والـشام لكنها تُخالَف عليها الاصـناف وقـد لحظـت العـرب ذلـك فانهـا تقـول اذا

كثرت الرياح جادت الحِراثة لانها تجئ بتراب غريب وتقول أيضا اذا كثرت المؤْتَفِكات زكا الزرع ولهذه العلة تكون أرض الصعيد زكيّة كثيرة الاِتاء والرَيْع اذ كانت أقربَ إلى المبدأ فيحصل فيها من هذا الطين مقدار كثير بخلاف أسفل الأرض فانها أُساقَةٌ مَضْوية اذ كانت رقيقة ضعيفة الطين لانه يأتيها الماء وقد راق وصَفا ولا أعرف شبيها بذلك الا ما حكى لي عن بعض جبال الاقليم الاول ان الرياح تأتيه وقت الزراعة بتراب كثير ثم يقع عليه المطر فيتَلَبّد فيُحْرَت ويُزْرَع فاذا حُصِد جاءته رياح أخرى فنَسَفَتْه حتى يعود اجْرَدَ كما كان أوّلا

ومنها أن الفصول بها متغيرة عن طبيعتها التي لها فان أخص الاوقات باليُبْس في سائر البلاد أعني الصيف والخريف تكثر فيه الرطوبة بمصر بمدّ نيلها وفَيْضه لأَنه يَمُدّ في الصيف ويُطَبّق الارضَ في الخريف فأما سائر البلاد فانّ مياهَها تَنِشّ في هذا الاوان وتَغْزُر في أخصّ الاوقات بالرطوبة أعني الشتاء والربيع ومصر اذ ذاك تكون في غاية القحولة واليُبْس ولهذه العلة تكثر عفوناتها واختلاف هوائها وتغلِب على أهلها الامراض العَفَنِيّة الحادثة عن أخْلاطٍ صفراوية وبَلْغَمِيه وقَلّما تجد فيهم أمراضا صفراوية خالصة بل الغالب عليها البلغم حتى في الشُّبَّان والمَحْرورينَ وأكثر أوراضهم في آخر الخريف وأوّل الشتاء لكنها يغلب عليها سلامة العاقبة وتقِلّ فيهم الامراض الحادّة والدموية الوَحِيّة وأما أصحّاؤهم فيغلب عليهم التَرَهُّل والكسل وشُحُوب اللون وكُمودته وقَلّما ترى فيهم مَشْبوب اللون ظاهر الدَمامة وقلّة النَضارة وانما تَحْدث لهم البَدانة والقَسامة غالبا بعد العشرين وأما ذَكاؤهم وتَوَقُّد أذهانِهم وخِفّة حركاتهم

فلحرارة بَلَدِهم الذاتِية لأنّ رطوبتـه عرضـية ولهـذا كـان أهـل الـصعيد أقْحـلَ جُسوما وأجَفّ أمزجـة والغالـب علـيهم الـسُمرة وكـان سـاكنو الفُـسْطاط إلى دمياط أرْطَبَ أبدانًا والغالب عليهم البياض ولما رأى قُدَماء المصريين أنّ عمارة أراضيهم انما هى بِنِيلها جعلوا أوّلَ سَنَتهم أول الخريف وذلك عند بلوغ النيل الغاية القصوى من الزيـادة ومنهـا أنّ الـصَّبا محجوبـة عـنهم بجَبَلِهـا الـشرقي المُسمى المقطَّم فانه يستر عنها هذه الريح الفاضلة وقَلّما تَهُبّ عليهم خالـصة الـلـهم الا نَكْباءَ ولهذا اختار قدماء المصريين أن يجعلـوا مـستقرَ المُلْـك مَنْـف ونحوها مما يَبْعُد عن هذا الجبل الشرقي إلى الغربي واختار الروم الاسـكندريةَ وتجنبوا مواضعَ الفُسْطاط لقُرْبه من المقطَّم فانّ الجبل يَسْتُرعما في لِحْمِه أكـثر مما يستر عما بَعُد منه ثم ان الشمس يتأخر طلوعها عليهم فيقـلّ في هـوائهم النُضْج ولذلك تجد المواضع المنكشفة للصبا مـن أرض مـصر أحـسنَ حـالا مـن غيرها ولكثرة رطوبته يَتَسَارع العَفَن إليها ويكثرُ فيها الفأر ويتولـد مـن الطـين والعقاربُ تكثُر بقُوص وكثيرا ما تَقْتُل بلَسْبها والبَقّ المُنِـتْن والـذُباب والبراغيـث تدوم زمانا طويلا ومنها أنّ الجَنُوب اذا هَبّت عندهم في الشتاء والربيع وفيما بعد ذلـك كانـت بـاردةً جـدا ويُـسَمُّونَها المَرِيـسِي لمرورهـا عـلى بـرِكَ ونقـائع والـدليل عـلى صحة ذلـك انهـا اذا دامـت أيامـا متواليـة عـادت إلى حرارتهـا الطبيعية وأسْخَنَتِ الهواء وأحدثت فيها يُبْسا

أصـالةُ الـرأي صـانَتْني عـن الخَطَـل وحِليـةُ الفـضل زانَتْنـي لَـدَى العَطـل
مَجْـدي أخـيراً ومجـدي أولًا شَرَعٌ والـشمس رادَ الـضحى كالـشمس في الطَفَـل
فـيمَ الاقامـةُ بـالزَوراء لا سَـكَني بهـا ولا نـاقتي فيهـا ولا جَمَـلي
نـاءٍ عـن الاهـل صِـفْرُ الكَـفّ منفـرِد كالنَـصْل عُـرِّىَ مَتْنـاهُ عـن الخِلَـل
فـلا صَـديق إليـه مـشتكَى حَـزَني ولا حبيـب إليـه منتَهَـى جَـذَلي
طـال اغـترابيَ حتـى حَـنّ راحِلَتـي ورَحلُهـا وقَنـا العـسّالةِ الـذُبُل
وضَـجّ مـن لَغَـبٍ نِـضْوِي وعَـجّ لِـمَا يلقـاه قلبـي ولَـجّ الركْـبُ في عَـذلي
أريـد بَـسطَة كَـفٍّ أسـتعين بهـا عـلى قـضاء حقـوقٍ للعُـلَى قِـبَلي
والـدهرُ يَعكِـس آمـالي ويُقنِعُنـي مـن الغنيمـة بعـد الكـدّ بالقَفَـل
وذي شَـطَاط كـصدر الـرمح مُعتَقِـل بمِثْلـه غـير هَيّـابٍ ولا وَكِـل
حُلـو الفُكاهـة مُـرّ الجِـدّ قـد مُزِجَـتْ بقَـسوة البـأسِ منـه رِقّـةُ الغَـزَل
طـرَدْتُ سَرْحَ الكَـرَى عـن وِرْدِ مقتلـه والليـلُ أغـرَى سَـوامَ النَـوْم بالمُقَـل
والراكـبُ مِيـلٌ عـلى الاَكْـوارِ مـن طَـرِبٍ صـاحٍ وآخَـرَ مـن خمـر الكَـرَى ثَمِـل
فقلـت أدعـوك للجُـلَّي لتنـصُرني وأنـت تَخْـذُلُ في الحـادث الجَلَـل
تَنـام عينـي وعـينُ الـنجم سـاهرة وتَـستحيل وصِـبْغ الليـل لم يَحُـل
حُـبُّ الـسلامة يَثْنـي هَـمَّ صـاحِبه عـن المَعَـالِي ويُغْـرِي المـرءَ بالكَـسَل
فـان جَنَحْـتَ إليـه فاتخِـذْ نَفَقًـا في الارض أو سُـلّما في الجـوّ فـاعتَزِل
ودَعْ غِـمارَ العُـلَى للمقْـدِمين عـلى رُكوبِهـا واقتنِـعْ مـنهنّ بالبَلَـل
يَـرْضَى الـذلِيلُ بخَفْـض العَـيْش مَـسْكَنةً والعِـزُّ بـين رَسِـيم الأَيْنُـق الـذُلُل
فـأدْرأ بهـا في نحـور البيـد جافلـةً مُعارِضـات مَثـانِي اللُّجْـم بالجُـدل

انّ العُلَى حدّثَتْنِي وهى صادقة   فيما تُحدِّث أنّ العِزّ في النُقَل
لو انّ في شَرَف المَأْوَى بلوغَ مُنًى   لم تَبْرَح الشمسُ يوما دارةَ الحَمل
أهَبْتُ بالحَظّ لو ناديتُ مُسْتمِعًا   والحَظّ عَنّيَ بالجُهّال في شُغُل
لَعَلّه إن بدا فَضْلِي ونَقْصُهُمُ   لعِينه نام عنهم أو تنبّه لي
أُعَلِّل النَفْسَ بالآمال أرقُبُها   ما أضيقَ العيشَ لولا فُسْحةُ الأَملَ
لم أرضَ بالعيش والايام مُقبلة   فكيف أرضى وقد ولَت على عَجل
غالَي بنفسي عِرفانِي بقيمتها   فَصُنْتُها عن رَخيص القَدْر مبتذَل
وعادةُ النَصْل أن يُزْهَى بجوهَرِه   وليس يَعْمَل إلّا في يَدَىْ بَطَل
ماكنتُ أُوثِر أن يَمْتَدَّ بي زَمَنِي   حتى أَرَى دولَةَ الأَوغاد والسِّفَل
تَقدّمنِي أُناس كان شَوْطُهُم   وراءَ خَطْوِيَ اذ أمشِي على مَهَل
هذا جزاءُ امِرئ أقرانُه دَرَجوا   مِن قَبْله فتمنَّى فُسْحةَ الأَجَل
وان علانِيَ مَن دونِي فلا عَجَبٌ   لي أُسوةٌ بانحطاط الشمس عن زُحَل
فاصبِرْ لها غيرَ مُحتال ولا ضَجِر   في حادث الدهر ما يُغْنِي عن الحيَل
أعدَى عدُوّك أدنى مَن وَثِقْتَ به   فحاذِر الناسَ واصحَبْهم على دَخَل
فانما رَجُل الدنيا وواحدُها   مَن لا يعوِل في الدنيا على رجل
وحُسنُ ظنِّك بالايام مَعْجَزَةٌ   فَظُنّ شرًا وكُنْ منها على وَجَل
غاضَ الوفاء وفاضَ الغَدْرُ وانفرجت   مسافةُ الخُلْف بين القول والعمل
وشانَ صِدْقَك بين الناس كِذْبُهُمُ   وهل يُطابَقُ مُعْوَجٌّ بمتعدل
ان كان ينجَع شئ في ثَباتِهم   على العُهود فَسَبْق السيف للعَذَل
يا واردًا سُؤْرَ عَيْشٍ كُلُّه كَدَرٌ   أنْفَقْتَ صَفْوَك في أيامِك الأُوَل
فيمَ اعتراضُك لُجَّ البحر تركَبُه   وأنت تكفِيك منه مَصَّة الوَشَل
مُلْكُ القناعة لا يُخْشى عليه ولا   يُحتاج فيه إلى الأَنصار والخَوَل

ترجـو البقـاءَ بـدارٍ لا ثَبـاتَ لهـا فهـل سـمِعتَ بِظـل غـيرِ مُتنقـل
ويـا خبـيرا عـلى الأَسْرار مُطَّلِعـا أُصْمُتْ ففي الصَمْت مَنْجاةٌ من الزلَـلَ
قـد رَشَّـحوك لأمـرٍ ان فَطِنْـتَ لـه فأرْبَـأْ بنفسك أن تَرْعَـى مـع الهَمَـل

قال الطغرائي يفتخر

أبي اللـه أن أسْـمو بغـير فـضائلي اذا مـا سـما بالمـال كـلُّ مُـسَوّدَ
وان كَرُمَـتْ قـبلي أوائـلُ أُسْرَتي فـاني بحمـد اللـه مبـدأ سُـؤْددي
يُـذَمُّ لأجـلي المُهْـر ان يكْـبُ مـرةً بجَـدّي وان يـنهض بجِـدّي يُحْمَـدِ
ومـا منـصِبٌ الا وقَـدْرِيَ فوقَـه ولـو حُـطَّ رَحْـلي بـين نَـسْرٍ وفَرْقَـد
اذا شرُفـت نفـسُ الفتـى زاد قـدرُه عـلى كـل أسنَي منـه ذِكْـرا وأمجـد
كـذاك حديـد الـسيف ان يَـصْفُ جـوهر فقيمتُـه أضـعافه وَزْن عَـسْجَد
تكـادُ تَـرَى مَـن لا يُقـاس نِجـادُه بِشسْعِي اذا ما ضَمَّنا صَدرُ مَشهد
ومـا المـالُ الا عـارةٌ مَـسْتَرَدّة فهـلّا بفـضلي كـاثَروُني ومَحِتـدي
اذا لم يكـن في الولايـة بَـسْطة يَطول بها باعي وتَسطو بها يـدي
ولا كـان لي حُكْـم مُطـاع أجيـزه فـأُرغِم أعـدائي وأَكْبِـتُ حُـسَّدي
فأُعْـذَرُ ان قـصَّرتُ في حَـقّ مُجْتَـدٍ وآمـنُ أن يعتـادني كيـدُ مُعتـد
أَأُكفَـي ولا أَكفِـي وتلـك غَـضاضة أرى دونَهـا وقْـعَ الحُـسامِ المُهَنَّـد
ولـو لا تكـاليف العُـلَى ومَغـارِمٌ ثِقـالٌ وأعقـاب الاحاديـث في غـد

لأعطيتُ نفسي في التخلّي مُرادَها فذاك مُرادي مُذ نشأتُ ومقصِدي
من الحزم أن لا يَضْجَر المرءُ بالذي يُعانيه من مكروهة فكأن قد
اذا جَلدِي في الامر خانَ ولم يُعِنْ مُرَيْرَةَ عزمِي نابَ عنه تَجَلُّدي
ومَن يَسْتَعِن بالصبر نال مُرادَه ولو بعدَ حين انه خيرُ مُسْعِد

المقامة الاولى الصَنْعانية

حدّث الحارث بن هَمّام قال لما اقتعدْتُ غارِب الاغترابْ وأنْأَتني المَتْرَبة عن الاتْراب طوّحتْ بي طوائحُ الزمن إلى صَنعاء اليمن فدخلتُها خاوىَ الوِفاض بادِىَ الإنْفاض لا أمْلِك بُلْغه ولا أجد في جِرابي مُضْغه فطِفقْتُ أجوب طُرقاتها مِثْلَ الهائم وأجُول في حَوْماتها جَوَلانَ الحائم وأَروَد في مسارح لمَحَاتي ومَسايح غَدَواتي ورَوْحاتي كريما أُخلِق له دِيباجَتي وأبُوح إليه بحاجَتي أو أدِيبًا تُفَرِّج رُؤْيَتُه غُمَّتي وتُرْوِي رِوايَتُه غُلَّتي حتى أدَّتْني خاتمةُ المَطاف وهَدَتْني فاتحةُ الأَلْطاف إلى نادٍ رَحِيبٍ مَحْتَو على زِحام ونَحيب فَوَلَجْتُ غابَةَ الجَمْع لأَسْبُر مَجْلَبَةَ الدَمْع فرأيت في بُهْرَة الْحَلْقه شَخْصا شَخْتَ الخِلْقة عليه أُهْبَة السِياحة وله رَنّة النِياحة وهو يَطْبَع الأَسْجَاع بجَوَاهِرِ لَفْظِه ويَقْرَعُ الأَسْماع بزَوَاجر وَعْظِه وقد أحاطَت به أخْلاط الزُمَرْ إحاطَةَ الهالة بالقَمَرْ والأَكْمام بالثَمَر فَدَلَفْتُ إليه لأَقْتَبِس من فوائده وأَلْتَقِطَ بعضَ فرائده فسِمعتُه يقول حينَ خَبّ في مَجاله وهَدَرَتْ شَقاشِقُ ارتِجاله أيُّها السَادِر في غُلَوَائه السَادِل ثَوْبَ خُيَلائه الجَامح في

جَهلاته الجانح إلى خُزَعْبِلاته إلاَمَ تَـسْتَمرّ عـلى غَيّـك وتَـسْتَمْرِئُ مَرْعَـى بَغْيـك وحَتّامَ تَتَناهَى فِي زَهْوِك ولا تَنْتَهي عن لَهْوِك تُبـارِزُ بمعـصيَتك مالِـكَ ناصِـيَتِك وتَجْـتَرِئُ بقُـبْح سِـيرتِك عـلى عـالِم وتَتَـوَارَى عـن قرِيبـك وأنـتَ بمَـرْأى رَقِيبـك وتَسْتَخْفِي من مَمْلوكك وما تَخْفَى خافِيَةٌ على مَلِيكك أتَظُنّ أن سَتَنْفَعُك حالُك اذا آنَ ارْتِحالُك أو يُنْقِذُك مالُك حين تَوبِقك أعمالُك أو يُغْنـي عنـك نَـدَمُك اذا زَلّت قَدَمُك أو يَعْطف عليك مَعْشَرُك يَوْمَ يَضُمُّك مَحْشَرُك هَلّا انْتَهَجْتَ مَحَجّةَ اهْتِدائك وعَجَّلْتَ مُعالَجَةَ دائك زفَلَلْتَ شَبَاةَ اعْتِـدائك وقَـدَعْتَ نفـسَك فهـى أكبَرُ أعدائك أمَا الحِمامُ ميعادُك فما إعْدادُك وبالمَشيب انْذَارُك فما اعْذَارُك وفي اللَحْد مقَيلُك فما قِيلُك وإلى اللـه مَصِيرك فَمَنْ نَـصِيرك طـالَمَا أيْقَظَـك الـدَهْرُ فَتَنَاعَسْت وجَذَبَك الوَعظْ فتَقَاعَسْت وتَجَلّت لـك العِـبَر فتَعَامَيْـت وحَـصْحَص لك الحقّ فتَمَارَيْت وأَذْكَرَكَ المَـوْتُ فتَنَاسَـيْت وأمْكَنَـك أن تُـوَاسَى فـما آسـيْت تُؤْثِر فَلْسًا تُوعِيه على ذِكْرٍ تَعِيه وتَخْتار قَصْرا تُعْلِيه على بِرّ تُولِيه وتَرْغَـب عـن هادٍ تَسْتَهْدِيه إلى زادٍ تَسْتَهْدِيه وتُغَلّب حُبّ ثَوْبٍ تَشْتَهيه عـلى ثَـوَابٍ تَـشْتَريه يَوَاقيتُ الصِّلات أعْلَـقُ بتَقَلْبـك مـن مَواقيـت الـصَلاة ومُغـالاةُ الـصَّدُقات آثَـرُ عندك من مُوالاة الصَدَقات وصحافُ الاَلْوان أشْهَى إليك من صَـحائف الاَدْيـان ودُعابَةُ الاَقْران آنَسُ لك من تِلاوة القرآن تَأْمُر بالعُرْف وتَنْتَهك حِـماه وتَحْمـي عن النُكْر ولا تَتَحاماه وتُزَحَزِح عن الظُلْم ثم تَغْشاه وتَخْشَى الناسَ واللــه أن تَخْشاه ثم أنشد

تَبًّا لِطالِب دُنْيا	ثَنَى إليها انْصِبابَهْ

ما يَسْتَفِيق عَرَاما بها وفَرْطَ صَبابَه

ولو دَرَى لَكَفَاهُ مما يَرُوم صُبابَهْ

ثم انه لَبَّدَ عَجَاجَتَهْ وغَيَّضَ مُجَاجَتَهْ واعْتَضَد شَكْوَتَهْ وتَأَبَّطَ هِراوَتَهْ فلـما رَنَـتْ الجماعَة إلى تَحَفُّزِه ورَأَتْ تَأَهُّبَه لِمُزايَلة مَرْكَزِه أدْخَلَ كـلُّ مـنهم يَـدَه في جَيْبـه فأفْعَمَ له سَجْلا من سَـيْبه وقـال اصرفْ هـذا في نَفَقَتِـك أو فَرِّقْـهُ عـلى رُفْقَتِـك فَقَبِله منهم مُغْضِيا وانْثَنَى عنهم مُثْنِيا وجَعَل يُوَدِّع من يُـشَيِّعه ليَخْفَـى عليـه مَهْيَعُه ويُسَرِّب مَن يَتْبَعُه لكَيْ يُجْهَل مَرْبَعه (قال الحارث بن همام) فاتَّبَعْتُـه مُوَّاريًا عنه عِيَانِي وقَفَوْتُ إثْرَه من حيث لا يَراني إلى مَغاره فأنْسابَ فيهـا عـلى غَرارَه فأمْهَلْتُه رَيْثَما خَلَع نَعْلَيْه وغَسَل رِجْلَيْه ثم هَجَمْتُ عليه فَوَجَدْتُه مُثافِنًا لتْلميذ على خُبْزٍ سَميذ وجَدْيٍ حَنيذ وقُبَالَتَهُما خابِيَةُ نَبيـذ فَقُلْـت لـه يـا هـذا أيكون ذاكَ خَبَرَك وهذا مَخْبَرَك فَزَفَر زَفْرَةَ القَـيْظ وكـادَ يَتَمَيَّـزُ مـنَ الغَـيْظ ولم يَزَلْ يُحَمْلِق إلىّ حتى خِفْتُ أنْ يَسْطُوَ عَلَىّ فلمّا انْ خَبَـتْ نـارُه وتَـوارَى أو ارُه أنشد

لَبِـسْتُ الخَمِيـصة أبْغِـي الخَبيـصة وأنْـشَبْتُ بِشـصِّىَ في كـل شِـصَة

وصَـيَّرْتُ وَعْظِـىَ أحْبُولَـةً أُرِيـغُ القَنِـيصَ بهـا والقَنِيـصة

وألْجَـأنِي الـدَهْر حتـى وَلَجْـتُ بلُطْـف احْتيـالِي عـلى الَّليْـث عِيـصة

عـلى أننـي لم أهَـبْ صَرْفَـه ولا نَبَـضَتْ لِيَ منـه فَريـصة

ولا شَرَعَـتْ بِي عـلى مَـوْرِدٍ يُـدَنِّس عِـرْضِىَ نَفْـسٌ حَرِيـصة

ولـو أنـصَف الـدَهْرُ في حُكْمِـه لَـمَا مَلَّـكَ الحُكْـمَ أهـلَ النَقيـصة

ثم قال لي ادْنُ فَكُلْ وان شِئْتَ فَقُمْ وقُلْ فالْتَفَتُّ إلى تِلميذه وقُلْتُ عَزَمْتُ عليك بِمَن تَسْتَدْفِع به الأَذَى لَتُخْبِرَنِيّ مَن ذَا فقال هذا أبو زَيد السَرُوجِيّ سِراج الغُرباء وتاجُ الأُدَباء فانْصَرَفْتُ من حيث أتَيْتُ وقَضَيتُ العَجَب مما رأيْت

المقامةُ الثالثة الديناريّة

رَوَى الحارث بن هَمّام قال نَظَمنِي وأخْداناً لي نـاد لم يَخِبْ فيه مُناد ولا كَبَا قَدْح زِناد ولا ذَكَتْ نارُ عِناد فَبَيْنا نَحْنُ نَتَجاذَبُ أطرافَ الاناشيد ونَتَوارَد طُرفَ الاَسانيد اذْ وَقَفْ بِنا شَخْصٌ عليه سَمَل وفِي مِشْيتِه قَزَل فقال يا أَخايِرَ وبَشائر العَشائر عِمُوا صَباحا وأنْعِموا اصْطِباحا وانظروا إلى مَن كان ذَا نَدِيٍّ ونَدَى وجِدَةٍ وجَدَي وعَقَارٍ وقُرَى ومَقارٍ وقَرى فما زالَتْ به قُطُوب الخُطُوب وحُرُوب الكُرُوب وشَرَرُ شَرّ الحَسُود وانْتِيابُ النُوَب السُود حتى صَفِرَت الرَاحَة وقَرِعَت السَاحة وغارَ المَنْبَع ونَبَا المَرْبَع وأقْوَى المَجْمَع وأقَضّ المَضْجَع واسْتَحَالَت الحال وأعْولَ العِيال وخَلَت المَرابِط ورَحِم الغابِط وأوْدَى الناطِقُ والصَامِت ورَثَى لنا الحاسِدُ والشَامِت وآلَ بِنا الدَهْرُ المُوقع والفَقْر المُدْقع إلى أن احْتَذَيْنا الوَجَى واغْتَذَيْنا الشَجَى واسْتَبْطَنّا الوِهاد واسْتَوْطَأْنا القَتاد وتَنَاسَيْنا الأقْتاد واسْتَطَبْنا الحَيْنَ المُجْتاح واسْتَبْطَأنا اليومَ المُتَاح فهل من حُرٍّ آسٍ أو أمْلِك بَيْتَ لَيلة (قال الحارث بن همام) فأوَيْتُ لمَفَاقره ولَوَيْتُ لي اسْتِنْباط فِقَره

فأبْرَزْتُ جينارا وقلت له اختِبارا ان مَدَحْتَه نَظْما فهو لَك حَتْما فانبَرى ينشد في الحال من غير انتحال

أكْـرِمْ بِـهِ أصْـفَرَ راقَـتْ صُـفْرَتُهْ　　جَـوّابَ آفـاقٍ تَرامَـتْ سَـفْرَتُه
مَـأْثُورَةٌ سُـمْعَتُه وشُـهْرَته　　قـد أُودِعَـتْ سِرَّ الغِنَـى أسِرَّتُـه
وقارَنَـتْ نُجْـحَ المَسَاعِي خَطْرَتُـه　　وحُبِّبَـتْ إلى الأنـامِ غُرَّتُـه
كانما مـن القُلـوب نُقْرَتُـه　　بـه يَـصُول مَـن حَوَتْـه صُرَّتـه
وانْ تَفانَـتْ أو تَوانَـتْ عِتْرَتُـه　　يـا حَبّـذَا نُـضارُه ونَـضْرتَهُ
وحَبّـذا مَغْناتُـه ونُـصْرتَهُ　　كـم آمـر بـه اسْـتَتَبَّتْ إمْرَتُـه
ومُـتْرَفٍ لَـوْلاهُ دامَـتْ حَـسْرَتُه　　وجَـيْشٍ هَـمٍّ هَزَمَتْـه كَرَّتُـهُ
وبَـدْر تـمّ أنْزَلَتْـه بَدْرَتُـه　　ومُسْتَـشِيطٍ تَتَلَظّـى جَمْرَتُـه
أسَرَّ نَجْـواهُ فَلَانَـتْ شِرَّتُـه　　وكـم أسِـيرٍ أسْـلَمَتْه أُسْرَتُـه
أنْقَـذَه حتـى صَـفَتْ مَـسَرَّتُه　　وحَـقٍّ مُـوْلًى أبْدَعَتْـه فِطْرَتُـه

لولا التُقَى لقلتُ جلّـت قدرتُه

ثم بَسَطَ يَدَه بعدَ ما أنْشَدَه وقال أنْجَزَ حُرٌّ ما وَعَد وسَحَّ خالٌ اذ رَعَد فَنَبَـذْتُ الدينار إليه وقلت خُذْه غيرَ مأسُوف عليه فوضَعَه في فِيه وقـال بـارِك اللـهم فيه ثم شَمّر للانْثِناء بعـد تَوْفِيـة الثَنَـاء فَنَـشَأَتْ لي مـن فُكَاهَتِـه نـشْوَةُ غَـرام سَهَّلتْ عَلَيَّ ائتنافَ اغْترام فَجَرّدْتُ دينارًا آخَر وقُلْت هـل لـك في أن تَذُمَّـه ثـم تَضُمَّه فأنشد مُرْتَجلا وشَدَا عَجِلا

تبَّالَـهُ مـن خـادِع مُـمَاذق　　اصْـفَرَ ذِي وَجْهَـيْن كالمُنَـافِق

يَبْـدُو بوَصْـفَين لِعَـين الرامِـق		زينـة مَعْـشُوق ولَـوْن عاشِـق
وحُبُّـه عنـد ذَوِي الحَقَـائق		يَـدْعُو إلى ارْتِكـاب سُـخْط الخـالق
لـولاهُ لم تُقْطَـع يَمِـينُ سـارِق		ولا بَـدَتْ مَظْلَمـةٌ مـن فاسِـق
ولا اشْـمأَزّ باخِـلٌ مـن طـارِق		ولا شَـكَا المَمْطُـولُ مَطْـلَ العـائق
ولا اسْـتُعِيذ مـن حَـسُودٍ راشِـق		وشَرُّ مـا فيـه مـن الخَلائـق
أنْ لـيس يُغْنِـي عنـكَ المَـضايِق		الّا اذا فَـرّ فِـرارَ الآبِـق
وَاهًـا لِمَـن يَقْذفُـه مـن حـالق		ومَـن اذا نَاجـاهُ نَجْـوَى الوامِـق
قـال قَـوْلَ المُحِـقّ الـصَادِق		لا رأْىَ في وَصْـلِك لِي ففـارِقِ

فقلت له ما أغْزَرَ وَبْلَكْ فقال والشَرْطُ أمْلَكْ فَنَفَحْتُه بالدينار الثاني وقلتُ له عَوِّذْهُما بالمَثَاني فألقاهُ في فَمِه وقَرَنَه بتَوْأَمِه وانْكَفَأَ يَحْمَدَ مَغْداه ويَمدَح النادِيَ ونَداه (قال الحارث بن همام) فناجاني قلبي بأنه أبو زَيد وأنّ تَعارُجه لِكَيْد فاسْتَعَدْتُه وقلتُ له قد عُرِفْتَ بِوَشْيِك فاسْتَقمْ في مَشْيِك فقال ان كنتَ ابنَ همّام فَحُيِّيتَ باكْرام وحَيِيتَ بين كِرام فقلتُ والحَوادث فقال أتَقَلّب في الحالَيْن بؤُسْ ورَخاء وأنْقَلِب مع الرِّيَحينِ زَعْزَع ورُخاء فقلتُ كيف ادَّعيْتَ القَزَل وما مِثْلُك مَن هَزَل فاسْتَسَرّ بِشْرُه الذي كان تَجَلّى ثم أنشدَ حين وَلّى

تَعارَجْـتُ لا رَغْبَـةً في العَـرَجْ		ولكـن لأقْـرَعَ بـابَ الفَـرَجْ
وأَلْقِـىَ حَـبْلِي عـلى غـارِبي		وأسْـلُكَ مَـسْلَكَ مَـن قـد مَـرَجْ
فـان لامَنـي القَـوْمُ قلـتُ اعْذُرُوا		فلـيس عـلى أعْـرَجٍ مـن حَـرَجْ

(حدّث الحارث بن همّام) قال عُنيتُ مُذْ أحكَمْت تدبيري وعَرَفْتُ قَبِيلي من دَبيري بأن أُصْغِي إلى العِظات وأُلْغِي الكَلِم المُحْفِظات لأتَحَلَّى بمحاسن الاخلاق وأتَخَلَّى مما يَسِم بالاِخلاق وما زِلْتُ آخُذُ نفسي بهذا الأدب وأُخْمِدُ به جَمْرَة الغَضَب حتى صار التَّطَبُّع فيه طِباعا والتَكَلُّف له هَوَى مُطاعا فلما حَلَلْتُ بالرَّيّ وقد حَلَلْتُ حُبَي الغَيّ وعَرَفْتُ الحَيّ من اللَّيّ رأيتُ بها ذاتَ بكْرَة زُمْرةً في إثْر زُمْرَة وهم مُنْتَشِرون انتِشار الجراد ومُسْتَنُّون اسْتِنانَ الجِياد ومُتواصِفون واعِظًا يَقْصِدونه ويُحِلُّون ابنَ سَمْعون دونه فلم يَتَكَاءَدْنِي لاسْتِماع المَوَاعظ واخْتِبار الواعظ أن أُقاسِي اللَّاغِط وأحْتَمِل الضَاغِط فأصْحَبْتُ اصْحابَ المِطْواعَة وانْخَرَطْتُ في سِلْك الجماعة حتى أفْضَيْنا إلى ناد جَمَعَ الامير والمأمور وحَشَد النَبيه والمَغْمور وفي وَسَط هالَتِه ووَسْط أهِلَّته شَيْخٌ قد تَقَوَّسَ واقْعَنْسَسَ وتَقَلَّس وتَطَلَّسَ وهو يَصْدَع بوَعْظٍ يَشْفِي الصُدور ويُلِين الصُخور فَسَمِعْتُه يقول وقد افْتَتَنَتْ به العُقول ابنَ آدمَ ما أغْراكَ بما يَغُرُّك وأضْراك بما يَضُرُّك وألهَجك بما يُطْغيك وأبْهَجَك بما يُطْرِيك تُغْنَي بما يُعَنِّيك وتُهْمِل ما يَعْنيك وتَنْزِع في قَوْس تَعَدِّيك وتَرْتَدِي الحِرْصَ الذي يُرْدِيك لا بالكَفَاف تَقْتَنِع ولا من الحَرام تَمْتَنِع ولا للْعِظات تَسْتَمِع ولا للوَعيد تَرْتَدع دَأْبُك أن تَتَقَلَّب مع الاَهْواء وتَخْبِطَ خَبْطَ العَشْواء وهَمُّكَ أن تَدْأَبَ في الاحْتِرات وتَجْمَع التُراث للوُرَّاث يُعْجبك التَكاثُرُ بما لَدَيْك ولا تَذْكُر ما بين يديك وتَسْعَى أبَدًا لِغارَيْك ولا تُبالِي أَلَكَ أمْ عليك أتَظُنّ أن سَتُتْرَك سُدى وأن

لا تُحاسَبَ غَدَا أَمْ تَحْسِب أنّ الموت يَقْبَل الرُّشا أو يُمَيِّز بين الاسَد والرَشا كَلّا والـلـه لَنْ يَدْفَعَ المَنُون مالٌ ولا بَنُون ولا يَنْفَع أهلَ القُبور سوى العَمَل المَبْرُور فَطُوبَى لِمَن سَمِع وَوَعَى وحَقَّق ما ادَّعَى ونَهَى الـنَفْسَ عـن الهَـوَى وعَلِـم أنّ الفائِز مَن ارْعَوَى وأن ليس للانـسان الا مـا سَـعَى وأنّ سَـعْيَه سـوف يُـرَى ثـم أنشد إنشادَ وَجِل بصَوْتٍ زَجِل

لَعَمْـرُكَ مـا تُغْنِـي المَغَـانِي ولا الغِنَـى ... اذا سَـكَن المُـثْرِي الـثَرَى وثَوابـه
فَجُـدْ فِي مَـرَاضِي الـلـه بالمـال راضِـيًا ... بِمـا تَقْتَنِـي مـن أجْـرِهِ وثَوابِـه
وبـادِرْ بـه صَرْفَ الزمـانِ فانـه ... بِمخْلَبِـه الاَشْـغَى يَغُـول ونابِـه
ولا تَـأْمَن الـدَهْرَ الخَـؤُنَ ومَكْـرَهُ ... فكـم خامِـل أخْنَـى عليـه ونابِـهِ
وعاصِ هَوَى النفس الـذي مـا أطاعَـهُ ... أخـو ضَـلّةٍ الا هَـوَى مـن عِقابـه
وحـافِظْ عـلى تَقْـوَى الالـه وخوْفِـه ... لِتَنْجُـوَ مـما يُتَّقَـى مـن عِقابـه
ولا تَلْـهَ عـن تَـذْكارِ ذَنْبِـك وابْكـهِ ... بدَمْع يُضاهِي المُزْنَ حـالَ مَصَابه
ومَثِّـلْ لِعَيْنَيْـكَ الحِـمامَ ووَقْعَـه ... ورَوْعَـةَ مَلْقـاهُ ومَطْعَـمَ صـابِه
وانّ قُـصارَى مَنْـزِلِ الحَـيّ حُفْـرَةٌ ... سَـيَنْزِلُها مُـسْتَنْزَلًا عـن قِبَابـه
فَوَاهًـا لِعَبْـدٍ سـاءَهُ سُـوءُ فِعْلِـهِ ... وأبْـدَى الـتَلافِي قـبلَاغْلاق بابـه

قال فَظَلّ القومُ بين عَبْرَةٍ يُذْرُونها وتَوْبةٍ يُظْهِرونها حتى كادت الـشمس تَـزُولُ والفَريضة تَعُول فلما خَـشَعَتِ الاَصْـوات والْتَـأَمَ الاِنْـصات واسْـتَكَنَّت العَـبَرات والعبارات اسْتَصْرخ مُسْتَصْرِخٌ بالامير المحـاضِر وجَعَـل يَجْـأَرُ إليـه مـن عامِلِـهِ الجـائِر والامـيرُ صـاغ إلى خَـصْمِه لاهٍ عـن كـشف ظُلْمـه فلـما يَـئِس

مـن رَوْحـه اسْـتَنْهَض الـواعِظَ لِنُـصْحه فَـنَهَض نَهْـضَة الـشِّمِير وأنـشد مُعَرِّضـا بالأمير

عَجَبًــا لِــرَاجٍ أن يَنَــال وِلَايَــةً — حتــى اذا مــا نــالَ بُغْيَتَــهُ بغــى
يُـسْدِي ويُلْحِـم في المَظَـالِم والغًـا — في وِرْدِهــا طَــوْرًا وطــورا مُولِغَــا
مـا ان يُبَـالي حـينَ يَتَّبِـع الهَـوَى — فيهــا أأَصْــلَحَ دينَــه أم أَوْتَغَــا
يـا وَيْحَـه لـو كـان يُـوقِنُ أنـه — مــا حالــةٌ الا تَحُــول لَــمَا طَغَــى
أو لـو تبَـيَّنَ مـا نَدَمَـةُ مَـن صَغَى — سَــمْعًا إلى إفْــك الوُشــاة لَــمَا صَــغَا
فانْقَدْ لِمَـن أضْحَى الزِمـامُ بكَفّـه — وتَغــاضَ إن ألْغَــى الرِّعايــة أولَغَــا
وارْعَ المُــرارَ اذا دَعــاكَ لرَعْيِــه — ورِدِ الاجُـــاج اذا حَـــماكَ الـــسَّيِّغا
واحْمِــلْ أَذاهُ اذا أَمَــضَّكَ مَــسُّهُ — وأســالَ غَــرْبَ الـدمع منـك وأفْرَغـا
فَلَيُـضْحِكَنْكَ الـدهُر منـه اذا نَبَـا — عنــه وشَــبّ لكَيْــدِه نــارَ الــوَغَى
ولَيَنْــزِلَنّ بــه الــشَمَاتُ اذا بــدا — مُتَخَلِّيــا مـــن شُـــغْلِه مُتَفَرِّغــا
ولَتَــأْوِيَنّ لـــه اذا مـــا خَـــدُّه — أَضْـحَى عـلى تُـرْب الهَـوَان مُمَرَّغـا
هـذا لـه ولَـسَوْفَ يُوْقَـفُ مَوْقِفًـا — فيـــه يُـــرَى رَبُّ الفـــصاحةَ ألثَغــا
ولَيُحْــشَرَنّ أذَلّ مــن فَقْــع الفَــلَا — ويُحاسَــبَنّ عــلى النَقيــصة والــشَغَا
ويُؤاخَذَنّ بما اجْتَنَى ومَـن اجْتَنَـى — ويُطــالَبَنّ بمــا احْتَــسَى وبمــا ارْتَغَــى
ويُنَاقَـشَنّ عـلى الـدَقائِق مِثْـلَ مـا — قــد كــان يَــصْنَع بــالوَرَى بــل أبْلَغــا
حتـى يَعَـضّ عـلى الوِلايـة كَفَّـه — ويَــوَدّ لــو لم يَبْــغ منهــا مــا بَغَــى

ثــم قــال أيهــا المُتَوَشِّــح بالوِلايــة المُتَرَشّــح للرِعايــة دَع الادْلال بــدولِتك والاغْـترارَ بـصَوْلَتِك فـان الدَوْلَـة رِيـحٌ قُلّـب والاِمْـرَةَ بَـرْقٌ خُلَّـب وانّ أسْـعَد

الرُعاة مَن سَعِدت به رَعِيّتُه وأشْقاهُم في الدَارَينِ مَن ساءَت رِعايَتُه فلا تَكُ ممن يَذَرُ الآخِرةَ ويُلْغِيها ويُحِبّ العاجِلة ويبْتَغِيها ويَظْلِم الرَعيّة ويُؤْذيها واذا تَوَلّى سَعَى في الارض لِيُفْسِدَ فيها فوالله ما يَغْفُلُ الدَّيَّان ولا تُهْمَل يا انسان ولا تُلْغَى الاساءَةُ ولا الاحْسان بَلْ سَيُوضَعُ لك الميزان وكما تَدِين تُدان قال فَوَجَمَ الوَالي لِمَا سَمِع وامْتُقِع لَوْنُه وانْتُقِع وجعل يَتَأَفّف من الاِمْره ويُرْدِف الزَفْرَةَ بالزَفْرة ثم عَمَد إلى الشاكي فَأَشْكاه وإلى المَشْكُو منه فأشْجاه وألْطَفَ الواعظَ وحَبَاه واسْتدْعى منه أن يَغْشاه فانْقَلَبَ عنه المَظْلُوم مَنصورا والظالمُ مَحْسورا وبَرَزَ الواعِظُ يَتَهادى بين رُفْقته ويَتَباهَى بفَوْز صَفْقَتِه واعْتَقَبْتُه أخْطُو مُتَقاصِرا وأُرِيْه لَمْحا باصِرا فلما اسْتَشَفَّ ما أُخْفِيه وفَطِن لَتَقلُّب طَرْفي فيه قال خَيْرُ دَليلَيْكَ مَنْ أرشَد ثم اقْتَرَبَ منى وأنشد

أَنَا الذي تَعْرِفه يا حارِثُ — حِدْثُ مُلُوكٍ فَكِهٌ مُنَافِث
أُطْرِبُ مالا تُطْرِبُ المَثالِثُ — طَوْرًا أخُو جِدٍّ وطَوْرًا عابِثُ
ما غَيّرَتْنِي بَعدَك الحَوادِثُ — ولا الْتَحَي عُودِيَ خَطْبٌ كارِثُ
ولا فَرَى حَدِّيَ نابٌ فارِثٌ — بل مِخْلَبِي بكُلّ صَيْدٍ ضابِثُ
وكُلُّ سَرْحٍ فيه ذِئْبِي عائثُ — حتّى كأنِّي للانَامِ وارِثُ

سَامُهُم وحَامُهُمْ ويافثُ

(قال الحارث بن همام) فقلت له تالله انّك لَأبُو زَيد ولقد قُمْتَ لله ولا عَمْرو بن عُبَيد فَهَش هَشَاشَة الكَرِيم اذا أمّ وقال اسْمَع يا ابنَ أُمّ ثم أنشأ يقول

عليكَ بالصِدق ولَوْ أنَّهُ ... أحْرَقَكَ الصدقُ بنارِ الوَعِيد

وابْغِ رِضَا اللـه فأغْبَى الوَرَى ... من أسْخَطَ المَوْلَى وأرْضَى العَبِيد

ثم انَّه وَدَّعَ أخْدَانَه وانطلَقَ يَسْحَبُ أرْدَانَه فَطَلَبْنَاه مِن بَعْدُ بالرّي واسْتَنْشَرْنا خَبَرَه مِن مَدَارِج الطّيّ فما فينَا مَنْ عَرَف قَرارَه ولا دَرَى أيُّ الجَرَاد عَارَه

نُخْبة من وَصيّة ابن سَعيد المغربي لأبنِه وقد أراد السَفَر

أُودِعُــكَ الــرَحْمَنَ في غُرْبَتِــك ... مُرْتَقِبًــا رُحْــمَاهُ في أوْبَتِــكْ

فـلا تُطِـلْ حَبْـلَ النَـوَى إنَّنِـي ... والـلـــه أشْـتاقُ إلى طَلْعَتِــكْ

واخْتَـصِر التوديـعَ أخـذًا فـما ... لِي نــاظرٌ يَقْــوَى عــلى فُرْقَتِــكْ

واجْعَـلْ وَصاتِي نُـصْبَ عَـيْنٍ ولا ... تَــبْرَحَ مَـدَى الايـامِ مِــن فِكْرتـك

خُلاصـةُ العُمْـرِ التـي حُنِّكَـتْ ... في ســاعةٍ زُفَّــتْ إلىَ فِطْنتـــك

فلِلتَّجارِيــــب أُمُـــورٌ اذا ... طَالَعْتَهـا تَـشْحَذَ مِــن غَفْلَتِــك

فَـلا تَـنَمْ عـن وَعْيِهـا سَـاعَةً ... فانَّهـــا عَـــوْنٌ إلَى يَقْظَتِـــك

وكــلّ مــا كابَدْتَــه في النَــوَى ... ايّــاكَ أنْ يَكْـسِر مِــن هِمَّتِــك

فلـيسَ يُـدْرَى أصْـلُ ذِي غُرْبَـةٍ ... وانَّمــا تُعْــرَف مِــن شِــيمتك

وامـشِ الهُوَيْنـا مُظْهِـرًا عِفّـةً ... وابـغ رِضـا الأعْـيُنِ عـن هَيْئَتِـك

وانِطْـقْ بحيـثُ العِـيُّ مُـسْتَقْبَحٌ ... واصُـمتْ بحيـث الخَـيْرُ في سَـكْتَتِك

وَلْـجِ عــلى رِزْقـك مِــن بابِــه ... واقْـصِدْ لـه مـا عِـشْتَ في بُكْرَتِـك

ووفِّ كُــلّا حَقَّــه ولْــتَكُنْ تكْـسِر عنـد الفَخْـر مِـن حِـدَّتك

وحَيْـثُما خَيَّمْـتَ فاقِـصدْ إلى صُـحبة مَـن تَرجـوه في نُـصْرَتك

وللرَزَايَـا وَثْبَـةٌ مـا لَهَـا الا الـذي تَـذْخَرُ مِـن عُـدَّتك

ولا تَقُـلْ أسْـلَمُ لِي وَحْـدَتي فقَـد تُقَـاسِي الـذّل في وَحْـدَتك

ولْتَجْعَـل العَقْـلَ مِحَكًّا وخُـذْ كُـلّا بمـا يَظْهـر في نَقْـدَتك

واعتـبر النـاسَ بأَلفْـاظِهم واصْحَبْ أخًا يَرْغَب في صُحْبتك

كـم مِـن صَدِيقٍ مُظْهِـرٍ نُصْحَه وفِكْـرُه وقَـفْ عـلى عَثْرَتـك

ايـاك أن تَقْرَبَـه انـه عَـوْنٌ مـع الـدهر عـلى كُرْبِتـك

وأنْـمُ نُمُـوَّ النَبْتقـد زَارَه غِـبُّ النَـدَى واسْـمُ إلى قُـدْرَتك

ولا تُـضَيِّعْ زَمَنًـا مُمْكنًـا تَـذْكارُه يُـذْكِي لَظَـى حَـسْرَتِك

والـشّرّ مَهْـمَا اسْـطَعْتَ لا تأتِـهِ فانـه حُـورٌ عـلى مُهْجَتِـك

يابُنَيّ الذي لا ناصِحَ له مِثْلِي ولا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُه قد قَدَّمْتُ لك في هذا الـنَظْم ما إن أخْطَرْتَه بخاطرك في كل أوانٍ رَجَوْت لـك حُـسْن العاقبـة ان شاء اللـه تعالى وانّ أخَفّ منه لِلحفْظ وأعْلَق بالفِكْر وأحَقّ بالتَقَدُّم قولُ الاوّل

يَـزينُ الغَريـبَ اذا مـا اغْـتَرَبْض ثَـلاثٌ فَمْـنُهنّ حُـسْن الادب

وثانيـةٌ حُـسْن أَخْلاقِـه وثالثـةٌ إجْتِنـابُ الرّيَـبْ

واصْغَ يابنيّ إلى البيـت الـذي هـو يتيمة الـدهر وسُلّم الكَرَم والـصَبْر

ولَوَ اَنّ اوطـانَ الـديارِ نَبَـتْ بِكُـمْ لَـسَكَنْتُمُ الاَخـلاق والآدابـا

اذْ حُسْن الخُلُق أكْرَم نَزيل والادبُ أرْحبُ مَنْـزل ولْـتَكُنْ كـما قـال بعـضهم في أديبٍ مُتَغَرِّب وكان كلـما طَـرَأ عـلى مَلِـكٍ فكأنـه مَعَـه وُلِـد وإليـه قَـصَد غـيرَ مُسْتَرِيب بدَهْره ولا مُنْكرٍ شيأ من أمره واذا دَعاك قَلْبُـك إلى صُـحْبَة مـن أخَـذ بمجامِع هَوَاه فاجعل التَّكَلُّف له سُلّما وهُبَّ في رَوض أخْلاقـه هُبُـوب النَـسيم وحُلّ بطَرْفه حُلولَ الوَسَن وانْزِل بقلبه نُـزولَ المَـسَرّة حتـى يَـتَمَكَّن لـك وِدَادُه ويَخْلُص فيك اعتِقادُه وطَهِّره من الوقُوع فيه لسانَك وأغْلِقْ سَمْعَك ولا تُرَخِّصْ في جانِبه لحَسُودٍ لك منه يُريد ابْعادَك عنه لمنفعةٍ أو حَسودٍ له يَغـارُ لتَجَمُّلِـهِ بصُحْبتك ومع هذا فلا تَغْتَرّ بطول صحبته ولا تَمَتَهّد بـدوام رَقْدتـه فقـد يُنَبِّهُـه الزمان ويَتَغَيّر منه القلب واللسان وانما العاقل مَـن جَعـل عَقْلـه مِعْيـارا وكـان كالمِرْآة يَلْقَى كل وجهٍ بِمثاله وفي أمثال العامّـة مـن سَـبَقَك بيَـوم فقـد سَـبَقك بعَقْل فاحْتذِ بأمثلة مَـن جَـرّب واسـتمِع إلى مـا خَلّـد الماضُـون بعـد جَهْـدهم وتَعَبهم من الاقوال فانها خُلاصة عُمْرهم وزُبْدة تَجَارِبهم ولا تَتّكِل على عَقْلـك فانّ النَظَر فـيما تَعِـب فيـه النـاسُ طُـولَ أعْمَارهـم وابْتـاعُوه غالِيًـا بتَجَـارِبِهم يُرْبِحُك ويَقَع عليك رَخيصا وان رأيتَ مَن له عقـل ومُـرُوءة وتَجْربـة فاسْـتَفِدْ منه ولا تُضَيّع قولَه ولا فِعْله فانّ فيما تَلْقاه تَلْقيحا لعقلك وحَثّا لـك واهِتـداءً وليس كل ما تَسْمع من أقوال الشُّعَراء يَحْسُ بك أن تَتّبعه حتـى تَتَـدَبّره فـان كان مُوافِقا لعقلك مُـصْلِحا لحالـك فَـراعِ ذلـك عنـدك والا فانْبِـذْه نَبْـذَ النَـواة فليس لكل أحد يُتَبَسَّم ولا كل شخص يُكَلَّم ولا الجُود مما يُعَمّ بـه ولا حُـسْن الظنّ وطيبُ النَفْس مما يُعامَل به كلُّ أحد ولله درّ القائل

وما لِيَ لا أُوفِي البَرِيّةَ قِسْطَها على قَدْر ما يُعْطِي وعَقْلِيَ ميزانُ

واياك أن تُعْطِيَ من نَفْسك الا بقَدَرٍ فلا تُعَامِل الدُّونَ بمعاملة الكُفْء ولا الكُفْءَ بمعاملة الأعْلَى ولا تُضَيِّع عُمْرَك فيمن يُعامِلك بالمطامِع ويُثيبُك على مَصْلحةٍ حاضرة عاجلة بغائبةٍ آجِلة ولا تَجْفُ الناسَ بالجملة ولكن يكونُ ذلك بحيث لا يَلْحق منه مَلَل ولا ضَجَر ولا جَفاء فمتى فارَقْتَ أحدًا فعلى حُسْنَى في القَول والفعل فانك لا تدري هل أنتَ راجعٌ إليه فلذلك قال الاول (ولما مَضَى سَلْمٌ بَكَيْتُ على سَلْمِ) واياك والبيت السائر

وكنتَ اذا حللتَ بدارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيةٍ وتركتَ عارا

واحْرِص على ما جَمَع قول القائل ثلاثةٌ تُبْقِي لك الوُدَّ في صَدر أخيك أن تَبْدَأه بالسلام وتُوَسّع له في المَجْلس وتَدْعُوه بأحبّ الأسماء إليه واحذَرْ كل ما بَيّنه لك القائل كل ما تَغْرسُه تَجْنيه الا ابن آدم فاذا غَرَسْتَه يَقْلَعُك وقول الآخر ابن آدمَ ذئب مع الضَعْف أسَدٌ مع القُوّة واياك أن تَثْبُت على صُحْبة أحَد قبل أن تُطيل اخْتباره. ويحكى أن ابن المُقَفّع خَطَب من الخَلِيل صُحْبَتَه فَجَاوَبَه ان الصُّحْبة رِقّ ولا أضَع رقّى في يديك حتى أعْرف كيفَ مَلَكَتُك واسْتَمْل من عين مَن تُعاشِره وتَفَقَّد في فَلَتَات الألسُن وصَفَحات الأوْجُه ولا يَحْمِلْك الحياء على السكوت عما يَضُرك أن لا تُبَيّنَه فانّ الكلام سلاح السِلْم وبالأنين يُعْرَف ألَمُ الجُرْح واجعل لكل أمْر أخَذْتَ فيه غايةً تَجْعَلُها نهاية لك

وخُذْ من الدهر ما أتاك به مَن قَرّ عَيْنًا بعَيْشه نَفَعَه

اذ الافكار تَجْلُب الهُموم وتُضاعف الغُموم ومُلازَمة القُطوب عُنْوان المَصائب والخُطوب يَسْتَريب به الصاحب ويَشْمَت العَدُوّ والمُجانب ولا تَضُرّ بالوَساوس الّا نَفْسَك لأنّك تَنْصُر بها الدهر عليك ولله در القائل

اذا ما كنتَ للاحزان عَوْنًا عليك مع الزمان فَمَن تَلُوم

مع انه لا يَرُدُّ عليك الغائبَ الحُزْن ولا يَرْعَوي بطُول عَتْبك الزَمَنُ ولقد شاهَدت بِغَرْناطَة شخصا قد أَلِفته الهُمُوم وعشِقَته الغموم ومن صِغره إلى كبَره لا تَرَاه أبدا خَليّا من فِكْرَة حتى لُقبّ بصَدْر الهَم ومن أعجب ما رأيتُه منه انه يَتَنَكَدَّ في الشِدّة ولا يَتَعَلَّل بأن يكونَ بَعْدَها فَرَج ويَتَنَكّد في الرَّخاء خَوفا من أن لا يَدُوم ويُنْشد

*تَوَقّع زَوَالًا اذا قيلَ تَمّ*وينشد*وعند التَنَاهي يَقْصُر المُتَطاول*

وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ومثل هذا عُمْرُه مَخْسور يَمُرّ ضَيَاعا ومتى رَفَعك الزمانُ إلى قوم يَذُمّون من العلْم ما تُحْسنهُ حَسَدًا لك وقَصْدًا لتَصْغير قَدْرك عندك وتَزْهيدا لك فيه فلا يَحمِلْك ذلك على أن تَزْهَد في علْمك وتَرْكَن إلى العلْم الذي مَدَحُوه فتكونَ مِثْل الغُراب الذي أعْجَبَه مَشْيُ الحَجَلة فَرَامَ أن يَتَعَلّمَه فَصَعُبَ عليه ثم أراد أن يرجع إلى مَشْيه فَنَسِيَه فَبَقَى مُخَبَّل المَشْي كما قيل

انّ الغُراب وكان يَمْشي مِشْيَةً فيما مَضَى من سالف الاجْيال
حَسَدَ القَطا وأرادَ يمشي مَشْيَها فاصابَه ضَرْبٌ من العُقَّال

فاضَلَّ مِشْيَتَه وأخْطَأ مَشْيَها فلذاك كَنَّوْه أبَا مِرْقال

ولا يُفْسِدْ خاطِرَك مَن جعل يَذُمُّ الزمان وأهْلَه ويقول ما بَقَى في النيا كريم ولا فاضل ولا مكان يُرتاح فيه فان الذين تَرَاهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممن صَحِبَه الحِرْمان واسْتَحَقَّتْ طَلْعَتُه للهَوان وأبْرَموا على الناس بالسؤال فَمَقَتُوهم وعَجَزوا عن طَلَب الامور من وُجُوهها فاسْتَرَاحُوا إلى الوُقُوع في الناس وأقاموا الاَعْذَار لأنْفُسهم بقَطْع أسْبابهم ولا تُزِل هذين البيتين من فكْرك

لِنْ اذا ما نلْتَ عزًّا فأخُو العزّ يَلِينُ

فاذا نابَكَ دَهْرٌ فكما كنتَ تكونُ

والامثال تُضْرب لِذِي اللُّبّ الحكيم وذُو البَصَر يَمْشي على الصراط المستقيم والفَطن يَقْنَع بالقَليل ويَسْتَدلّ باليَسير والله سبحانه خليفتي عليك لا رَبَّ سواهُ

الجامع الازهر

هذا الجامع أول مسجد أسِّس بالقاهرة والذي أنشأه القائد جوهر الكاتب الصَقَلّي مَولى الامام أبي تميم مَعَدّ الخليفة أمير المؤمنين المُعزّ لدين الله لمّا اخْتَطّ القاهرة وشُرِعَ في بناء هذا الجامع في يوم السبت

لِستّ بَقين من جُمَادي الاولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وكَمُل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة احدى وستين وثلاثمائة وجُمّع فيه وكُتب بدائر القّبة التي في الرّواق الاول وهى على يَمْنة المحراب والمنبر ما نصه بعد البسملة مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الاكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي وذلك في سنة ستين وثلاثمائة وأول جمعة جُمّعت فيه في شهر رمضان لسبع خلون منه سنة احدى وستين وثلاثمائة ثم ان العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز لدين الله جَدّد فيه أشياء وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة سَألَ الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كِلْس الخليفة العزيز بالله في صِلَة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم ما يكفي كل واحد منهم من الرزق الناضّ وأمر لهم بشراء دار وبنائها فبُنيَت بجانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع وتَحَلّقُوا فيه بعد الصلاة إلى أن تُصَلَّى العصر وكان لهم أيضا من مال الوزير صِلَة في كل سنة وكانت عِدَّتُهم خمسة وثلاثين رجلا وخَلَعَ عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحَمَلهم على بَغلات ويقال ان بهذا الجامع طلسما فلا يَسْكُنه عُصْفور ولا يُفْرِخ به وكذا سائر الطيور من الحَمَام واليَمام وغيره وهو صورة ثلاث طيور منقوشة كل صورة على رأس عمود فمنها صورتان في مقدم الجامع بالرواق الخامس منها صورة في الجهة الغربية في العمود وصورة في أحد العمودين اللذين على يسار من اسْتَقْبَلَ سدّة المُؤَذّنين والصورة الاخرى في الصحن في الاعمدة القبلية مما يلي الشرقية ثم ان الحاكم بأمر الله جَدّده ووقف على الجامع الازهر وجامع المقس

والجامع الحاكمي ودار العلم بالقاهرة رِباعًا بمصر ثم ان المستنصر جدد هذا الجامع أيضا وجدده الحافظ لدين الله وانشأ فيه مقصورة لطيفة تُجَاوِر البابَ الغربي الذي في مقدم الجامع بداخل الرواقات عُرِفت بمقصورة فاطمة من أجل ان فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها رؤيت بها في المنام ثم انه جُدّد في ايام الملك الظاهر بيبرس البندقداري قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في كتاب سيرة الملك الظاهر لما كان يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الاول سنة خمس وستين وستمائة أقيمت الجمعة بالجامع الازهر بالقاهرة وسبب ذلك ان الامير عز الدين أيدمر الحلى كان جار هذا الجامع من مّدة سنين فرعي وفقه الله حرمة الجار ورأى أن يكون كما هو جارُه في دار الدنيا انه غدا يكون ثوابُه جارَه في تلك الدار ورسم بالنظر في أمره وانتزع له أشياء مغصوبة كان شئ منها في أيدي جماعة وحاط أموره حتى جمع له شيأ صالحا وجرى الحديث في ذلك فتبرع الامير عز الدين له بجملة مستكثرة من المال الجزيل وأطلق له من السلطان جملة من المال وشرع في عمارته فَعَمّر الواهي من أركانه وجدرانه وبَيّضه وأصلح سقوفه وبلّطه وفرشه وكساه حتى عاد حَرَما في وسط المدينة واستجدّ به مقصورة حسنة وأثر فيه آثارا صالحة يثيبه الله عليها وعمل الامير بيلبك الخازندار فيه مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الامام الشافعي رحمه الله ورتب في هذه المقصورة محدِّثا يُسْمع الحديث النبوي والرقائق ووقف على ذلك الاوقاف الدائرة ورتّب به سبعة لقراءة القرآن الكريم ورتّب به مدرّسا أثابه الله على ذلك ولما تكمل تجديده تحدث في اقامة جمعة فيه فنودى في

المدينة بذلك واستخدم له الفقيه زين الدين خطيبا وأقيمـت الجمعـة فيـه في اليوم المذكور وحضر الأتابك فارس الدين والصاحب بهاء الدين عـلى بـن حنـا وولده الصاحب فخر الدين محمد وجماعة من الامراء والكبراء وأصناف العالم على اختلافهم وكان يوم جمعة مشهودا ولما فرغ من الجمعة جلس الامير عـز الدين ودخل إلى داره ودخل معه الامراء فقدم لهـم كـل مـا تـشتهي الانفـس وتلذ الاعين وانفصلوا وكان قد جرى الحديث في أمر جواز الجمعـة في الجـامع وما ورد فيه من أقاويل العلماء وكُتبَ فيهـا فُتْيـا أُخـذ فيهـا خطـوط العلـماء بجواز الجمعة في هذا الجامع واقامتها فكتب جماعة خطوطهم فيها وأقيمـت صلاة الجمعة به واستمرت ووجد الناس به رفقـا وراحـة لقربـه مـن الحـارات البعيدة من الجامع الحاكمي قال وكان سقف هذا الجامع قد بنى قصيرا فزيد فيه بعد ذلك وعلا ذراعا واستمرت الخطبة فيه حتـى بنـى الحـامكي فانتقلـت الخطبة إليه فان الخليفة كان يخطب فيه خطبة وفي الجامع الازهر خطبة وفي جامع ابن طُوْلُوْن وفي جامع مصر خطبة وانقطعت الخطبة من الجامع الازهر لما استبدّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة فانه قلـد وظيفتـه القضاء لقاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه وهــو امتنــاع اقامــة الخطبتــين للجمعــة في بلــد واحــد كــما هــو مــذهب الامام الشافعي فأبطـل الخطبـة مـن الجـامع الازهـر وأقـر الخطبـة بالجـامع الحاكمي من أجل انه أوسع فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الجمعـة فيه مائة عام من حين استولى السلطان صلاح الدين يوسـف بـن أيـوب إلى ان أعيدت الخطبة في أيام الملك الظـاهر بيـبرس كـما تقـدم ذكـره ثـم لمـا كانـت

الزلزلة بديار مصر في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعمائة سقط الجامع الازهر والجامع الحاكمي وجامع مصر وغيره فتقاسم امراء الدولة عمارة الجامع الحاكمي وتولى الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكمي وتولى الامير سلار عمارة الجامع الازهر وتولى الامير سيف الدين بكتمر الجوكندار عمارة جامع الصالح فجددوا مبانيها وأعادوا ما تهدم منها ثم جددت عمارة الجامع الازهر على يد القاضي نجم الدين محمد بن حسين بن على الاِسْعَرْدِي محتسب القاهرة في خمس وعشرين وسبعمائة ثم جددت عمارته في سنة احدى وستين وسبعمائة عندما سكن الامير الطواشي سعد الدين بشير الجامدار الناصري في دار الامير فخر الدين أبان الزاهدي الصالحي النجمي بخُطّ الابارين بجوار بجوار الجامع الازهر بعد ما هدمها وعمرها وهى التي تعرف هناك إلى اليوم بدار بشيرا الجامدار فأحَبّ لقُرْبه من الجامع أن يُؤَثَر فيه أثَر صالحا فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في عمارة الجامع وكان أثيرا عنده مُخصًّا به فأذِن له في ذلك وكان قد استجد بالجامع عدّة مَقاصير ووُضعَتْ فيه صناديق وخزائن حتى ضيّقته فأخرج الخزائن والصناديق ونَزَع تلك المقاصير وتَتَبَّع جُدْارنه وسقوفه بالاصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبَيّض الجامع كله وبلّطه ومنع الناس من المرور فيه ورتب فيه مصحفا وجعل له قارئا وأنشأ على باب الجامع القبلي حانوتا لتسبيل الماء العذب في كل يوم وعمل فوقه مَكْتَبَ سبيل لاقراء المسلمين كتابَ الله العزيز ورتب للفقراء المجاورين طعاما يُطْبخ كل يوم وأنزل إليه قدورا من نحاس جعلها فيه ورتب فيه درسا للفقهاء من الحنفية يجلس مُدَرِّسهم

لالقاء الفقه في المحراب الكبير ووقف على ذلك أوقافا جليلة باقية إلى يومنا هذا ومؤذنو الجامع يدعون في كل جمعة وبعد كل صلاة للسلطان حسن إلى هذا الوقت وفي سنة أربع وثمانين وسبعمائة وُلّي الامير الطواشي بَهادرُ المقدّم على المماليك السلطانية نَظَرَ الجامع الازهر فتنجَّزَ مرسومَ السلطان الملك الظاهر برقوق بأنّ من مات من مجاوري الجامع الازهر عن غير وارث شرعي وترك موجودا فانه يأخُذُه المجاورون بالجامع ونقش ذلك على حجر عند الباب الكبير البحري وفي سنة ثمانمائة هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة وعُمِّرت أطول منها فبلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم نَقْرة كملت في ربيع الآخر من السنة المذكورة فَعُلّقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأُوقدت حتى اشتغل الضوء من أعلاها إلى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع وتَلَوْا ختمة شريفة ودَعَوا للسلطان فلم تزل هذه المِئْذَنة إلى شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة فهُدِمت لمَيْلٍ ظَهَرَ فيها وعُمِل بَدَلها منارة من حجر على باب الجامع البحري بعد ما هدم الباب وأعيد بناؤه بالحجر وركبت المنارة فوق عقدة وأُخِذ الحجر لها من مدرسة الملك الاشراف خليل التي كانت تجاه قلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وقام بعمارة ذلك المير تاج الدين الشَوْبَكِيّ وإلى القاهرة ومحتسبها إلى أن تمت في جمادي الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة فلم تقم غير قليل ومالت حتى كادت تسقط فهدمت في صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت وفي شوّال منها ابتدئ بعمل الصهريج الذي في وسط الجامع فوجد هناك آثار فسيقة ماء ووجد أيضا رمم أموات وتم بناؤه في ربيع الاول وعمل بأعلاه مكان

مرتفع له قبة يُسَبَّل فيه الماء وغُرس بصحن الجامع أربع شجرات فلم تفلح وماتت ولم يكن لهذا الجامع ميضأة عند ما بنى ثم عملت ميضأته حيث المدرسة الاقبغاوية هناك وأما هذه الميضأة التي بالجامع الآن فان الامير بدر الدين جنكل بن البابا بناها ثم زيد فيها بعد سنة عشر وثمانمائة ميضأة المدرسة الاقبغاوية وفى سنة ثمان عشرة وثمانمائة ولي نظر هذا الجامع الامير سودوب القاضي حاجب الحجاب فجرت في أيام نظره حوادث لم يتفق مثلها وذلك انه لم يزل في هذا الجامع منذ بنى عدة من الفقراء يلازمون الاقامة فيه وبلغت عدتهم في هذه الايام سبعمائة وخمسين رجلا ما بين عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتَلْقينه والاشتغال بأنواع العلوم الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحِلَق الذِكْر فيَجِد الانسان اذا دخل هذا المجتمع من الانس بالله والارتياح وترويح النفس ما لا يجده في غيره وصار أرباب الاموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفُلُوس اعانَةً للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكلّ قليل تُحْمَل إليهم أنواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيما في المواسم فأمر في جمادي الاولى من هذه السنة باخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الاقامة فيه واخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن وكراسي المصاحف زعما منه ان هذا العمل مما يثاب عليه وما كان الا من أعظم الذنوب وأكثرها ضررا فانه حل بالفقراء بلاء كبير من تشتت شملهم وتعذر الاماكن عليهم فساروا في القرى وتبذلوا بعد الصيانة وفقد من الجامع أكثر ما كان فيه من تلاوة

القرآن ودراسة العلم وذكر اللـه ثم لم يرضه ذلك حتى زاد في التعـدي وأشـاع أن أناسا يبيتون بالجامع ويفعلون فيه منكرات وكانت العادة قد جرت بمبيت كثير من الناس في الجامع ما بين تاجر وفقيه وجندي وغيرهم منهم من يقصد بمبيته البركة ومنهم من لا يجد مكانا يُؤْويه ومنهم من يَسْتَرْوح بمبيتـه هنـاك خصوصا في ليالي الصيف وليالي شهر رمضان فانه يمتلـئ صحنه وأكـثر رواقاتـه فلما كانت ليلة الاحد الحادي عشر من جمادي الآخرة طرق الامير سـودوب الجامع بعد العشاء الآخـرة والوقـت صيف وقـبض عـلى جماعـة وضربهـم في الجامع وكان قد جاء معه من الأعـوان والغلـمان وغوغـاء العامّـة ومـن يريـد النهب جماعة فَحَل بمن كان في الجامع أنواع البلاء ووقع فيهم النهب فأُخِذَت فُرُشهم وعمائمهم وفُتِّشَت أوساطهم وسُلِبوا ما كان مربوطا عليها مـن ذهـب وفضة وعَمل ثوبا أسودَ للمنبر وعَلَمَين مُرَوَّقَين بلغت النفقة على ذلك خمـسة عشر ألف درهم على ما بلغنـي فعاجـل اللــه الامير سـودوب وقـبض عليـه السلطان في شهر رمضان وسجنه بدمشق

ذكر جامع دِمَشق المعروف بجامع بني أُمَيّة

وهـو اعظـم مـساجد الـدنيا احتفـالا وأتقنهـا صـناعة وأبـدعها حـسنا وبهجـة وكمالا ولا يُعْلم له نظير ولا يوجَد لـه شـبيه وكـان الـذي تـولى بنـاءه واتقانـه أمـير المـؤمنين الوليـد بـن عبـد الملـك بـن مـروان ووجَّـه إلى ملـك الـروم

بقسطنطينية يأمره أن يبعث له الصُّنَّاع فبعث إليه اثنى عشر ألف صانع وكان موضع المسجد كنيسة فلما افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليد رضى الله عنه من احدى جهاتها بالسيف فانتهى إلى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه من الجهة الغربية صلحا فانتهى إلى نصف الكنيسة فصنع المسلمون من نصف الكنيسة الذي دخلوه عنوة مسجدا وبقى النصف الذي صالحوا عليه كنيسة فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة في المسجد طلب من الروم أن يبيعوا منه كنيستهم تلك بما شاؤا من عوض فأبوا عليه فانتزعها من أيديهم وكانوا يزعمون أن الذي يهدمها يُجَنّ فذكروا ذلك للوليد فقال أنا أول من يُجَنّ في سبيل الله وأخذ الفأسَ وجعل يَهْدِم بنفسه فلما رأى المسلمون ذلك تتابعوا على الهدم وأكذب الله زَعْمَ الروم وزُيِّن هذا المسجد بفصوص الذهب المعروفة بالفُسَيْفِساء تخالطها أنواع الأصبغة الغريبة الحُسْن وذَرْعُ المسجد في الطول من الشرق إلى الغرب مائتا خطوة وهى ثلاثمائة دراع وعرضه من القبلة إلى الجوف مائة وخمس وثلاثون خطوة وهى مائتا ذراع وعدد شمسات الزجاج الملونة التي فيه أربع وسبعون وبلاطاته ثلاثة مستطيلة من شرق إلى غرب سعة كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة وقد قامت على أربع وخمسين سارية وثماني أرجل جِصّية تتخللها وست أرجل مُزَخّمة مُرَصّعة بالرُّخام الملون قد صُوّر فيها أشكال محاريب وسواها وهى تُقِلّ قُبَّةَ الرَّصاص التي أمام المحراب المسماة بقبة النَسْر كأنهم شَبَّهوا المسجدَ بنَسْر طائر والقبة رأسه وهى من أعجب مباني الدنيا ومن أي جهة استقبلت المدينة بدت لك قبة النسر ذاهبة في الهواء منفية على جميع مباني

البلد وتستدير بالصحن بلاطات ثلاثة من جهاته الشرقية والجوفية سعة كل بلاط منها عشر خطاو بها من السواري ثلاث وثلاثون ومن الارجل أربع عشرة وسعة الصحن مائة ذراع وهو من أجمل المناظر وأتمها حُسْنا وبها يجتمع أهل المدينة بالعشايا فمن قارئ ومُحَدّث وذاهب ويكون انصرافهم بعد العشاء الأخيرة واذا لقَى أحد كبرائهم من الفقهاء وسواهم صاحبا له أسرع كل منهما نحو صاحبه وحط رأسه وفي هذا الصحن ثلاث من القباب احداها في غربيه وهى أكبرها وتسمى قبة عائشة أم المؤمنين وهى قائمة على ثمان سَوار من الرخام مزخرفة بالفصوص والاصبغة الملونة مسقفة بالرصاص يقال ان مال الجامع كان يخزن بها وذكر لي أن فوائد مستغلات الجامع ومجابيه نحو خمسة وعشرين ألف دينار ذهبا في كل سنة والقبة الثانية من شرق الصحن على هيئة الأخرى الا أنها أصغر منها قاعة على ثمان من سواري الرخام وتسمى قبة زين العابدين والقبة في وسط الصحن وهى صغيرة مثمنة من رخام عجيب محكم الالصاق قائمة على أربع سوار من الرخام الناصع وتحتها شُبّاك حديد في وسطه أنبوب نحاس يَمُجّ الماء إلى عُلْو فيرتفع ثم ينثني كأنه قضيب لَجُين وهم يُسَمُّونه قَفَص الماء ويستحسن الناس وضع أفواههم فيه للشرب وفي الجانب الشرقي من الصحن باب يُفْضي إلى المسجد بديع الوضع يسمى مشهد علي بن أبي طالب رضى الله عنه ويقابله من الجهة الغربية حيث يلتقي البلاطان الغربي والجوفي موضع يقال ان عائشة رضى الله عنها سمعت الحديث هناك وفي قبلة المسجد المقصورة العظمى التي يؤم فيها امام الشافعية وفي الركن الشرقي منها ازاء المحراب خزانة كبيرة فيها

المصحف الكريم الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى الشام وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على لَثْم ذلك المصحف الكريم وهنالك يُحَلِّف الناسُ غُرَماءَهم ومَن ادّعَوْا عليه شيئا وعَن يسار المقصورة محراب الصحابة ويذكُر أهل التاريخ انه اوّل محراب وضع في الاسلام وفيه يؤم امامهم ولهذا المسجد ثلاث صوامع احداها بشرقيّة وهى من بناء الروم وبابها داخل المسجد وبأسفلها مَطْهَرة وبيوت للوضوء يَغْتَسل فيها المعتكفون والملتزمون للمسجد ويتوضؤن والصومعة الثانية بغربيه وهى ايضا من بناء الروم والصومعة الثالثة بشاله وهى من بناء المسلمين وعدد المؤذنين به سبعون مؤذنا وفي شرق المسجد مقصورة كبيرة فيها صهريج ماء وهى لطائفة الزيالعة السودان وفي وسط المسجد قبر زكريا عليه السلام وعليه تابوت معترضين بين اسطوانتين مَكْسُوّ بثوب حرير أسود مُعْلَم فيه مكتوب بالأبيض (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) وهذا المسجد شهير الفضل وقرأت في فضائل دمشق عن سفيان الثَوْري انّ الصلاة في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة وفي الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يُعْبَد الله فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة ويقال ان الجدار القبلي منه وضعه نبي الله فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة ويقال ان الجدار القبلي منه وضعه نبي الله هود عليه السلام وأن قبره به وقد رأيت على مقربة من مدينة ظَفارِ اليمن بموضع يقال له الاَحْقاف بَنِيّة فيها قبر مكتوب عليه هذا قبر هود بن عامر صلى الله عليه وسلم ومن فضائل هذا المسجد أنه لا يخلو عن قراءة القرآن والصلاة الا قليلا من الزمان والناس يجتمعون به

كل يوم إثر صلاة الصبح فيقرؤن سُبعا من القرآن ويجتمعون بعد صلاة العصر لقراءة تسمى الكوثرية يقرؤن فيها من سورة الكوثر إلى آخر القرآن وللمجتمعين على هذه القراءة مرتبات تجري لهم وهم نحو ستمائة انسان ويدور عليهم كاتب الغيبة فمن غاب منهم قطع له عند دفع المرتب بقدر غيبته وفي هذا المسجد جماعة كبيرة من المجاورين لا يخرجون منه مُقْبلون على الصلاة والقراءة والذّكْر لا يفْتُرون عن ذلك ويتوضؤن من المَطَاهر التي بداخل الصومعة الشرقية التي ذكرناها وأهل البلد يُعينوهم بالمطاعم والملابس من غير أن يسألوهم شيأ من ذلك وفي هذا المسجد أربعة أبواب بابٌ قبلي يعرف بباب الزيادة وبأعلاه قطعة من الرُمْح الذي كانت فيه راية خالد بن الوليد رضى الله عنه ولهذا الباب دهليز كبير متسع فيه حوانيت السقاطين وغيرهم ومنه يُذْهب إلى دار الخيل وعن يسار الخارج منه سماط الصقارين وهى سوق عظيمة ممتدة مع جدار المسجد القبلي من أحسن أسواق دمشق وبموضع هذه السوق كانت دار معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ودور قومه وكانت تسمى الخضراء فهدمها بنو العباس رضى الله عنهم وصار مكانها سوقا وبابٌ شَرْقِيّ وهو أعظم ابواب المسجد ويسمى بباب جَيْرون وله دهليز عظيم يُخْرَج منه إلى بلاط عظيم طويل أمامه خمسة أبواب لها ستة أعمدة طوال وفي جهة اليسار منه مشهد عظيم كان فيه رأس الحسين رضى الله عنه وبازائه مسجد صغير ينسب إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وبه ماءٌ جارٍ وقد انتظمت أمام البلاط دَرَج يُنْحَدَر فيها إلى الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل بباب عظيم الارتفاع تحته أعمدة كالجذوع طوال

وبجانبي هذا الدهليز أعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها دكاكين البَزّازين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة فيها حوانيت الجوهريين والكُتْبيين وصُنّاع أواني الزجاج العجيبة وفي الرَحَبة المتصلة بالباب الأول دكاكين لكبار الشهود منها دكانان للشافعية وسائرها لاصحاب المذاهب يكون في الدكان منها الخمسة والستة من العدول والعاقد للانكحة من قبل القاضي وسائر الشهود مفترقون في المدينة وبمقربة من هذه الدكاكين سوق الورّاقين الذين يبيعون الكاغِد والاقلام والمداد وفي وسط الدهليز المذكور حوض من الرخام كبير مستدير عليه قبة لا سَقْف لها تُقِلُّها أعمدة رخام وفي وسط الحوض أنْبوب نحاس يُزعِج الماء بقوة فيرتفع في الهواء أزيد من قامة الانسان يسمونه الفَوّارة مَنْظَرُه عجيب ويمين الخارج من باب جَيْرون وهو باب الساعات غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقان صغار مُفَتَّحة لها أبواب على عدد ساعات النهار والابواب مصبوغ باطنها بالخضرة وظاهرها بالصفرة فاذا ذهبت ساعة من النهار انقلب الباطن الاخضر ظاهرا والظاهر الاصفر باطنا ويقال ان بداخل الغرفة من يتولى قلبها بيده عند مضي الساعات والباب الغربي يعرف بباب البريد وعن يمين الخارج منه مدرسة للشافعية وله دهليز فيه حوانيت للشماعين وسماط لبيع الفواكه وبأعلاه باب يصعد إليه في دَرَج له أعمدة سامية في الهواء وتحت الدرج سِقَايَتَان عن يمين وشمال مستديرتان والباب الجوفي يعرف بباب النطفانيين وله دهليز عظيم وعن يمين الخارج منه خانقاه تعرف بالشميعانية في وسطها صهريج ماء ولها مطاهر يجري فيها الماء ويقال انها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضى الله

عنه وعلى كل باب من أبواب المسجد الأربعة دار وضوء يكرن فيها نحو مائة بيت تجري فيها المياه الكثيرة (لابن بطوطة) .

لابي البقا صالح بن شريف الرَنْدي يرثي الاندلس

لكل شيءٍ اذا ما تَمَ نُقْصانُ — فلا يُغَرّ بطِيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتَها دُوَل — مَن سَرّه زَمَنٌ ساءَتْه أزمان
وهذه الدار لا تُبْقِي على أحد — ولا يدوم على حالٍ لها شان
يُمَزِّق الدهرُ حَتْما كلَّ سابغةٍ — اذ نَبَتْ مَشْرِفيّات وخُرْصَانُ
ويَنْتَضِي كلَّ سَيفٍ للفتاء ولو — كان ابنَ ذِي يَزَنٍ والغِمْدَغُمْدانُ
أين الملوك ذَوُو التيجان من يَمَنِ — وأين منهم أكاليلٌ وتيجان
وأين ما شاده شدّاد في إرَمٍ — وأين ما ساسه في الفُرْس سَاسَان
وأين ما حازه قارُونُ من ذَهَب — وأين عادٌ وشدَّاد وقَحْطَان
أتَى على الكُلّ أمْرٌ لا مَرَدَّ له — حتى قَضَوْا فكَأَنّ القومَ ما كانوا
وصار ما كان من مُلْكٍ ومن مَلِكٍ — كما حَكَى عن خَيال الطَيْف وَسْنَانُ
دَارَ الزمانُ على دَارَا وقاتله — وأمّ كِسْرَى فما آواه إيْوَان
كأنما الصَعْب لم يَسْهُل له سَبَبٌ — يوما ولا مَلَك الدنيا سُليمَان
فجائِعُ الدهر أنواعٌ مُنَوَّعة — وللزمان مَسَرَّاتٌ وأحْزان
وللحوادث سُلْوانٌ يُسَهِّلها — وما لِما حَلّ بالاسلام سُلْوان
دَهَى الجزيرةَ أمْرٌ لا عَزَاءَ له — هَوَى له أُحُدٌ وانْهَدّ ثَهْلان

أصابَها العَين في الاسلام فأْتَزَأتْ   حتى خَلَتْ منه أقطار وبُلْدان
فاسْألْ بَلَنْسِيَةً ما شَأْنُ مُرْسِيَةٍ   وأين شاطِبةٌ أمْ أين جَيَّان
وأين قُرْطُبةٌ دارُ العلوم فكم   من عالمٍ قد سما فيها له شان
وأين حِمْصٌ وما تحويه من نُزَه   ونَهْرُهاً العَذْب فَيّاض ومَلآن
قَوَاعِدٌ كُنّ أركانَ البلاد فما   عَسَى البَقاءُ اذا لم تَبْقَ أركان
تَبْكِي الحنيفيّة البيضاءُ من أسَفٍ   كما بكى لِفِراق الإلْف هَيْمان
على ديار من الاسلام خالية   قد أقْفَرَت ولها بالكفر عُمْران
حيث المساجدُ قد صارت كنائسَ ما   فيهنّ الّا نَوَاقيسٌ وصُلْبَان
حتى المَحَارِيب تبكي وهي جامِدة   حتى المَنَابِر ترثِي وهي عِيْدان
يا غافلا وله في الدهر موعظة   ان كنت في سِنَةٍ فالدهرُ يَقْظان
وماشِيًا مَرِحًا يُلْهِيه موطِنُه   أبَعْدَ حِمْصٍ تَغُرُّ المرءَ أوطان
تلك المصيبة أنْسَتْ ما تَقَدَّمَها   وما لها مع طُول الدهر نِسيان
يا راكبينَ عِتاقَ الخيل ضامِرةً   كأنّها في مَجال السَبْق عِقْبان
وحاملين سيوفَ الهند مُرْهَفَةً   كأنها في ظلام النَقْع نيران
ورَاتِعين وَرَاء البَحْر في دَعَةٍ   لهم بأوطانِهم عزٌّ وسلطان
أعِنْدكم نَبَأ من أهل أنْدَلُسٍ   فقد سَرَى بحديث القوم رُكْبان
كم يَسْتَغيث بِنَا المُسْتَضْعَفُون وهم   قَتْلَى وأسْرَى فما يَهْتَزّ انسان
ماذا التَقاطُع في الاسلام بَيْنَكُمُ   وأنتُمُ يا عبادَ الله اخوان
ألَا نُفُوسٌ أبِيّات لها هِمَمٌ   أمَا على الخير أنْصار وأعْوان
يا مَن لِذِلّة قوم بعد عِزّهِم   أحَالَ حالَهُم جَوْرٌ وطُغْيان
بالأَمْس كانوا مُلوكا في مَنازلهم   واليومَ هُمْ في بلاد الكُفْر عُبْدان
فلو تراهم حَيارَى لا دَليلَ لهم   عليهمُ في ثِياب الذُّلّ ألوان

ولـو رأيـت بُكـاهم عنـد بَـيْعِهِمُ لَهالَـك الأمْـرُ واسْـتَهْوَتْك أحـزان

يـا رُبّ أُمّ وطِفْـل حِيـلَ بَيْـنَهُما كـما تُفَـرَّق أرْواحٌ وأبْـدَان

وطَفْلةٍ مِثْل حُسْن الشَمْس اذ لَعَتْ كانَّما هـى يـاقوتٌ ومَرجـان

يَقُودُها العِلْج للمكْرُوه مَكْرَهَةً والعـين باكيـةٌ والقلـب حَـيْران

لِمثْل هذا يَـذُوب القلـب مـن كَمَـدٍ ان كـان في القلـب اسـلام وايمـان

كان الخليفة عبد الرحمن الناصر كَلِفًا بعمارة الأندلس وإقامة مَعالِمها وتخليد الآثار الدالة على قُوّة المُلْك وعِزّة السلطان فأفْضَى بـه الاغِـراق في ذلـك إلى أن ابْتَنَى مدينة الزهراء البنـاء الـشائع ذكـره المنتـشر صـيته واسـتفرغ جهـده في تنميقها واتقان قصورها وزخرفة مَصانعها فاستدعى عُرَفـاء المهندسـين وحـشد بُرعَاء البنائين من كل قُطْر فوفَدوا عليه حتـى مـن بَغْـداد والقُـسْطَنْطينية ثـم أخذ في بناء المُسْتَنْزَهات وانـشاء مدينـة الزهـراء الموصـوفة بالقـصور البـاهرة وأقامَها بطرق البلد على ضَفّة نهر قُرْطُبة ونَسّق فيها كل اقتدار مُعْجـز ونظـام وكان قَصْر الخليفة متناهيا في الجلالة والفخامة أطبقَ النـاس عـلى أنـه لم يـبن مِثْلُه في الاسلام البَتّـة ومـا دَخَـل إليـه أحَـدٌ مـن سـائر الـبلاد النائيـة والنِحَـل المختلفة الّا وكُلُّهم قطَعَ أنه لم يَرَ له شبيها بل يَـسْمَع بـه بـل لم يَتَـوَهّم كَـوْنَ مِثْله ولو لم يكن فيه الا السطح المُمَرَّد المُشْرِف عـلى الروضـة المبـاهى بمجلـس الذهب والقبة وعجيب ما تضمنه من اتقان الـصنعة وفخامـة الهمـة وحـسن المستشرف وبراعة المَلْبَس والحِلْيَة ما بين مَرْمَرٍ مَسْنُون وذَهَـب مَـصُون وعَمَـدَ كأنما أُفْرغَتْ في القَوالِب وتَمَاثيل لا تُهْدَى الأوهامُ إلى سـبيل استقـصاء التعبـير عنها (لكفى مثلا) وكنتَ تَـرَى في مقـصورة الخليفـة بِرْكَـةً يجـري المـاء فيهـا بصنعة محكمة وفي وسطها يَعُوم أسَد عظيم الـصُّورة بـديع شـديد الروعـة لم يشاهد أبْهَى منه فيما صَوّر الملوك في غابر الدهر مَطْلِيّ بذَهب ابْريـز وعَيْنـاه جَوْهَرَتـان لهـما وَ بِـيضٌ شـديد فَـيَمُجّ المـاءَ في تلـك البركـة مـن فيـه فَيَبْهَـر

المَناظِر بحسنه ورَوْعة مَنْظَره وثجَّاج صَبّه فَتُسْقَى من مُجاجه جنَان هذا القصر على سَعَتِها ويَسْتَفيض على ساحاته وجَنَبَاته وهذه البِرْكة ومِثْالها من أعظم آثار الملوك في غالب الدهر لفخامة بنيانها وما يخص سائر البِنايات فكان الناصِر قد جَلَب إليها الرُخامَ الأبيض المُجَزّع من رَيَّةَ والأبيضَ من غيرها والوَرْدِيّ والاخضر من إفْريقية وبَنَى في القصر المَجْلِس وجعل في وسطه اليَتيمة التي أتحفَ الناصرَ بها اليون ملك قسطنطينية وكانت قَرَامد هذا القصر من الذهب والفِضّة وهذا المجلس في وسطه صِهْريج عظيم مملوء بالزئبق وكان في كل جانبٍ من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حَنايا من العاج والأَبْنُوس المُرَصّع بالذهب وأصناف الجواهر قامت على سَوَارٍ من الرُخام المُلَوّن والبِلَّوْر الصافي وكانت الشمس تدخل على تلك الابواب فيضرب شُعاعها في صدر المجلس وحيطانة فيصير من ذاك نورٌ يأخذ بالابصار وكان بناءُ الزَهْراء في غاية الاتقان والحسن وبها من المرمر والعَمَد كثير وأجرى فيها المياهَ وأحْدَق بها البساتين وقد أتقنه إلى الغاية وأنفق عليه أموالا طائلة ووضع في وسط البحيرة قبّةً من زجاج مُلَوّن منقوش بالذهب وجَلَب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون فكان الماءُ ينزِل من أعلى القبة على جوانبها محيطًا بها ويتصل بعضه ببعض وكانت قبة الزجاج في غِلالةٍ مما سُكِبَ خَلْف الزجاج لا يَفْتُر من الجَرْي وتُوقَد فيها الشموع فيُرَى لذلك مَنْظَرٌ بديع وتَمَّ بناءُ الزهراء في أربعين سنة (للمقري)

لما رَكِبْنا البَحْر وحَلَلْنا منه السَّحْر والنَحْر شاهَدْنا من أهواله وتنافِي أحوالـِهِ مـا لا يُعَبَّر عنه ولا يُبْلَغ له كُنْه

البَحْر صَعْب المرامِ جِدًا | لا جُعِلَتْ حاجَتِي إليه
أَلَيْسَ ماءً ونحنُ طينٌ | فما عَسَى صَبْرُنا عليه

فكم اسْتَقْبَلَتْنا أمْوَاجُه بُوجُوهٍ بَوَاسِر وطارت إلينا من شِراعه عقْبَانٌ كَوَاسِر قـد أزْعَجَتْها أكُفّ الريح من وكْرها لَمّا نَبَّهَتْ اللُّجَجَ مِن سُكْرها فلم تُبْق شيئا مـن قُوّتِها فسَمِعنا للجبال صَفِيرا وللرّياح دَوِيّا عظيما وزَفيرا وتَيَقّنا أنّا لا نجـد مـن ذلك الا فَضْلَ الـلـه مُجيرا وخَفيرا واذا مَسَّكُمُ الْضُّر في البحر ضَلّ مَـن تَـدْعون الّا أيّاه وأيِسْنا من الحياة لصَوْت تلك العَوَاصِف والمياه فـلا حَيّـا الـلــه ذلـك الهَـوَّ المُـزْعِج ولا بَيّـاه والمَـوْجُ يُـصَفِّق لـسَماع أصـوات الريـاح فَيَطْـرَب بـل ويَضْطَرب فكأنه مـن كـأس الجُنـون يَـشْرَب او شَرِب فَيَبْتَعِـد ويَقْـتَرِب وفِرْقُـةُ تَلْتَطِم وتَصْطَفِق وتختِلف ولا تَكاد تتفِّق فَتَخَال الجَوَّ يأخُذ بنَوَاصيها وتَجْـذِبُها أيْديه من قَوَاصيها حتى كاد سَطْح الارض يُكْشف من خِلالِها وعَنَـان الـسُحْب يُخْطَف في استقلالها وقد أشْرَفَت النُفوس على التَلَف من خَوْفِها واعتِلالها وآذَنت الأحـوال بعـد انتظامهـا باختلالهـا وسـاءَتْ الظُنـون وتـراءت في صُـورَها المَنُـون والشِراع في قِراع مع جيوش الأمْوَاج التي أُمِدّت منها الأفواج بالافواج ونحن قُعود

كَدُودٍ على عُود ما بين فُرَادَى وأَزْوَاج وقد نَبَتْ بنا من القَلَق أمكنَتُنا وخَرِست من الفَرَق أَلْسِنَتُنَا وتَوَهَّمْنا انه ليس في الوُجود أغْوارٌ ولا نُجُود الا السماء والماء وذلك السفين ومَن في قَبْر جَوْفه دَفِين مع تَرَقُّب هُجوم العَدُوّ في الرَوَاح والغُدُو فزادنا ذلك الحَذَر الذي لم يُبْق ولم يَذَر على ما وصَفناه من هول البَحْر قَلقَنا وأجْرَيْنا اذْ ذاك في ميدان الالْقاءِ باليَدِ إلى التَهْلُكَة طَلَقًا وتَشَتَّتَتْ أفكارُنا فِرَقًا وذُبْنا أسًى ونَدَمنا وفَرَقا إلى أن قَضَى الله بالنجاة وكلُّ أفكارُنا فهو الكائن وان نَهَى عنه وأخطأ المائن فرأينا البَرَّ وكأنّنا قبلُ لم نَره وشُفِيَتْ به اعْيُنُنا من المَرَه وحَصَل بعد الشِدّة الفَرَج وشَمِمْنا من السَّلامة أطْيَبَ الأَرَج (نفح الطيب للمقري)

قال محمود سامي البارودي

يصف حرب سكان جزيرة اقريطش (كريد) حين خرجوا عن الطاعة

سنة 1282 ويتشوق إلى مصر

أَخَذَ الكَرَى بِمَعَاقِد الأجْفان ... وهَفَا السُرَى بأعنّة الفُرْسان
والليلُ مَنْشُور الذَوَائِب ضارِب ... فَوْق المَتَالِع والرُّبَى بِجِران
لا تستبِين العَيْن في ظَلْمائه ... الا اشْتِعالَ أسِنّة المُرّان
نَسْرِي به ما بين لُجّة فِتْنةٍ ... تَسْمُو غَوَارِبُها على الطُوفان
في كل مَرْبَأَةٍ وكل ثَنِيّة ... تَهْدَار سَامِرة وعَزْف قِيَان

تَسْتَنّ عادِيَةٌ ويَصْهَل أجْرَدٌ   وتَصيح أجْرَاس ويَهْتِف عَان
قَوْمٌ أبَى الشَيْطان الاخُسْرَهم   فَتَسلَّلُوا من طاعة السُلطان
مَلَؤُا الفَضَاءَ فما يَبِينُ لناظرٍ   غَيْرُ التِماع البيض والخُرْصان
فالبَدرُ أكْدَرُ والسماءُ مَريضة   والبَحْر أشْكَل والرِّماحُ دَوَان
والخَيل واقفةٌ على أرْسانِها   لِطِراد يومٍ كَريهةٍ ورِهان
وضَعوا السِلاحَ إلى الصباح وأقْبَلوا   يَتَكَلَّمون بألْسن النِيران
حتى اذا ما الصُبْح أسفَر وارْتَمَتْ   عَيناىَ بينُ رُبًى وبين مَجان
فاذا الجبالُ أسِنّةٌ واذا الوِها   دُ أعِنّةٌ والماءُ أحْمَرُ قَان
فَتَوجَّسَت فَرْطَ الرِكاب ولم تكن   لِتَهابَ فامْتَنَعَت على الأرْسان
فَزِعَت فَرَجَّعَت الحَنِين وانما   تَحْنانُها شَجَنٌ من الأشجان
ذكَرَت مَوارِدَها بمصر وأيْنَ مِن   ماءٍ بمصرَ مَنازِلُ الرومان
والنَفْس لاهِيةٌ وان هِىَ صادَفت   خَلَفا بأوّل صاحبٍ ومكان
فَسقَى السِماكُ مَحَلَّةً ومَقامةً   في مِصرَ كل مُرِنة مِرْنان
حتى تعودَ الأرضُ بعد ذُبُولها   شَتَّى النماءِ كثيرةَ الألوان
بَلَدٌ خَلعْتُ بها عِذارَ شَبِيبَتي   وطَرَحْتُ في يُمْنَى الغَرامِ عناني
فصعيدُها أحْوَالنَبَاتِ وسَرْحُها   ألْمَي الظِلالِ وزَهْرُها مُتَداني
فارقْتُها طَلبًا لِمَا هو كائن   والمرْءُ طَوْع تَقَلُّب الأزمان
حَمَلَ الزمانُ علَيّ ما لم أجْنِه   انّ الأماثل عُرْضة الحَدَثان
نَقمُوا عَلَيّ وقد فَتَكْتُ شَجاعتي   انّ الشَجاعة حِلْية الفِتْيان
فلْيَهْنَأ الدهرُ الغَيُور برحْلَتي   عن مِصرَ ولْتَهْدَأْ صُروف زماني
فلئن رَجَعْت وسوف أرْجِع واثِقا   بالله أعْلَمْتُ الزمانَ مكاني

صادَقْتُ بعضَ القوم حتى خانَني وحَفِظْتُ منه مَغيبة فَرماني
زَعَم النصيحةَ بعد أن بَلَغَت به غِشًّا وجازَي الحقَّ بالبُهْتان
فلْيَجْرِ بعدُ كما أراد بنفسه انّ الشقِيَّ مَطِيَّة الشيطان
وكذا اللئيمُ اذا أصابَ كرامة عادَى الصديقَ ومالَ بالاخوان
كلُّ امْرِئٍ يَجْري على أعْراقه والطبعُ ليس يحول في الانسان
فَعَلَى مَ يَلْتَمِسُ العدوُّ مَساءتِي من بعدِ ما عَرَف الخلائقُ شاني
أنا لا أذِلّ وانما يَزَعُ الفَتَى فَقْدُ الرجاء وقِلّة الاخوان
فَلَيَعْلَمَنّ أخُو الجَهَالة قَصْرَه عَنيّ وان سَبَتْ به قَدمان
فَلَرُبَّما رَجَح الخَسيسُ من الحَصَى بالدُّرِّ عند تَرَاجُح الميزان
شَرفٌ خُصِصْتُ به وأخْطَأ حاسِدِي مَسْعاتَه فَهَذَى به وقَلاني

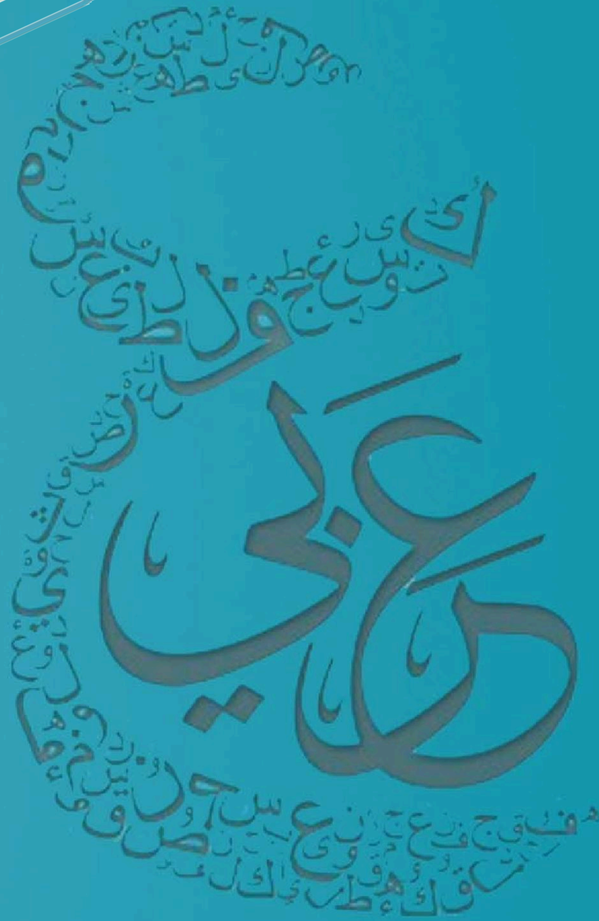
رسالة الشيخ حمزة فتح الله للسيد توفيق البكري يمدحه

اعادة العَرَض يوم العَرْض

مَسألةٌ كلاميّة ثَارتْ فيها عَجَاجَة الكلام بين عُلَماء الكلام فمِن ايجازٍ وإطْناب في سَلْب وايجاب (وتَعْلَم أنت أنّ الألفاظ أعْراضٌ سيّالة لكنني آمَنْتُ عِيانا انّ الله تعالى يُحي المَوتَى أعْراضًا وأعْيانا اذ كانت كُتُبُك زيادةً في البَيَان والبُرْهان وان كان خَبَرُ المَعْصُوم أوثَقَ من الحِسّ في النَفْس فأنشُدُ الله امْرَأ شِيمَتُه العَدْل والقَوْل الفَصْل ألَيْستْ كُتُبُك هذه حُجّة

للموجِب دامِغَةً للسالِب أليس ذلك البَيَان غايَةَ شَأْوِ قُسٍّ وسَحْبَان ألـيس قُصَارَى ابن العَميد وحُمَادَي عبد الحميد فقد أُعيد العَرَض الذي هو الكلام في الدنيا فَفي الأُخْرَى أحْرَى فَتَراني يا مَليك البَراعات وقُسْوَرَ تِلْكُمُ الغابات أسيفا على ضن الزمان بك إلى الآن فلو أن الله تعالى بَرَاك وخَلَقَك فَسَوّاك حين استَعَر الخِصام في هذا المقام لَمَا اخْتَلَفَ في شأنهِ اثنان ولا انْتَطح عَنْزَان .

فهرس الكتاب



هذا الكتاب :

يتناول بالتحليل والدراسة حالة اللغة العربية قبل الاسلام وبعده ، وسعتها لتدوين العلوم على كثرتها واختلافها وفضلها على المدينة التي عمت جميع الممالك الاسلامية إبان عظمتها واتساعها ..ويتناول كذلك تراجم بعض المشهورين من الشعراء والكتاب والخطباء والعلماء ، وقد تضمن بعض المختارات من النثر والنظم في كل عصر ، لتكون بمثابة مرشد لمفردات اللغة النافعة وأساليبها الحسنة المختلفة ومعانيها وتراكيبها المتينة ، فصار هذا الكتاب أدب ومطالعة ومختارات للحفظ يجد فيه القارىء ضالته التي ينشدها وبغيته التي يطلبها لمعرفة وإتقان اللغة العربية .



وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

